مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الحادي عشر - السنة السادسة. محرم ١٤٤٣هـ/ أغسطس ٢٠٢١م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

- الهدايات القرآنية في قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)
  د. محمد علي جميل المطري   د. يوسف محمد عبده العواضي
- المحفوظات الواردة في سورة الحجر
  د. حامد بن عدنان الأنصاري
- محبطات العمل من خلال سورة محمد صلى الله عليه وسلم. «دراسة موضوعية»
  د. بدرية بنت سعيد الوادعي
- ملابسات النزول وأثرها في التوجيه البلاغي لآيات القرآن (سورة الجمعة أنموذجًا)
  د. محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف
- رفع الوهم وتصحيح الفهم بالفعل «حسب» وتصاريفه في القرآن
  د. خلود محمد أمين محمود الحواري
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان: (استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم) تأصيل وتقويم
  للباحث: د. عبد الله بن عمر بن أحمد العمر
- تقرير عن مشروع علمي بعنوان:
  مؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة
- تقرير عن مؤتمر علمي بعنوان:
  مشكل القرآن والحديث في التراث والدراسات المعاصرة

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الحادي عشر - السنة السادسة. محرم ١٤٤٣هـ/ أغسطس ٢٠٢١م



مجلة تدبر
٤٣٢ ص ، ١٧×٢٤سم
رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨
بتأريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨
ردمد: ٧٦٤٢-١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:
رئيس هيئة التحرير
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٧١١٩
المدينة المنورة ٤١٤٦٢
info@tadabburmag.sa
+966 50 30 72 333
@tadabburmag
http://www.tadabburmag.sa

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

- مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

- أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

- أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

- أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:
  - التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
  - تعليم تدبر القرآن الكريم.
  - الاستنباط من القرآن الكريم.
  - المقاصد القرآنية.
  - المناسبات القرآنية.
  - الإعجاز القرآني.
  - البلاغة القرآنية.
  - الموضوعات القرآنية.
- ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- ثالثًا: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

◆أولًا: طبيعة المواد المنشورة :

تهدف المجلة إلىٰ إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ علىٰ أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

◆ ثانيًا : الإجراءات العلمية لتقديم البحث :

١ - أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلىٰ أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

◆ ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحة مقاس (A4) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلىٰ، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط (traditional arabic) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط (Times New Roman) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها علىٰ حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.
- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي علىٰ: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

رابعًا: كيفية توثيق المراجع:

يُوثِّق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

- إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسىٰ؛ محمد بن عيسىٰ. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:

كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلىٰ ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيٌّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.

◆ خامسًا: بيان مسار البحث المقدم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرىٰ حتىٰ تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلِي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّتِه للتحكيم، أو رفضه.

٣- إِطْلَاعُ الباحث علىٰ خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرىٰ بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّر بالضرورة عن رأيِ المجلة.

٨- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.

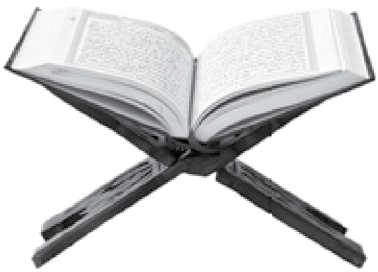
المَوادّ العِلْمِيّة المنشورة في المجلة تُعَبِّر عن آراءِ أصحابها

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
كلمة رئيس التحرير	١٧
أولاً: البحوث	
الهدايات القرآنية في قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) د. محمد علي جميل المطري أ.د. يوسف محمد عبده العواضي	٢١
المحفوظات الواردة في سورة الحجر د. حامد بن عدنان الأنصاري	٨١
محبطات العمل من خلال سورة محمد صلى الله عليه وسلم. «دراسة موضوعية» د. بشرية بنت سعيد الوادعي	١٢٥
ملابسات النزول وأثرها في التوجيه البلاغي لآيات القرآن «سورة الجمعة أنموذجًا» د. محمد بن عبد العزيز بن عمر نصيف	١٩٧
رفع الوهم وتصحيح الفهم بالفعل «حسب» وتصاريفه في القرآن د. خلود محمد أمين محمود الحواري	٢٦٧
ثانيًا: مستخلصات الرسائل والمشاريع العلمية	
تقرير عن رسالة علمية بعنوان: (استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم) تأصيل وتقويم للباحث: د. عبد الله بن عمر بن أحمد العمر	٣٦٣

الموضوع	الصفحة
تقرير عن مشروع علمي بعنوان : مُؤَسَّسَةُ النَّبأ العَظِيم بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة	٣٩١
ثالثًا: تَقَارِيرُ المُؤْتَمَرَاتِ العِلْمِيَّة	
تقرير عن مؤتمر علمي بعنوان : مُشْكِلُ القُرآنِ وَالحَدِيثِ فِي التُّرَاثِ وَالدِّرَاسَاتِ المُعَاصِرَة	٤٠١





افتتاحية العدد

مجلة تدبر

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد: (١١)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عِوجًا، قيِّمًا، يهدي به العباد للتي هي أقوَم؛ أقوَم في كلِّ شيء، فيه صلاح حياتهم ومعادهم.

والصلاة والسلام على مَن جعل الله رسالته تبيانًا للناس ما نُزِّل إليهم، وجعل هذا البيان تابعًا لكلامه يتضمَّن الشفاء والحياة والنور، وفرَّق بين الحق والباطل بالمُبيِّن والمُبيَّن.

ورَضي الله عن أصحابه وخلفائه الذين جعلوا القرآن إمامهم وتبصرتهم، والفرقان فيما اختلفوا فيه، فقاموا يتلونه حق تلاوته ما بين صلاة وعمَل وحُكم ومَعرفة وتعليم، فكانوا مصابيح الدُّجَى ومنارات الهُدَى.

أما بعد:

فنزف إليكم بحمد الله هذا العدد الحادي عشر من هذه المجلة الغراء **(تدبر)** حافلًا بالبحوث والتقارير العلمية.

أما البحوث فخمسة، تناولت تدبر القرآن وهداياته من جوانب موضوعية ولغوية وبلاغية، وهي:

الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾، والمحفوظات الواردة في سورة الحجر، ومحبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ، وملابسات

النزول وأثرها في التوجيه البلاغي لآيات القرآن، ورفع الوهم وتصحيح الفهم بالفعل «حسب» وتصاريفه في القرآن،

وأما التقارير فثلاثة، هي: تقرير عن رسالة علمية بعنوان: استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم، وتقرير عن مؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة، وتقرير عن مؤتمر: مشكل القرآن والحديث في التراث والدراسات المعاصرة.

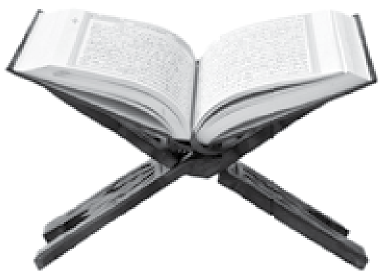
ويأتي هذا العدد والمجلة لا زالت بعد عون الله وتوفيقه ترتكز على جهود أساتذة فُضلاء متخصصين في العلم ومجتهدين في التَّحرِّي والنَّظر للوصول إلى أفضل المعايير والمقاييس المُمكنة في الواقع، ومن خلال التجارب، وبنوع من المقارنة والموازَنة للوصول بالمجلة إلى أجود من ذلك، ومراعاة أحوال المتقدمين للتحكيم، بل وإفادتهم بكل ما يمكن أن يرتقي بهم للأفضل في مجال البحث العلمي ونشره وتحكيمه، وهذا ما أشاد به غالب مَن أرسل للمجلة بحثه، حتى وإن كان الجواب الاعتذار عن نشره؛ لأن الغاية والهدف هو الارتقاء بالبحث العلمي المتخصص، وهذه غاية سامية تسعى إليها المجلة بجميع أعضائها؛ من التحرير والاستشاريين والمُحكّمين، لا سيما وأنها في كلِّ عدد يزداد رصيدها من البحوث والباحثين والمُحكّمين والقُرَّاء، وهذا من بركة كلام الله عليها وعلى أعضائها وباحثيها: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

نسأل الله أن يُوفِّق الجميع لما يُحبه ويرضاه، ويزيدهم من فضله وكرمه، ويجعل عملهم خالصًا لوجهه الكريم.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي





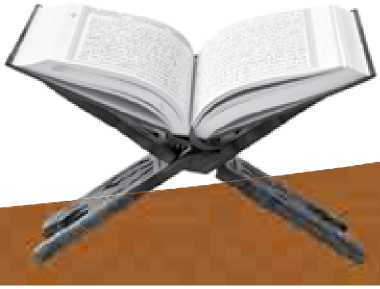
أولاً: البحوث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



الهدايات القرآنية في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا)



د. محمد علي جميل المطري   أ.د. يوسف محمد عبده العواضي

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٢/١
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٣/٢٦
نشر في: ١٤٤٣/١/١

دكتوراه تخصص تفسير - جامعة المدينة العالمية، بماليزيا

◆ حصل على درجة الماجستير من جامعة الأندلس (صنعاء) بأطروحته: (الخطأ في نسبة الأقوال في كتب التفسير).

◆ يُحضِّر الدكتوراه في جامعة المدينة العالمية في ماليزيا، بأطروحته: «الهدايات القرآنية في سورة الأعراف، من الآية (١٧١) إلى آخر السورة، وفي سورة الأنفال من الآية (١) إلى الآية (٤٠)» بإشراف الدكتور يوسف محمد عبده العواضي.

◆ من المشاركين في تأليف موسوعة التفسير، الخاصة بموقع الدُّرر السَّنية (التفسير المُحرَّر).

أهم النتاج العلمي:

◆ العَجَب العُجَاب في هداية الكتاب، سيرة أبي هريرة، والأحاديث الصحيحة التي تَفرَّد برواياتها، الأحاديث القصار من الصحيحين، الحُفَّاظ الأربعون، قصة نشأة المذاهب الفقهية، الرياحين اليمانية مائة مسألة في العقيدة، كُتُب وتواريخ.

البريد الإلكتروني: matari63@hotmail.com

أ.د. يوسف محمد عبده العواضي

رئيس قسم التفسير في جامعة المدينة العالمية، بماليزيا

◆ أستاذ القراءات والتفسير في قسم التفسير وعلوم القرآن، بجامعة المدينة العالمية، بماليزيا.

◆ مستشار أكاديمي في جامعة برليس الإسلامية.   ◆ مدير تحرير مجلة العلوم الإسلامية الدولية.

أهم النتاج العلمي:

تعظيم الله في أسمائه وصفاته من خلال توجيه القراءات، النصوص المنقولة في المخطوطات بين التوثيق والتحقيق، منهج النبي ﷺ في تَلَقِّي وإقراء القرآن الكريم، قراءة الإمام الكِسائي دراسة تاريخية، القراءات الشاذة، أنواعها ومصادرها وأحكامها.

البريد الإلكتروني: yusofma@gmail.com

مجلة تدبر

مُسْتَخْلَصُ البَحْث

يهدف هذا البحث إلىٰ استنباط الهدايات القرآنية من قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، مع بيان معاني مفردات الآية وتفسيرها، وسُبُل تحقيق هدايات الآية منها في واقع الأمة.

وموضوع البحث هو الهدايات القرآنية في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

وأهداف البحث هي: بيان معنىٰ الآية الكريمة، وجَمْع ما يمكن من الهدايات المستنبطة منها، مع بيان السُّبل التي يمكن تحقيقها من خلال الآية الكريمة لإصلاح واقع الأمة.

ومن أهم النتائج التي تَوصَّل إليها في هذا البحث ما يلي:

١- أهمية استنباط الهدايات القرآنية، وبيان أن مجال استنباط الهدايات القرآنية مجال واسع، لا يمكن لأحد أن يحصيه؛ فالقرآن العظيم يَهدي الأمة في كل زمان ومكان للتي هي أَقْوَم في جميع الأمور.

٢- الحث علىٰ دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ.

٣- أهمية العلم بأسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العليا الثابتة في القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة؛ حتىٰ يَعرف الناس عظمة الله وقَدْره، فيحرصوا علىٰ تحقيق الإيمان، والتقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة.

٤- الحذر من الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا بأي نوع من أنواع

الإلحاد، التي ذَكَرها أهل العلم. والحذر من الغلو في نفي الصفات أو إثباتها بلا برهان.

ويُوصِي الباحثان بإفراد أبحاث قرآنية تتعلق بالمشاكل الاجتماعية، ونَشْرها في المجلات البحثية المحَكَّمة.

وكذلك بالكتابة الموضوعية في كل اسم من أسماء الله الحسنىٰ، واستخراج الهدايات القرآنية من سياق الآيات التي ذُكر فيها.

الكلمات المفتاحية:

الهدايات – التدبر – الاستنباط – الأسماء الحسنىٰ – الإلحاد في أسماء الله.

The Quranic Pieces of Spiritual Guidance in the Almighty's words:

“And (all) the Most Beautiful Names belong to Allah, so call on Him by them…” [Al-A'arâf: 180[

Prepared by:
Dr. Mohammed Ali Gamil Al-Matari

PhD in Tafsir
Al-Madinah International University, Malaysia
prof. yousef mohammed abdo mohammed al-awadhy

Abstract

This research aims to derive the Quranic pieces of spiritual guidance from the Almighty’s words: "*And (all) the Most Beautiful Names belong to Allah, so call on Him by them, and leave the company of those who belie or deny (or utter impious speech against) His Names. They will be requited for what they used to do.*" (Al-A'arâf:180) It also aims to explain the meanings of the vocabulary of the same verse and show how to achieve its pieces of spiritual guidance in the reality of the Muslim community.

The topic of the study is the Quranic pieces of spiritual guidance contained in the Almighty's words: "*And (all) the Most Beautiful Names belong to Allah, so call on Him by them, and leave the company of those who belie or deny (or utter impious speech against) His Names. They will be requited for what they used to do.*" (Al-A'arâf:180)

◆ **Objectives of the research:**

- to clarify the general meaning of the noble verse in question.
- to extract from it pieces of spiritual guidance and highlight the

ways in which they can be achieved to improve the reality of the Muslim community.

◆ **Main findings:**

1. Deriving Quranic pieces of spiritual guidance is of paramount importance and wide-ranging. The Noble Quran guides the Muslim community at all times and everywhere to the right path in all aspects of life.
2. It is advisable to supplicate Allâh, Glory be to Him, with His Most Beautiful Names.
3. It is essential to learn about the Most Beautiful Names of Allâh and His Supreme Attributes as established in the Noble Quran and the authentic Sunnah so that people can find out about the Greatness of their Lord and strive to have firm faith in Him and draw closer to Him through good deeds.
4. We must beware of denying or impugning the Names and Supreme Attributes of Allâh in any of the ways clarified by Muslim scholars.
5. We must beware of being extravagant with denying or proving the divine Attributes without reliable proof.

The two researchers recommend setting aside Quranic researches for social problems and publishing them in refereed journals. They also recommend that objective studies should be conducted on each of the Most Beautiful Names of Allâh and that Quranic pieces of spiritual guidance should be derived from the verses which embodies these Names.

Keywords: Pieces of spiritual guidance - reflection - deduction - the Most Beautiful Names - denying the Names of Allâh

المُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم يَهدي مَن تَدبَّره للتي هي أَقْوَم، جَعَله الله مباركًا، وأَمَرَنا بتدبر آياته لنتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وإن استنباط الهدايات من القرآن الكريم ثمرة تَدبُّره، فمَن اهتدىٰ بها كان أكمل الناس علمًا وعملًا، وأَقْوَمهم وأهداهم في جميع أموره، فإن من الأهداف السامية للهدايات القرآنية- إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وتحقيق الشفاء التام للأمة علىٰ مستوىٰ الفرد والجماعة.

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

والقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يستطيع أحد أن يَستوعب جميع معانيه وفوائده، فقد نَهَلَتْ منه أمة الإسلام منذ أنزله الله علىٰ نبيه، ولا يَزال المجال مفتوحًا لاستخراج الهدايات والفوائد من مَعينه الصافي إلىٰ ما شاء الله، فهو المعجزة الخالدة التي تخاطب القلوب والعقول، وإعجازه باقٍ ما بقيت الدنيا.

قال الإمام الشافعي ﷺ:

«كل ما أَنْزَل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحُجة، عَلِمه مَن عَلِمه، وجَهِله مَن جَهِله، لا يَعْلم مَن جَهِله، ولا يَجْهل مَن عَلِمه. والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به.

فحقَّ علىٰ طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر علىٰ كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه ن صًّا واستنباطًا، والرغبة إلىٰ الله في العون عليه؛ فإنه لا يُدرَك خير إلا بعونه.

فإن مَن أَدْرَك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفقه الله للقول والعمل بما عَلِم منه؛ فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرَتْ في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة. فليست تَنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل علىٰ سبيل الهدىٰ فيها»(١).

وهذا بَحْث تطبيقي في تدبر آية من القرآن العظيم، واستنباط ما تَيسَّر من هداياتها، بعنوان: الهدايات القرآنية في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

◆ أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية:

(١) لا يَزال علم التفسير في حاجة إلىٰ مزيد من الدراسات التي تُبيِّن جوانب الهدايات القرآنية في آياته؛ لأنها لم تَجد العناية الكافية في كتب التفسير القديمة والحديثة؛ فقد كان جُلُّ اهتمام المفسرين مُنصبًّا علىٰ بيان

(١) «الرسالة» (ص: ١٩، ٢٠).

المعاني والأحكام. أما الهدايات فلا يذكرونها إلا ضمنًا، وهذا يَتطلب إبراز هدايات الآيات في دراسات خاصة بها.

(٢) حاجة هذا العصر لربط واقعه بمعاني آيات القرآن وهداياته؛ حتىٰ تعود الأمة لمجدها وعزها كما كانت عليه في عهد سلفها، حين كان القرآن هاديًا لها، وشافيًا لعللها وأمراضها.

(٣) الحاجة المُلِحة إلىٰ رؤية علمية مثالية، تقوم علىٰ أصح الطرق في فَهْم الآيات، والاستنباط منها، تأخذ من كل منهج واتجاه في التفسير أفضله، ويَتم من خلالها كتابة الهدايات القرآنية باستقصاء بقدر الإمكان؛ لتكون موردًا عذبًا للمهتدين بهدي القرآن العظيم.

مشكلة البحث:

كُتُب التفسير فيها ما يَكفي لفَهْم معاني آيات القرآن العظيم، لكِنْ مؤلفوها لا يتوسعون في استنباط الهدايات القرآنية من كل آية قرآنية وَفْق القواعد والضوابط والأصول السليمة، فلا يَزال المجال مفتوحًا للباحثين لجمع الهدايات القرآنية من كتب التفسير، واستنباط هدايات جديدة مما لا يوجد في كتب التفسير، فمَن أطال التأمل والتدبر للآيات، فسيجد هدايات جديدة غير مذكورة في كتب التفسير، فقد يَسَّر الله كتابه للذِّكر، وأَمَرَ أُولي الألباب بتدبر القرآن.

فآيات القرآن ليست لقوم كانوا فبانوا، بل هو للناس جميعًا في كل زمان ومكان، وما من مشكلة خاصة أو عامة وإلا وفي القرآن الحكيم السبيل إلىٰ حلها؛ فهو كتاب هداية، وتَدبُّره لأجل استخراج هداياته أعظم ما يَحتاج إليه المسلمون؛ لأن في القرآن هدايتَهم في جميع أمورهم، وعِزَّهم وقوتَهم، وسعادتَهم وفلاحَهم.

أسئلة البحث:

١- ما المعاني التي تضمنتها هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؟

٢- ما مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها؟

٣- ما الهدايات المستنبطة من هذه الآية الكريمة؟

٤- ما أسماء الله الحسنىٰ؟

٥- ما السُّبل التي يمكن تحقيقها من خلال الآية لإصلاح واقع الأمة؟

أهداف البحث:

١- بيان معاني الآية الكريمة التي هي موضوع البحث.

٢- توضيح مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها.

٣- جَمْع الهدايات المستنبطة من الآية الكريمة.

٤- سَرْد أسماء الله الحسنىٰ بترتيب يُسهِّل حفظها.

٥- بيان السُّبل التي يمكن تحقيقها من خلال هذه الآية لإصلاح واقع الأمة.

أهمية البحث:

يمكن إجمال أهمية البحث في هذا الموضوع فيما يأتي:

١- إن فيه جمعًا لما تَفرَّق في التفاسير القديمة والحديثة في مجال الهدايات القرآنية، وضمًّا لشتاتها فيما يتعلق بآية قرآنية واحدة؛ للاستفادة القصوىٰ من هداياتها.

٢- استنباط هدايات قرآنية جديدة من الآية الكريمة، مما يوضح عمليًّا أن القرآن لا تنقضي عجائبه وفوائده. وصياغتها بصورة سهلة ليستفيد منها المسلمون في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم، وفِكْرهم.

٣- إن فيه تطبيقًا عمليًّا لقواعد اللغة والبلاغة والأصول؛ لإبراز الهدايات القرآنية.

٤- إنه يُعْنَىٰ بجعل علم التفسير مُلامِسًا لقضايا الواقع المعاصر، وإظهار الحلول المناسبة لمشاكل المسلمين وَفْق هدايات القرآن الحكيم.

٥- إن في الاهتمام باستنباط هدايات القرآن الكريم تنبيهًا للناس إلىٰ فحوىٰ النص القرآني، وحثًّا لطلاب العلم علىٰ تدبر القرآن، والتوسع في الاستنباط منه، والاستدلال به، واستخراج هداياته وحِكَمه وأسراره.

أهم الدراسات السابقة:

١- **(النكت الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام)**، لمحمد بن علي الكَرَجي القَصَّاب (ت ٣٦٠ هـ)، (ط١)، الدمام، دار ابن القيم، الجيزة، دار ابن عفان، (١٤٢٤هـ)، مطبوع في (٤) مجلدات.

ذَكَر مؤلفه في مقدمته أن هذا الكتاب نكت القرآن الدالة علىٰ البيان في أنواع العلوم والأحكام، والـمُنْبِية عن اختلاف الأنام في أصوله الدين وشرائعه، وتفصيله وجوامعه، وكل ما يَحسن مقاصده، ويَعظم فوائده، من معنىٰ لطيف في كل فن دلت عليه الآية، من جليها وغامضها، وظاهرها وعويصها.

وهذا الكتاب مرجع مهم لمن يَكتب في هدايات القرآن، ولكنه لم يستوعب آيات القرآن، ولم يتكلم بشيء عن هدايات الآية التي هي موضوع هذا البحث.

٢- **(الإكليل في استنباط التنزيل)**، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، (ط. د)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠١هـ)، مطبوع في (٣٠٠) صفحة.

ذَكَر مؤلفه أنه أورد في كتابه الاستنباطات التي يَذكرها المؤلفون في كتب أحكام القرآن. وهذا الكتاب - مع صغر حجمه - يمتاز بذكر الاستنباطات الدقيقة من آيات القرآن بعبارة موجزة، في الأحكام الفقهية وغيرها، مما ينقله عن العلماء أو مما يَظهر له، لكنه لم يستوعب جميع آيات القرآن، ولم يُكْثِر من الاستنباطات، فالآية التي هي موضوع هذا البحث لم يَذكر فيها سوىٰ استنباطين فقط.

٣- **(أَيْسَر التفاسير)**، لأبي بكر الجزائري (ت ١٤٣٩ هـ)، (ط٥)، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحِكم، (١٤٢٤هـ)، مطبوع في (٥) مجلدات.

هذا الكتاب تفسير كامل للقرآن الكريم، ومن عادة مؤلفه أنه يضع عنوانًا بعد تفسير الآيات يقول فيه: (من هداية الآيات) ثم يَذكر بعض الهدايات الظاهرة من الآية، فمؤلفه حريص علىٰ إبراز الهدايات القرآنية من كل آية، ولكنه لا يتوسع في ذكر الهدايات القرآنية، ويكتفي بذكر أهمها وأظهرها، فمثلًا: في تفسير الآية التي هي موضوع هذا البحث لم يَذكر سوىٰ هدايتين فقط.

أما البحث الذي بين أيدينا، ففيه توسع في ذكر ما تدل عليه الآية من الهدايات بمنطوقها، ومفهومها، وسياقها، ومناسبتها مع الآيات التي قبلها وبعدها ... وغير ذلك من طرق استنباط الهدايات القرآنية.

◆ الجديد الذي يقدمه هذا البحث:

١- هذا الموضوع دراسة نوعية في مجال التفسير، يتعلق بآية قرآنية واحدة؛ لاستخراج أكبر قدر ممكن من هداياتها، والاستفادة مما كتبه المفسرون قديمًا وحديثًا، بما يبين أهمية تدبر القرآن الكريم.

٢- في هذا البحث إضافات جديدة مما ظهر للباحثَين من هدايات واستنباطات، فقد بَلَغ عدد الهدايات المستنبطة من الآية التي هي موضوع البحث (٧٧) هداية.

٣- سَرْد أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في القرآن والسُّنة الصحيحة، بطريقة مُبتكَرة تُسهِّل حفظها.

٤- السعي لربط الواقع المعاصر بهَدْي القرآن الكريم، من أجل تقويم هذا الواقع، والسعي إلىٰ إصلاح ما فيه من خلل بالقرآن الكريم.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، من خلال دراسة آية موضوع البحث من كتب التفسير القديمة والحديثة، التي تَيسَّر الاطلاع عليها؛ لجمع ما كتبه المفسرون من هدايات الآية.

والمنهج الاستنباطي، من خلال استنباط هدايات قرآنية من الآية، لم يَنص المفسرون عليها أصالة ولا إشارة.

إجراءات البحث:

اتُّبع في هذا البحث مجموعة من الخطوات الإجرائية، من أهمها:

١- الرجوع إلىٰ أكبر قدر ممكن من كتب التفسير، القديمة والحديثة، ومحاولة الاستفادة منها في جمع وكتابة الهدايات القرآنية المتعلقة بقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٢- تَجنُّب الأقوال الشاذة والأقوال المرجوحة في التفسير.

٣- الالتزام بمنهج السلف الصالح، وأصول التفسير وقواعده في استنباط الهدايات القرآنية.

٤- توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية.

٥- المُعَوَّل عليه في معرفة طبعات المصادر هو الفهرس الخاص آخِر البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس، كما يأتي:

- **المقدمة.**
- **المبحث الأول:** ذِكر الآية، وبيان معناها.
- **المبحث الثاني:** مناسبة الآية لِما قبلها وما بعدها.
- **المبحث الثالث:** الهدايات الخاصة بالآية.
- **المبحث الرابع:** سَرْد أسماء الله الحسنىٰ بترتيب يُسهِّل حفظها.
- **المبحث الخامس:** سُبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة.
- **الخاتمة.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

نسأل الله المنان الوهاب أن يَنفع بهذا البحث، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول:

ذِكر الآية، وبيان معناها

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

معنى مفردات الآية:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: (الحسنىٰ): تأنيث الأحسن، بمعنىٰ الأفضل[١]، ووَصَف الله أسماءه بأنها حسنىٰ لأنها بالغة الغاية في الحُسن في ألفاظها وفي معانيها؛ فهي متضمنة لصفات كاملة لله لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

فأسماء الله سبحانه أعلام وأوصاف: أعلام باعتبار دلالتها علىٰ ذات الله سبحانه. وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني العظيمة، فكل اسم من أسماء الله متضمن صفة من صفاته جل جلاله التي وَصَف بها نفسه. فمثلًا: اسم (الله) يدل علىٰ صفة الألوهية، و(الرحمن الرحيم) يدلان علىٰ صفة الرحمة، و(العزيز) يدل علىٰ صفة القوة والقهر والغلبة... وهكذا[٢].

(١) يُنظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ١٨٤) و«المعجم الوسيط» مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ١٧٤).

(٢) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية (١٣/ ٣٣٣، ٣٣٤)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٣٥٧)، و«تيسير العزيز الحميد» لسليمان آل الشيخ (ص: ٥٥٢)، و«القواعد المُثْلَىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ» لابن عثيمين (ص: ٦ - ٨).

ولم يصح عن النبي ﷺ شيء في تعيين أسماء الله الحسنىٰ، وهي ليست محصورة بعدد معين[1]، فقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو عَلَّمْتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك**»[2]، وما استأثر الله بعلمه لا سبيل لأحد أن يحيط به.

وما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتِسعون اسمًا، مَن أحصاها دخل الجنة»[3] لا يدل علىٰ حصرها بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لقال: (إن أسماء الله تسعة وتِسعون اسمًا).

ومعنىٰ الحديث: أن مَن حَفِظ تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله الحسنىٰ، دخل الجنة بفضل الله.

وقوله ﷺ: «**مَن أحصاها دخل الجنة**» جملة مكملة لما قبلها، وليست مستقلة. ونظير هذا أن يقول القائل: (عندي مِائة درهم أعددتُها للصدقة)، فقوله هذا لا يَمنع أن يكون عنده دراهم أخرىٰ لم يُعِدّها للصدقة[4].

---

(١) يُنظر: «شأن الدعاء» للخَطَّابي (ص: ٢٤)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٢٧)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٢)، و«شفاء العليل» لابن القيم (ص: ٢٧٧)، و«القواعد المُثْلَىٰ» (ص: ١٣، ١٤).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، مسند ابن مسعود، (٦/ ٢٤٧)، رقم (٣٧١٢)، وابن حِبان في «صحيحه»، كتاب الرقائق، باب الأدعية، باب ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يَسأل الله ذَهابه عنه وإبداله إياه فرحًا، (٣/ ٢٥٣)، رقم (٩٧٢).
وصححه ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٦)، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٣٨٣ - ٣٨٧)، رقم (١٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب: إن لله مِائة اسم إلا واحدًا، (٩/ ١١٨)، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم، كتاب الذِّكر، باب في أسماء الله تعالىٰ وفَضْل مَن أحصاها، (٤/ ٢٠٦٢)، رقم (٢٦٧٧).

(٤) يُنظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٥)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٠، ٣٨١)، و«القواعد =

وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ﴾: (يَذَر) بمعنىٰ: يَترك، والأمر منه: ذَرْ، أي: اترك. وأماتت العرب ماضيه ومصدره. فمعنىٰ قول الله: ﴿وَذَرُواْ﴾ أي: واتركوا[(١)].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾: أصل الإلحاد في اللغة بمعنىٰ: الميل والعدول عن الشيء، يقال: (لَحَدَ يَلْحَد)، و(أَلْحَدَ يُلْحِد)، أي: مال عن الحق وأعرض عنه. والـمُلحِد في الدين: الذي أَدْخَل فيه ما ليس منه، ومال عن الحق إلىٰ الباطل.

ويُستعمل لفظ (لحد) في كل شيء مُعْوَج غير مستقيم، ومن ذلك تسمية اللحد الذي يكون في القبر؛ لأنه في جانب منه، وليس في وَسَطه[(٢)].

والإلحاد في أسماء الله: هو الميل في أسماء الله، بتسمية الله ووصفه بغير ما يَجوز عليه، نفيًا أو إثباتًا، من أشياء تُفترىٰ علىٰ الله سبحانه[(٣)].

والإلحاد في أسماء الله أربعة أنواع:

أولها: تسمية الأصنام بأسماء الله، كتسمية المشركين لأصنامهم آلهة، وتسميتهم صنم (اللات) من الإلهية، و(العُزَّىٰ) من العزيز.

وثانيها: تسمية الله بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارىٰ له أبًا، وتسمية الفلاسفة له علة فاعلة، أو مُوجَبًا بذاته ... ونحو ذلك من الإلحاد.

وثالثها: وَصْف الله بما يتعالىٰ ويتقدس عنه من النقائص، كقول اليهود: (إن الله

= المُثْلَىٰ» (ص: ١٣، ١٤).

(١) يُنظر: «العين» للخليل الفراهيدي (٨/ ١٩٦)، و«المُخصَّص» لابن سِيده (٤/ ١٠٤)، و«المفردات» للراغب الأصفهاني (ص: ٨٦٢، ٨٦٣).

(٢) يُنظر: «جامع البيان» لابن جرير الطبري (١٠/ ٥٩٨)، و«تاج العَروس» للمرتضىٰ الزَّبيدي (٩/ ١٣٥).

(٣) يُنظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ١٦٩)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٥٤).

فقير وبخيل)، و(إنه تعب بعد خلق السموات والأرض) سبحان الله عما يصفون.

ورابعها: تعطيل أسماء الله عن معانيها، وجَحْد حقائقها، ونَفْي الصفات التي تضمنتها، كما يَفعل ذلك كثير من أهل الأهواء والبدع(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: الجزاء: الكفاية والغَناء. جزىٰ الشيءُ جزاء: كفىٰ وأغنىٰ. وجزيتُ فلانًا أَجزيه جزاء، أي: كافأته بشيء يقوم مَقام عمله. والجزاء يكون بالثواب والعقاب. وجزىٰ فلانًا حقه، أي: قضاه. وجزاك الله خيرًا، أي: أثابك وكافأك خيرًا(٢).

وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل الفعل والقول والاعتقاد، ويُستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة.

والفرق بين (العمل) و(الفعل): أن العمل ما كان مع امتداد، بخلاف الفعل. واعتبار هذا الفرق ظاهر في القرآن، قال تعالىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] حيث كان فعلهم بزمان. وقال سبحانه: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] لأن الملائكة يأتون بما يُؤمَرون في طرفة عين. وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] لأنه أهلكهم من غير بطء. وقال تعالىٰ: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] لأن المقصود المثابرة عليها، لا الإتيان بها مرة أو بسرعة. وقال: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧] بمعنىٰ سارِعوا. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤] أي: يأتون بها علىٰ سرعة من غير توانٍ في دفع حاجة الفقير.

---

(١) يُنظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩، ١٧٠)، و«عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (٤/ ١٣).

(٢) يُنظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ٩٨ - ١٠٠)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٤٥٥، ٤٥٦)، و«المفردات» (ص: ١٩٥)، و«المصباح المنير» للفيومي (١/ ١٠٠).

ومن الفروق بين (العمل) و(الفعل): أن العمل يكون بقصد، بخلاف الفعل فإنه قد يكون بقصد أو بغير قصد؛ ولذلك يُنسب الفعل كثيرًا للحيوانات والجمادات.

ومن الفروق بين (العمل) و(الفعل): أن الفعل يطلق على ما ينقضي، والعمل يطلق على الآثار التي تَثبت في الذوات بعد انقضاء الحركة(١).

◆ المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله تعالىٰ مثنيًا علىٰ نفسه: ولله أحسن الأسماء الدالة علىٰ صفات كماله، فادعوا الله وحده - أيها المسلمون - بهذه الأسماء العظيمة، واتركوا المشركين الذين يميلون في أسماء الله، فيُسمون بها آلهتهم أو يَزيدون فيها أو يُنكرون بعضها، سيَجزي الله الذين يُلحِدون في أسمائه عذابًا عظيمًا علىٰ جميع ما كانوا يعملونه من الكفر والإلحاد في أسمائه(٢).

◆ ◆ ◆

(١) يُنظر: «المقابسات» للتوحيدي (ص: ٢٨٠)، و«المفردات» (ص: ٥٨٧)، و«الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة» للراغب (ص: ٢٩٤)، و«البرهان في علوم القرآن» للزركش (٤/ ٨٣)، و«فتح الباري» لابن رجب (١/ ٦)، و«التحبير شرح التحرير» للمَرْدَاوي (٥/ ٢١٤٤)، و«مُعترَك الأقران» للسيوطي (٣/ ٤٨٧).

(٢) يُنظر: «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٦- ٥٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٧/ ٣٢٥- ٣٢٨)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩، ١٧٠)، و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (٩/ ١٩٠)، و«العذب النمير» للشنقيطي (٤/ ٣٥١ - ٣٥٧).

المبحث الثاني:

مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝١٧٩ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩ - ١٨١].

عند التأمل في مناسبة آية الأسماء الحسنىٰ للآية التي قبلها، يتبين أن من الغفلة عدم العلم بأسماء الله، والجهل بمعانيها، وتَرْك دعاء الله بها.

وأن عدم الاعتبار بآيات الله، وعدم التفقه في تزكية الأنفس بالعلم الصحيح - يُسبِّب الغفلة التامة عن ذكر الله وشكره، والثناء عليه سبحانه.

وأن علىٰ مَن ابتُلي بالغفلة وعدم الانتفاع بقلبه وبصره وسمعه - أن يدعو الله بأسمائه الحسنىٰ أن يهديه وأن يُصْلِح شأنه.

وأن من أسباب الضلال والغفلة الجهل بأسماء الله وصفاته(١).

وبعد أن ذَكَر الله آية الأسماء الحسنىٰ، قال سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

---

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، و«نَظْم الدُّرَر» للبِقاعي (٨/ ١٧٥)، و«المنار» لرَشيد رضا (٩/ ٣٦١)، و«تفسير السعدي» (ص: ٣٥)، و«التوسل» للألباني (ص: ٣٠)، و«فتح رب البرية بتلخيص الحَموية» لابن عثيمين (ص: ١٢٢).

وعند التأمل في مناسبة آية الأسماء الحسنىٰ للآية التي بعدها، يتبين التأكيد علىٰ أن المؤمن الحق هو الذي يَترك الضالين الملحدين في أسماء الله، وأن عليه أن يجالس أهل الحق المهتدين.

وبعد أن ذَمَّ الله مَن يَستحق الذم كالذين يُلحِدون في أسمائه، مَدَح مَن يَستحق المدح، وهم الذين يؤمنون بأسماء الله وصفاته، ويَدْعُون الله بأسمائه، ولا يُلحِدون فيها. وهذا الذم والمدح بحق هو من العدل المذكور في ختام هذه الآية(١).

وفي ذلك: بيان أن الدعوة إلىٰ توحيد الله في أسمائه وصفاته، وعدم الإلحاد فيها- هو من صفات أهل الحق، ومن الحق الذي يجب الدعوة إليه.

وفي ذلك أيضًا: بيان أهمية دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ لمن يَدْعُون الخلق إلىٰ الله.

وأن الإلحاد في أسماء الله وصفاته من الباطل الذي يجب التحذير منه، وأن الدعوة إلىٰ الإلحاد في أسماء الله من صفات أهل الباطل، وأنه من الظلم العظيم.

وفي ذلك بشارة من الله سبحانه أنه يُقيِّض لأهل الإسلام، ولعقيدة التوحيد والأسماء والصفات في كل زمان، مَن يَذُب عنها، ويَدفع عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وأن الخير باقٍ في هذه الأمة، وأنه لا يخلو زمان من قائمين علىٰ الحق، داعين إليه، سواء ظَهَر صِيتهم بين الناس أو لم يَظهر(٢)، وفي حديث ثوبان اليماني ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يَضرهم مَن خَذَلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**»(٣).

---

(١) يُنظر: «التأويلات النجمية» لابن عمر (٣/ ٩٤)، و«نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٧)، و«التفسير الوسيط» لطنطاوي (٥/ ٤٤٢، ٤٤٣).

(٢) يُنظر: «المُحَرَّر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٤٨٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تَزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يَضرهم =

وأن الحق والعلم مكانهما، مَن طَلَبهما وَجَدهما، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (إن العلم والإيمان مكانهما، مَن ابتغاهما وَجَدهما)(١).

= مَن خالفهم»، (٣/ ١٥٢٣)، رقم (١٩٢٠).

(١) رواه الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه، (٥/ ٦٧١)، رقم (٣٨٠٤)، وحَسَّنه، وصححه الحاكم في «المُستدرَك» (٣/ ٤٧٠)، رقم (٥٧٥٨) ووافقه الذهبي.
وصححه الألباني في «التعليقات الحِسان على صحيح ابن حِبان»، (١٠/ ٢٤٠)، رقم (٧١٢١).

المبحث الثالث:

الهدايات الخاصة بالآية

من الهدايات التي يمكن أن نستفيدها من قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ما يأتي:

١- يستفاد من مناسبة هذه الآية للآية التي قبلها، وهي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أن من الغفلة المذمومة عدم العلم بأسماء الله، والجهل بمعانيها، وتَرْك دعاء الله بها، وأن ذلك من أسباب دخول النار(١).

٢- يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن عدم الاعتبار بآيات الله، وعدم التفقه في تزكية الأنفس بالعلم الصحيح- يُسبِّبان الغفلة التامة عن ذكر الله وشكره والثناء عليه(٢).

٣- يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن مَن ابتُلي بالغفلة وعدم الانتفاع بقلبه وبصره وسمعه- أن يدعو الله بأسمائه الحسنى أن يهديه ويُصْلِح شأنه(٣).

٤- يستفاد من مناسبة الآية لما قبلها أن من أسباب الضلال والغفلة الجهل

---

(١) يُنظر: «نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٥).

(٢) يُنظر: «المنار» (٩/ ٣٦١).

(٣) يُنظر: «التوسل» (ص: ٣٠).

بأسماء الله وصفاته، فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم ما يَعصمالعبد من الضلال والغفلة؛ لأنها تُثمِر تعظيم الله سبحانه، والمعرفة باطلاعه علىٰ عباده، وقدرته عليهم(١).

٥- الأسماء السُّوأَىٰ للكفار ولمعبوداتهم الذين استحقوا النار بتعطيلهم حواسهم- يؤخذ من مناسبة الآية لما قبلها، فبعد أن ذم الله المشركين الذين يَعبدون الأصنام مَدَح نفسه بأن له الأسماء الحسنىٰ(٢).

٦- أفظع أحوال المشركين هو حال إشراكهم بالله؛ لأن في الشرك بالله إبطالًا لصفة الوحدانية الخاصة بالله تعالىٰ. يؤخذ هذا من مناسبة توسط هذه الآية في خلال آيات ذم المشركين(٣).

٧- في الشرك تعطيل كثير من صفات الله سبحانه، يؤخذ هذا مما أُخذت منه الهداية السابقة(٤).

٨- التنبيه علىٰ أن المُوجِب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله سبحانه وعن أسمائه الحسنىٰ، يؤخذ هذا من ختم الآية السابقة بذم الغفلة، والأمر في هذه الآية بدعاء الله بأسمائه الحسنىٰ(٥).

٩- كثرة أسماء الله الحسنىٰ وفضلها وشرفها، فعن أبي هريرة ﵁، أن النبي ﷺ

---

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، و«تفسير السعدي» (ص: ٣٥)، و«فتح رب البرية» (ص: ١٢٢).

(٢) يُنظر: «نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٥).

(٣) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩ / ١٨٥).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) يُنظر: «حاشية الطيبي علىٰ الكشاف» للطِّيبي (٦/ ٦٨٢).

قال: «لله تسعة وتِسعون اسمًا، مَن أحصاها دخل الجنة»[(١)].

١٠- كثرة أسماء الله الحسنىٰ تدل علىٰ عظمته، وكمال ذاته وصفاته، وتفيد أن الكمال المطلق له سبحانه وحده دون ما سواه[(٢)].

١١- أسماء الله توقيفية، يؤخذ هذا من قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾ بلفظ التعريف، فدل علىٰ أنها معلومة بالشرع، فلا يَجوز تسمية الله باسم لم يَرِد منصوصًا ولو كان يقتضي مدحًا خالصًا.

ومثل أسمائه صفاته، فهي توقيفية، فلا يجوز وصف الله بصفة لا دليل عليها. وينبغي الاحتياط العظيم في إثبات صفات الله سبحانه؛ خوفًا من أن نقول علىٰ الله ما لا نعلم، فلا نَعُدّ من الصفات ما كان في ثبوت دليله نظر أو في دلالته احتمال معتبر، ولا سيما إذا كان لا يُعْرَف إثباتها عن السلف الصالح رحمهم الله، الذين هم أعلم منا وأتقىٰ[(٣)].

١٢- أسماء الله سبحانه كلها حسنىٰ، بالغة الغاية في حُسن الألفاظ والمعاني، والدلالة علىٰ كمال الصفات والعظمة، والتنزه عن النقص[(٤)].

١٣- لا يوجد في الأسماء أحسن من أسماء الله، ولا يقوم غيرها مَقامها، ولا

(١) تقدم تخريجه (ص٣٦).

(٢) يُنظر: «نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: «شرح السُّنة» للبَرْبهاري (ص: ٤٠)، و«اشتقاق أسماء الله» للزَّجَّاجي (ص: ٦٣)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٩/ ٤٧٩- ٤٨٣)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ٢٣٥)، و«البحر المحيط في التفسير» لأبي حيان (٥/ ٢٣١)، و«إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات إلىٰ المذهب الحق من أصول التوحيد» لابن الوزير (ص: ٣٠٨)، و«الإكليل» للسيوطي (ص: ١٣١).

(٤) يُنظر: «التفسير الكبير» للرازي (١٥/ ٤١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٦)، و«إيثار الحق» (ص: ١٦٦)، و«نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٥)، و«القواعد المُثْلَىٰ» (ص: ٦).

يَسُد غيرها مَسَدّها، ولا يؤدي معناها أي لفظ من كل وجه[(١)].

١٤- كل اسم ليس حسنًا في لفظه أو معناه، فليس من أسماء الله، كالضار[(٢)].

١٥- كل اسم لا معنىٰ له أو يدل علىٰ صفة نقص، فليس من أسماء الله الحسنىٰ[(٣)].

١٦- اسم الله الأعظم هو (الله) لأنه متضمن كل اسم، وجميع الأسماء الحسنىٰ تابعة له، مضافة إليه، ولا يضاف اسم (الله) إليها. وقيل: المراد بالاسم الأعظم جميع أسماء الله الحسنىٰ، فكلها عظيمة. وقيل غير ذلك.

والأرجح هو القول الأول، وقد نُسِب إلىٰ أكثر العلماء، وإلىٰ المحققين، والله أعلم[(٤)].

١٧-تأكيد استحقاق الله أسماءه الحسنىٰ، وثبوتها له بلا شك، يؤخذ هذا من معنىٰ اللام الداخلة علىٰ لفظ الجلالة المفيدة للاستحقاق، ومن تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٥)].

---

(١) يُنظر: «فقه الأدعية والأذكار» للعَبَّاد (١/ ١٣٣).

(٢) يُنظر: «زاد المَسِير» لابن الجوزي (٢/ ١٧٢)، و«إيثار الحق» (ص: ١٦٢)، و«معجم المناهي اللفظية» لبكر أبو زيد (ص: ٣٧٠، ٣٧١).

(٣) ينظر: «تفسير السعدي» (ص: ٣٠٩).

(٤) يُنظر: «تفسير أسماء الله الحسنىٰ» للزَّجَّاج (ص: ٢٤، ٢٥)، و«التوحيد» لابن مَنْدَه (٢/ ٢١)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/٣٤٣)، و«الرَّوْض الأُنُف» للسُّهيلي (١/ ٢٠٢ - ٢٠٧)، و«التفسير الكبير» (١/ ١١١)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٢٤، ٢٢٥)، و«السراج المنير» للشربيني (١/ ٦)، و«رُوح البيان» لحقي (٣/ ٢٨٤)، و«لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ٣٥)، و«رُوح المعاني» للألوسي (٥/ ١١٥).

(٥) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٦).

١٨- أهمية العلم بأسماء الله وصفاته، فهي تَزيد الإيمان، وتَحث الإنسان علىٰ تقوىٰ الله، والاجتهاد في عبادته، وطلب مرضاته(١).

١٩- لا ينبغي الاقتصار علىٰ تعلم بعض أسماء الله الحسنىٰ، بل ينبغي تعلمها كلها بقدر الاستطاعة؛ فكثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المسمىٰ ومِن الخطأ والتقصير ذِكر بعضها في كتب الاعتقاد، وعدم حث طلاب العلم علىٰ حفظها(٢).

٢٠- فَضْل العلم بأسماء الله الحسنىٰ، ورفعة قدر مَن يَحفظها، ويؤخذ منه فضل مَن يَحفظ القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم متضمن لأسماء الله الحسنىٰ(٣).

٢١- الأسماء الحسنىٰ ليست إلا لله وحده، وكذلك الصفات الكاملة ليست إلا لله وحده، يؤخذ من تقديم الجار والمجرور المفيد للحصر، فكمال الله لذاته، وكل ما سواه فانٍ ناقص(٤).

٢٢- كما أن ذات الله أكمل الذوات، فأسماؤه وصفاته أكمل الأسماء والصفات(٥).

٢٣- معرفة كمال الله وما يجب له من أسمائه الحسنىٰ من تمام التوحيد؛ لأن كمال الذات بأسمائها الحسنىٰ وصفاتها الشريفة، ولا كمال لذات ليس لها اسم ولا صفة(٦).

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، و«تفسير السعدي» (ص: ٣٥)، و«فتح رب البرية» (ص: ١٢٢).

(٢) يُنظر: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزآبادي (١/ ٨٨)، و«إيثار الحق» (ص: ١٥٧، ١٥٨)، و«رُوح البيان» لحقي (٣/ ٢٨٥).

(٣) يُنظر: «رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز» للرَّسْعَني (٢/ ٣١٧).

(٤) يُنظر: «التفسير الكبير» (١٥/ ٤١٤)، و«نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٥).

(٥) يُنظر: «معارج التفكر ودقائق التدبر» للميداني (٥/ ٥٥).

(٦) يُنظر: «إيثار الحق» (ص: ١٥٧).

٢٤- الاسم للمسمىٰ، ولا يقال: (الاسم هو المسمىٰ)، ولا (الاسم غير المسمىٰ) فإن الخلاف في هذا من الأمور الحادثة، والصواب ترك الخوض في هذه المسألة الكلامية، والاكتفاء بما أَخْبَرَ الله في هذه الآية من كون أسمائه له، ولم يقل: هي نفس المسمىٰ ولا هي غيره(١).

٢٥- وَصْف أسماء الله بالحسنىٰ يدل علىٰ ثبوت صفات كمال حقيقي لكل اسم منها(٢).

٢٦- تعريف الله عباده بأسمائه الحسنىٰ رحمة بهم؛ ليَعرفوا قدره، ويدعوه بها، ولم يكلفهم معرفتها بعقولهم(٣).

٢٧- في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ تفريع عن كونها أسماء لله، وعن كونها حسنىٰ، أي: فلا حرج في دعاء الله بها؛ لأنها أسماء متعددة لمسمىٰ واحد، ولأنها حُسنىٰ(٤)، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

٢٨- وجوب دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ، فالأصل في الأمر بالدعاء بها الوجوب(٥).

---

(١) يُنظر: «صريح السُّنة» للطبري (ص: ٢٦)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ١٨٧- ٢٠١).

(٢) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٧)، و«القواعد المثلىٰ» (ص: ٦ – ٨).

(٣) يُنظر: «التوحيد» لابن مَنْدَه (٢/ ١٤)، و«لطائف الإشارات» للقُشيري (١/ ٥٩٠)، و«تفسير الشعراوي» (٧/ ٤٤٨٢).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٧).

(٥) يُنظر: «التفسير الكبير» (١٥/ ٤١٥)، و«إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول» للشوكاني (١/ ٢٤٧ – ٢٥٣)، و«التفسير المنير» للزحيلي (٩/ ١٧٦)، و«أيسر التفاسير» للجزائري (٢/ ٢٦٦).

٢٩- لا حرج في دعاء الله بكل ما يدل على صفاته وبأفعاله. يؤخذ هذا مما أُخذت منه الهداية السابقة بالإشارة[١]، فباب الإخبار أوسع من باب التسمية، فيَجوز أن يقول الداعي مثلًا: (يا سميع الدعاء)، (يا هادي الحيارى)، (يا مُجري السحاب)، (يا هازم الأحزاب) ونحو ذلك من المعاني الصحيحة[٢].

ويدل على مشروعية ذلك حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «اللهم مُنْزِل الكتاب، ومُجْرِي السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»[٣].

٣٠- تفضيل دعاء الله بأسمائه الحسنى على دعائه بغير الأسماء الحسنى. يؤخذ هذا من تخصيص الأسماء الحسنى بدعاء الله بها، وإن كان دعاء الله بأفعاله مشروعًا، كما تقدم في الهداية السابقة.

٣١- دعاء الله بأسماء الله المُناسِبة للحال، فيَطلب الداعي بكل اسمٍ ما يليق به، كأن يقول الفقير: (يا رزاق ارزقني، يا وهاب أعطني)[٤]، فقد أَمَر الله بدعائه

---

(١) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٧).

(٢) يُنظر: «المَقصِد الأسنى» للغزالي (ص: ١٧٤، ١٧٥)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: كان النبي ﷺ إذا لم يُقاتِل أول النهار، أَخَّر القتال حتى تزول الشمس (٤/ ٥١)، رقم (٢٩٦٥)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء (٣/ ١٣٦٢)، رقم (١٧٤٢).

(٤) يُنظر: «أحكام القرآن» (٢/ ٣٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٧).
وقد حَقَّق الشنقيطي أنه يَجوز أن يقول الداعي: (يا حكيم اغفر لي)، أو: (يا رزاق ارحمني) لأن أسماء الله سبحانه كلها متلازمة، وكل صفة في واحد منها تَستلزم جميع الصفات الأخرى؛ لعظمة صفات الله ﷻ، واستلزام كل واحدة منها غاية الكمال والجلال. يُنظر: «العذب النمير» للشنقيطي (٤/ ٣٥٢).

بأسمائه، وهذا الأمر مطلق، يتحقق بدعاء الله بأي اسم من أسمائه، ويُستحسن أن يكون الاسم مناسبًا للدعاء.

ويدل علىٰ مشروعية المناسبة قوله سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، وقوله ﷺ: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٣٢- مشروعية افتتاح الدعاء أو ختمه باسم من أسماء الله الحسنىٰ المُناسِبة للدعاء؛ فقد أَمَر الله بدعائه بأسمائه، وهذا الأمر مطلق، يتحقق بدعاء الله في أول الدعاء أو أثنائه أو ختامه(١).

كما قال الله تعالىٰ حاكيًا عن دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، فذَكَرُوا اسم (الرب) في أول الدعاء، واسم (الوهاب) في آخِر الدعاء.

وكما في الدعاء الذي عَلَّمَنا الله في آخِر (سورة البقرة) ذُكِر اسم الله (المولىٰ) في أثنائه: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٣٣- دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ في كل ما يَحتاج المسلم إليه من الأشياء الكبيرة والصغيرة(٢)، يؤخذ هذا من إطلاق الأمر بالدعاء، من غير تقييد بشيء كبير أو صغير.

٣٤- مشروعية دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ علىٰ سبيل التفصيل أو علىٰ سبيل الإجمال، كأن يقول: أسألك بأسمائك الحسنىٰ(٣).

---

(١) يُنظر: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام» لابن القيم (ص: ٣١٨).

(٢) يُنظر: «شُعَب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٣٧٤).

(٣) يُنظر: «معارج التفكر» (٥/ ٥٥).

٣٥- دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ يُقرِّب العبد من الله. يؤخذ هذا من كونها أسماء كاملة، فمَن دعا الله بها أفاض عليه من كمالاتها[١].

٣٦- مشروعية الثناء علىٰ الله بذكر أسمائه، سواء عند طلب الحاجات أو لمجرد التعظيم.

يؤخذ هذا من كون الدعاء يطلق علىٰ دعاء المسألة ودعاء العبادة[٢]، ومن تعظيم الله بذكر أسمائه الحسنىٰ قول الله حاكيًا تعظيم الملائكة له في غير مَقام الدعاء: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

٣٧- فَضْل ذِكر الله وكثرة فوائده، يؤخذ هذا من أمر الله بدعائه والثناء عليه بأسمائه.

ومن فوائد الذِّكر: زيادة الإيمان، ومراقبة الله، وحبه، والخشوع له، والرغبة في ثوابه، والصبر علىٰ مصائب الدنيا، وعدم الحزن علىٰ ما يفوت المؤمن من متاع الدنيا الفانية[٣].

٣٨- مشروعية قول الداعي في دعائه: (يا الله)، (يا رحمن)، وغير ذلك من الأسماء الحسنىٰ، فأفضل الدعاء دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ، وقد أَمَر الله أمرًا مطلقًا بدعائه بجميع أسمائه، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠][٤]، ويُشْرَع عند دعاء الغير التأمين، كما

---

(١) يُنظر: «تبصير الرحمن» للمَهَايمي (١/ ٢٧٤).

(٢) يُنظر: «أدب النفس» للحكيم الترمذي (ص: ١٣)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٤٤، ٢٤٥)، و«المنار» (٩/ ٣٦١).

(٣) يُنظر: «المنار» (٩/ ٣٦١).

(٤) يُنظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٤٨٠)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» لابن تيمية (٢/ ٢٠٤).

ورد في الأحاديث الصحيحة[(١)].

٣٩- وجوب تسمية الله بأسمائه الحسنىٰ؛ فقد أَخْبَرَنا الله بأنها له، فيجب أن نُصَدِّقه فيما أخبرنا به، وأن نسميه بما سَمَّىٰ به نفسه[(٢)].

٤٠- الحث علىٰ فَهْم أسماء الله الحسنىٰ، فدعاء الله يتحقق تحققًا كاملًا إذا عَلِم الداعي معاني أسماء الله سبحانه[(٣)].

٤١- ادعاء مدح الرب بنفي أسمائه وصفاته من أعظم مكائد الملاحدة للإسلام، فقد عكسوا المعلوم شرعًا وعقلًا[(٤)].

٤٢- دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ من أسباب إجابة الدعاء[(٥)]، فقد أَمَرَنا الله بدعائه بأسمائه ليستجيب لنا، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٤٣- الحث علىٰ ذكر الله والثناء عليه، وعدم الغفلة عن دعائه. يؤخذ هذا من الأمر بدعاء الله سبحانه، وهو يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة[(٦)].

٤٤- الحث علىٰ معرفة أسماء الله الحسنىٰ، وجَمْعها وحِفظها ومعرفة معانيها؛ مِن أجل دعاء الله بها، دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

(١) من ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري (٧٨٢) واللفظ له، ومسلم (٤١٠).

(٢) يُنظر: «أنوار التنزيل» للبيضاوي (٣/ ٤٣)، و«إيثار الحق» (ص: ١٥٧).

(٣) يُنظر: «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٣٥، ١٣٦).

(٤) يُنظر: «إيثار الحق» (ص: ١٥٧).

(٥) يُنظر: «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٣٠٥).

(٦) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٤٤، ٢٤٥)، و«تفسير الشعراوي» (٧/ ٤٤٨٣).

فدعاء المسألة يتحقق تحققًا كاملًا إذا عَلِم الداعي معاني أسماء الله سبحانه، فيدعو الله بها دعاء مسألة، وهو يَعلم معانيها. ودعاء عبادة بالتعبد لله بها، وذلك بأن يَفهم معنىٰ الاسم الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه، حتىٰ يمتلئ قلبه منه، ويتعبد لله بالاتصاف بما يَصلح اتصاف العبد به منها[(١)].

٤٥- كل مَن كان وقوفه علىٰ أسرار حِكَم الله في مخلوقاته أكثر- كان علمه بمعاني أسماء الله الحسنىٰ أكثر[(٢)].

يؤخذ هذا من ذكر الله بعد هذه الآية الأمر بالتفكر في مخلوقاته، قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٤٦- كَرَم الله ورحمته بعباده حين أَمَرهم أن يدعوه بأسمائه، ويَرجعوا إليه بالدعاء فيما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم[(٣)].

٤٧- وجوب الإخلاص لله، وإفراده بالدعاء والعبادة، وحرمة الشرك بدعاء غيره.

يؤخذ هذا من أمر الله بدعائه وحده في هذه الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨][(٤)].

٤٨- مشروعية دعاء الله بأي اسم من أسمائه، وعدم جواز دعاء أي صفة

(١) يُنظر: «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٠، ٤٢١)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٤)، و«القواعد الحسان لتفسير القرآن» للسعدي (ص: ١٢٨)، و«فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٣٥، ١٣٦).

(٢) يُنظر: «غرائب القرآن» للنَّيْسَابوري (٣/ ٣٥١).

(٣) يُنظر: «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٩٣).

(٤) يُنظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٥).

من صفاته؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة لا تُصْرَف إلا لله وحده المتصف بصفات الكمال، فلا يجوز دعاء الصفة، كأن يقول الداعي: (يا رحمة الله)، (يا قوة الله)، (يا عِزة الله) لأن هذا الدعاء يقتضي أن الصفة شيء مستقل عن الله، يَسمع ويُجيب، وصفات الله قائمة به سبحانه، والله سبحانه بصفاته إله واحد لا شريك له(١).

وأما الاستعاذة بالصفة فهو مشروع، وليس من دعاء الصفة(٢)، ومِن ذلك ما جاء في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم عَلَّمَه رقية لإزالة الوجع، فقال: «امسح بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» (٣).

٤٩- مشروعية التوسل إلىٰ الله في دعائه بأسمائه الحسنىٰ، وعدم جواز التوسل إلىٰ الله في دعائه بأحد من خلقه؛ لأن الله أَمَر عباده أن يتوسلوا إليه في دعائه بأسمائه، ولم يأذن لهم بالتوسل بغيره في دعائه(٤).

٥٠- ذم الملحدين في أسماء الله سبحانه(٥).

---

(١) يُنظر: «الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح» لابن تيمية (٣/ ٢٢٧، ٢٧٥، ٣١٥)، و«الاستغاثة في الرد علىٰ البكري» لابن تيمية أيضًا (ص: ١١٤)، و«معجم المناهي اللفظية» (ص: ٥٦٠).

(٢) يُنظر: «فتاوىٰ ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١/ ١١٧)، و«مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين» (٢/ ١٦٤).

(٣) رواه الترمذي، أبواب الطب عن رسول الله ﷺ (٤/ ٤٠٨)، رقم (٢٠٨٠)، وصححه الترمذي، وهو في «صحيح مسلم»، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده علىٰ موضع الألم مع الدعاء (٤/ ١٧٢٨)، رقم (١٧٢٨)، بلفظ: «ضع يدك علىٰ الذي تَألَّم من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر».

(٤) يُنظر: «المنار» (٩/ ٣٦١)، و«التوسل» (ص: ٣٠)، و«التفسير الوسيط» (٥/ ٤٤١).

(٥) يُنظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (٥/ ٣٨٥).

٥١- حرمة الإلحاد في أسماء الله بالميل بها عن معانيها العظيمة، أو بتعطيلها عن صفات الكمال، أو إنكار معانيها، أو بتسمية الله بغير ما سَمَّىٰ به نفسه، أو بتسمية بعض عباده بأسمائه الخاصة به، أو باشتقاق أسماء منها للأصنام، أو بإشراك غير الله في معاني أسمائه الخاصة به كالألوهية(١).

٥٢- النهي عن اتباع سُبل الملحدين في أسماء الله علىٰ مختلف طرائقهم، وتعدد صور إلحادهم(٢).

يؤخذ هذا من قوله سبحانه: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾، فـ (الذين) اسم موصول يدل علىٰ العموم(٣).

٥٣- مَن شَبَّه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه؛ لميله فيها عن الواجب في حقه سبحانه(٤).

٥٤- حرمة ذكر العبد ربه بلفظ لا يَعرف معناه؛ فربما كان ذلك اللفظ غير لائق بجلال الله، فيقع في الإلحاد في أسمائه سبحانه(٥).

٥٥- كما يجب تنزيه الله سبحانه عن جميع النقائص، فكذلك يجب تنزيه أسمائه الحسنىٰ(٦)؛ لأن الله تعالىٰ وَصَفها بالحسنىٰ، فهي أسماء عظيمة، مقدسة.

---

(١) يُنظر: «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن»، نرجو من الأخ المنسق ضبط أرقام الصفحات بعد الانتهاء من جميع التنسيقات، وبارك الله فيه (٧/ ٣٢٨)، و«جامع الرسائل» لابن تيمية (١/ ١٧١)، و«المنار» (٩/ ٣٦٩ – ٣٧٤).

(٢) يُنظر: «معارج التفكر» (٥/ ٥٧).

(٣) يُنظر: «إرشاد الفحول» (١/ ٢٩١).

(٤) يُنظر: «نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٦).

(٥) يُنظر: «التفسير الكبير» (١٥/ ٤١٧).

(٦) يُنظر: «لُباب التأويل» للخازن (٢/ ٢٧٦).

٥٦- وجوب الإعراض عن الذين يُلحِدون في أسماء الله وصفاته، وبُغضهم، والبراءة منهم، وتَرْك مجالستهم(١).

يؤخذ هذا من قوله سبحانه: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾، والأصل في الأمر أنه للوجوب(٢).

٥٧- خطورة مجالسة جميع أصحاب البدع والأهواء، الضالين في أسماء الله وصفاته، أو الضالين في غير باب الأسماء والصفات، فقد أَمَر الله بترك الملحدين في أسمائه للسلامة من ضلالهم. ومِثلهم الضالون في غير الأسماء والصفات، بجامع العلة المشتركة، وهي السلامة من شرهم.

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٠].

٥٨- الإصغاء لكلام الملحدين في أسماء الله، ومِثلهم غيرهم من أهل البدع- سببٌ لفتنة الإنسان بشبهاتهم(٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**يكون في آخِر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلونكم ولا يفتنونكم**»(٤).

---

(١) يُنظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٥- ٣٢٨)، و«الفواتح الإلهية» للنَّخْجُواني (١/ ٢٧٥)، و«لُباب التأويل» (٢/ ٢٧٦).

(٢) يُنظر: «إرشاد الفحول» (١/ ٢٤٧ – ٢٥٣).

(٣) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٩).

(٤) رواه مسلم، المقدمة، باب في الضعفاء والكذابين ومَن يُرغَب عن حديثهم (١/ ١٢)، رقم (٧).

٥٩- عدم مجادلة الملحدين في أسماء الله وصفاته ما داموا مُصِرِّين علىٰ باطلهم، وعدم المبالاة بهم، ومِثلهم جميع الملحدين بمختلف طرائقهم(١)، إلا مَن كان قصده الحق فلا بأس بمجادلته بالتي هي أحسن، أو مجادلة بعض المعاندين لمصلحة عامة.

٦٠- الحذر من اتباع ما يقول الملحدون في أسماء الله سبحانه ودينه، وإن لم تَحصل مجالسة لهم(٢)؛ فإن الأمر بتركهم أمر بترك اتباع أقوالهم.

٦١- تفويض أمر عقوبة الملحدين في أسماء الله إلىٰ الله العزيز القهار، في حال العجز عن عقوبتهم العقوبة الشرعية، فسيتولىٰ عقوبتهم الله سبحانه. يؤخذ هذا من الأمر بتركهم في هذه الآية المكية، ومن الإخبار بعقوبة الله لهم(٣).

وأما في حال القدرة عليهم، فعلىٰ الحاكم المسلم والقاضي الشرعي الاجتهاد في إنزال العقوبة المُناسِبة بهم.

٦٢- علىٰ المسلمين أن لا يَحزنوا لإلحاد الملحدين؛ لأن الله العظيم الجبار سيتولىٰ عقوبتهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٦](٤).

٦٣- الوعيد بالنار للذين يُلحِدون في أسماء الله وصفاته(٥)، يؤخذ هذا من

(١) يُنظر: «بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٥٧٠)، و«التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٩).

(٢) يُنظر: «زَهْرة التفاسير» لمحمد أبو زُهْرة (٦/ ٣٠١٥).

(٣) يُنظر: «رُوح المعاني» (٥/ ١١٧)، و«التحرير والتنوير» (٩/ ١٩٠).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٩٠).

(٥) يُنظر: «جامع البيان» (١٠/ ٥٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٢٨، ٣٢٩).

قوله سبحانه: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٦٤- تحذير الملحدين في أسماء الله من عذاب الله[(١)]، يؤخذ هذا من ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٦٥- تنفير المسلمين من الإلحاد في أسماء الله، كفعل المشركين[(٢)].

٦٦- الانحراف عن الوسط مذموم شرعًا. يؤخذ هذا من معنىٰ الإلحاد وهو الميل[(٣)].

فيُشْرَع التوسط والاقتصاد في الاعتقاد، باتباع النصوص الثابتة، ومعرفة مراد الله ورسوله منها. ومِن ذلك الحذر من الغلو في نفي الصفات أو إثباتها[(٤)].

٦٧- مَن نفىٰ اسمًا عن الله لعدم الدليل علىٰ كونه من الأسماء الحسنىٰ- لا يوصف بالإلحاد في أسماء الله. يؤخذ هذا من قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث أضاف الأسماء إلىٰ الله، فدل علىٰ أن المقصود أسماؤه التي ثَبَتَ في الشرع تسميته بها[(٥)].

٦٨- علىٰ القول بأن (في) للسببية والتعليل في قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يؤخذ منه ذم ووعيد الذين يَجعلون أسماء الله الحسنىٰ مَظهرًا من مظاهر الكفر، ووسيلة للتشنيع علىٰ الذين يُثبتونها لله سبحانه[(٦)].

(١) ينظر: «لُباب التأويل» (٢/ ٢٧٦)، و«تفسير السعدي» (ص: ٣٠٩).

(٢) يُنظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٠٥)، و«تفسير السعدي» (ص: ٣٠٩).

(٣) يُنظر: «المنار» (٩/ ٣٦٩).

(٤) يُنظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٦٥ - ١٩٠).

(٥) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٨٩).

(٦) يُنظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٩/ ١٨٩).

٦٩- في ذكر السين دون سوف في قوله سبحانه: ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ إشارة إلىٰ وقوع العذاب في الدنيا للملحدين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١]. يؤخذ هذا من تفريق النحاة البصريين بين السين وسوف في دلالتهما علىٰ التنفيس، حيث يرون أن (سوف) أبلغ تنفيسًا وأشد تراخيًا(١).

٧٠- يؤخذ من عدم تعيين وقت جزائهم في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أن الله سيعذبهم في الدنيا والبرزخ والآخرة(٢)، كما قال تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧].

٧١- إثبات البعث بعد الموت والجزاء في الآخرة؛ لأن أصل الجزاء الذي توعَّد الله به الملحدين سيكون في الآخرة، فهو العذاب الأكبر.

٧٢- صحة إطلاق العمل علىٰ القول والاعتقاد، فالملحدون في أسماء الله يُلحِدون فيها بأقوالهم واعتقادهم، فجَعَل الله ذلك عملًا في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣).

٧٣- إثبات علم الله بأعمال عباده؛ لأن مجازاة الله لهم بِناء علىٰ علمه الذي أحاط بكل شيء.

٧٤- مجازاة الملحدين بجميع أعمالهم السيئة، من الإلحاد وغيره، يؤخذ من

---

(١) يُنظر: «شرح المُفَصَّل» لابن يعيش (٥/ ٩٥، ٩٦)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ١٨٤)، و«هَمْع الهوامع» للسيوطي (٢/ ٥٩٤)، و«معاني النحو» للسامرائي (٤/ ٢٦، ٢٧).

(٢) يُنظر: «نَظْم الدُّرَر» (٨/ ١٧٧)، و«معارج التفكر» (٥/ ٥٧).

(٣) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٩٠).

عموم (ما) الموصولة في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(١)].

٧٥- تحقيق عذاب الملحدين. يؤخذ هذا من تأكيد جزائهم بالسين، فهي تفيد التأكيد[(٢)].

٧٦- في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بشارة بنصر الله لرسوله علىٰ أعدائه، وقد تحقق ذلك في الدنيا، وهذا من معجزات القرآن بالإخبار بالمغيبات التي وقعت كما أخبر[(٣)].

٧٧- تَجدُّد الكفر والإلحاد والمعاصي من الكفار. يؤخذ هذا من الفعل المضارع في قوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ولم يقل: سَيُجْزَوْنَ ما عَمِلوا[(٤)].

(١) يُنظر: «قطف الأزهار» للسيوطي (ص: ١٠٦٨) و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (٩/ ١٩٠).

(٢) يُنظر: «حاشية الطيبي علىٰ الكشاف» (٦/ ٦٧٧)، و«التحرير والتنوير» (٩/ ١٩٠).

(٣) يُنظر: «تأويلات أهل السُّنة» للماتُريدي (٥/ ١٠٠)، و«الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» [للقاضي عِياض] (١/ ٢٦٨).

(٤) يُنظر: «التحرير والتنوير» (٩/ ١٩٠).

المبحث الرابع:

سَرْد أسماء الله الحسنى بترتيب يُسهِّل حفظها

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسمًا، مَن أحصاها دخل الجنة» (١)، وفي رواية: **«مَن حَفِظها»** (٢).

والراجح أن معنى (أحصاها): أي: حَفِظها عن ظهر قلب، بدليل الرواية المُفسِّرة، وقد فسرها الإمام البخاري في «صحيحه» بالحفظ، فقال بعد روايته الحديث: (أحصيناه: حَفِظناه)(٣).

وقيل: معنى (أحصاها) أي: آمَن بها وعَرَف معانيها، ولا شك أن الإيمان بها واجب، وأما معرفة معانيها فهو أمر مشروع ينبغي الحرص عليه، ولكن لا يُفسَّر به الفضل المذكور في الحديث؛ فإن الحديث أَطْلَق هذا الفضل بمجرد الحفظ.

قال النووي: (معنى أحصاها: حَفِظها، هكذا فَسَّره البخاري والأكثرون، ويؤيده أن في رواية في الصحيح: «مَن حَفِظها دخل الجنة»، وقيل: معناه: مَن عَرَف معانيها وآمَن بها. وقيل: معناه: مَن أطاقها بحسن الرعاية لها، وتَخَلَّق بما يمكنه من

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٦).

(٢) هي رواية لمسلم (٢٦٧٧)، وفي رواية للبخاري (٦٤١٠): «لا يَحفظها أحد إلا دخل الجنة».

(٣) يُنظر: «صحيح البخاري» (٩/ ١١٨) بعد حديث رقم (٧٣٩٢).

العمل بمعانيها، والله أعلم)[١].

وأسماء الله تعالىٰ غير محصورة بعدد معين، قال ابن تيمية: (الأسماء الحسنىٰ التي مَن أحصاها دخل الجنة ليست شيئًا مُعيَّنًا، بل مَن أَحْصَىٰ تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله، دخل الجنة).

ثم قال: (الذي عليه جماهير المسلمين: أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين)[٢].

وهذه بعض أسماء الله الحسنىٰ، وهي تسعة وتسعون اسمًا، جمعتها من القرآن الكريم وما صح من السُّنة النبوية، ورَتبتُها بما يُسهِّل حفظها، حيث ابتدأتُ بالأسماء المجموعة في بعض الآيات، ثم ذكرتُ سائرها مُرتَّبة علىٰ حروف المعجم، إلا أن أَقرن بين اسمين لمناسبة ظاهرة[٣]، والله المُوفِّق:

---

(١) «الأذكار» (ص: ١٠١).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٣٨٠، ٣٨١).

وقد خَالَف ابنُ حزم الأندلسي ﷺ **جمهور العلماء**، وذهب إلىٰ أن أسماء الله الحسنىٰ محصورة في تسعة وتسعين اسمًا، وأنها لا تَزيد علىٰ هذا العدد. يُنظر: «المُحَلَّىٰ» لابن حزم (٦/ ٢٨٢).

والراجح ما ذهب إليه جمهور العلماء، وهو أن أسماء الله الحسنىٰ أكثر من أن تُحصَىٰ، وأن مَن حَفِظ منها تسعة وتسعين اسمًا- يُرجَىٰ له الفضل المذكور في الحديث بدخول الجنة، والله أعلم.

(٣) **للاطلاع علىٰ أدلة هذه الأسماء الحسنىٰ من القرآن الكريم والسُّنة النبوية يُنظر:** «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٣٤٠ - ٣٤٣)، و«شرح أسماء الله الحسنىٰ» للقحطاني (ص: ٧٧ - ٢٢٨)، و«قطف الجنىٰ الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» لعبد المحسن العَبَّاد (ص: ٨٥ - ٩٢)، و«أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في الكتاب والسُّنة» للرضواني (ص: ٤٦ - ٩٤).

وللاطلاع علىٰ مَن أثبت من العلماء كل اسم منها، مع ذكر أدلة كل اسم، يُنظر: «مُعتقَد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنىٰ» للتميمي (ص: ١٤٠ - ٢١٧)، وهو من أفضل الكتب في هذا الباب.

وقد ذَكَر بعض العلماء كثيرًا من الأسماء المضافة، أو التيوردت علىٰ سبيل الوصف والإخبار، ومِن ذلك: ذو الجلال والإكرام، مالك المُلك، نورالسموات والأرض، أحكم الحاكمين، خير =

- الله الرحمن الرحيم، المَلِك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، الخالق البارئ المصور، الحكيم.
- الحي القيوم، العلي العظيم.
- الأول الآخِر، الظاهر الباطن.
- القابض الباسط، المُقدِّم المُؤخِّر.
- الأعلىٰ المتعال، الأكرم الكريم.
- الإله الواحد، الأحد الصمد.
- البَرّ البصير، التواب.
- الجميل، الحاسب الحسيب، الحافظ الحفيظ، الحق الحَكَم، الحليم الحميد.
- الخبير، الخَلَّاق، الدَّيَّان.
- الرَّازق الرَّزَّاق، الرب الرءوف، الرفيق الرقيب.
- السُّبُّوح السميع السيد.
- الشافي الشاكر الشكور الشهيد.
- الصادق الطيب.

= الرازقين، عَلَّام الغيوب، قابل التَّوْب، شديد العقاب، ذو المغفرة، أهل التقوىٰ، أهل المغفرة، المحيي، المميت.

ومِن أوسع مَن جَمَع الأسماء الحسنىٰ العَلَّامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ﷺ فقد ذَكَر أكثر من مِائتي اسم، في كتابه «العواصم والقواصم» (٧/ ٢٢٩ – ٢٣٢)، ثم جَعَلها في كتابه «إيثار الحق علىٰ الخلق» (ص: ١٥٩) أكثر من مِائة وخمسين اسمًا، وفي كثير مما ذَكَره نظر.

- العالم العليم العفو.
- الغفار الغفور الغني، الفتاح.
- القادر القدير، القاهر القهار، القريب القوي.
- الكبير اللطيف.
- المبين المتين، المُجيب المَجيد، المحيط، المقتدر المُقيت، المليك المنان، المولىٰ.
- النصير الهادي.
- الوارث الواسع، الوِتْر الودود، الوكيل الولي الوهاب.

المبحث الخامس:

سُبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة

١- **تعليم الناس أسماء الله الحسنىٰ**؛ ليَعرفوا معانيها ومدلولاتها ولوازمها، وما تتضمن من الصفات العليا، فتمتلئ قلوبهم بعظمة الله وتعظيمه، ويَحرصوا علىٰ دعاء الله بها، ويَعلموا أنه المستحق وحده لِأن يُدعىٰ ويُتوكل عليه وحده دون غيره من الخَلْق، فيحرصوا علىٰ تحقيق الإيمان والتوحيد، والتقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة التي ترضيه.

٢- **الإيمان هو أساس الدين**، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِر والقَدَر خيره وشره، وهو اعتقاد وقول وعمل.

وإذا تَحقَّق الإيمان في الأفراد والمجتمعات حَصَل للمسلمين خير كثير في أمور دينهم ودنياهم، فتحقيق الإيمان أهم المقاصد الشرعية، ويجب أن يكون أعظم الأهداف الفردية والمجتمعية؛ فبه يحيا الفرد والمجتمع حياة طيبة سعيدة، وهو مفتاح كل خير، وفيه النجاة من العقوبات الإلهية، وفيه خير الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

٣- **التوحيد هو حق الله علىٰ العبيد، والإخلاص طريق الخلاص**، ولا سعادة للمسلم إلا بتحقيق التوحيد والإخلاص، فيجب علىٰ كل مسلم أن يَعرف التوحيد الذي هو أعظم الواجبات ليحققه، ويَعرف الشرك الذي هو أعظم المحرمات ليجتنبه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٣٦].

وخلاصة الدين الإسلامي هي توحيد الله سبحانه، وإفراده بالعبادة وحده دون ما سواه، ومَن عَمِل عملًا يَبتغي به أحدًا سوىٰ الله، فإن الله لا يقبله منه، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

٥- **العمل الصالح هو ثمرة الإيمان**، وهو لازم من لوازم الإيمان وجزء منه. ومِن العمل الصالح دعاء الله وحده في الصلاة وفي غير الصلاة.

وإذا كانت الأمة أفرادًا وجماعات تَحرص علىٰ العمل الصالح - ومِن أعظم ذلك دعاء الله سبحانه - فهي أمة صالحة، تسعىٰ لكل ما ينفعها في دينها ودنياها، فتعمل لدنياها كأنها تعيش أبدًا، وتعمل لآخرتها كأنها تموت غدًا، فتَجمع بين العمل الصالح لدينها ودنياها وآخرتها، كما عَلمَّنا الله في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٦- **كل إنسان ضعيف ناقص، فلا غنىٰ له عن الالتجاء إلىٰ الله في جميع أموره، في السراء والضراء**، فيُظهِر الإنسان عبوديته لله العظيم، ويُظهِر عجزه وشدة حاجته لمولاه الرحيم.

فيجب علىٰ المسلم أن يُكثر من دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ تضرعًا وخُفية، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

٧- **الحذر من الإلحاد في أسماء الله وصفاته بأي نوع من أنواع الإلحاد**، والحذر من الملحدين، وعدم مجالستهم، والتقرب إلىٰ الله بهجرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٨- **الخوف من عذاب الله في الدنيا والآخرة**، فالله مُطَّلِع علىٰ جميع أعمال عباده الظاهرة والباطنة، وهو يُمهِل ولا يُهمِل، وسيجازي عباده علىٰ جميع أعمالهم، فيجب علىٰ كل عاقل أن يخاف الله المحيط بعباده، وأن يستعد للقائه بالأعمال الصالحة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، وبالخوف من الله، ومراقبة الله، ومحاسبة كل إنسان لنفسه؛ تَصلح أعمال الفرد والمجتمع.

٩- **تعريف المسلمين بعظمة القرآن وفضله**، وأنه يَهدي الأمة للتي هي أَقْوَم في جميع أمورها، وأن فيه عِز الأمة وقوتها وصلاحها في دينها ودنياها؛ حتىٰ يَحرصوا علىٰ تعلمه، وتدبره، والعمل به، والتحاكم إليه.

الخاتمة

وبعد أن يَسَّر الله - بعونه وفضله - إتمام هذا البحث الذي بُيِّن فيه معنىٰ قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومناسبة الآية لما قبلها وما بعدها، وتم سرد (٧٧) هداية من هدايات الآية الكريمة؛ نَذكر في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات:

أهم نتائج البحث:

١- عناية العلماء باستنباط الهدايات القرآنية، فالقرآن العظيم لا تنقضي عجائبه وهداياته، ومجال استنباط الهدايات القرآنية مجال رحب واسع، ومَن أطال دراسة آية من القرآن الحكيم، وكَرَّر تدبرها، وأَكْثَرَ مِن تأملها؛ فسيَفتح الله له من هداياتها ما لا يجده في كتب التفاسير، فقد يَسَّر الله كتابه لكل مَن تَدبَّره، وأَقْبَل عليه.

٢- الحث علىٰ دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ.

٣- أهمية العلم بأسماء الله الحسنىٰ، وحِفظها، ومعرفة معانيها، ومعرفة صفات الله تعالىٰ الثابتة في كتاب الله وسُنة رسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم؛ حتىٰ يَعرف الناس عظمة الله وقدره، فيَحرصوا علىٰ تحقيق الإيمان، والتقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة.

٤- الحذر من الإلحاد في أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا، بأي نوع من أنواع الإلحاد التي ذكرها أهل العلم. والحذر من الغلو في نفي الصفات أو إثباتها بلا برهان.

٥- الغفلة عن معاني أسماء الله الحسنىٰ والجهل بها- من أعظم أسباب تفريط كثير من الناس في جَنْب الله سبحانه.

٦- فَضْل القرآن وعظمته، فهو يَهدي الأمة في كل زمان ومكان للتي هي أَقْوَم، وفيه عز الأمة وقوتها وصلاحها في دينها ودنياها، فيجب الحرص علىٰ تعلمه، وتَدبُّره، والعمل به، والتحاكم إليه.

التوصيات:

يوصي الباحثان بإفراد بحوث قرآنية تتعلق بالمشاكل الاجتماعية، وبيان علاجها من خلال الهدايات القرآنية ونشرها في المجلات البحثية الـمُحَكَّمة.

وكذلك الكتابة الموضوعية في كل اسم من أسماء الله الحسنىٰ، مع بيان المواضع التي ذُكر فيها في القرآن، واستخراج الهدايات القرآنية من معاني ذلك الاسم الكريم، والاستفادة من سياق الآيات التي ذُكر فيها.

ثبت المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - «أحكام القرآن»، ابن العربي، محمد بن عبد الله المَعافري الإشبيلي، تحقيق: محمد عطا، ط(٣)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤هـ).

٣ - «أدب النفس»، الحكيم الترمذي، محمد بن علي، ط(١)، مصر، الدار المصرية اللُّبنانية، (١٤١٣هـ).

٤ - «الأذكار»، النووي، يحيىٰ بن شرف، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط(٢)، بيروت، دار الفكر، (١٤١٤هـ).

٥ - «إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول»، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: أحمد عزو، ط(١)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤١٩هـ).

٦ - «الأزمنة والأمكنة»، المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ).

٧ - «الاستغاثة في الرد علىٰ البكري»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني، ط(١)، الرياض، دار المنهاج، (١٤٢٦ هـ).

٨ - «أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في الكتاب والسُّنة»، الرضواني، محمود بن عبد الرازق، ط(١)، مصر، مكتبة دار الرضوان، (١٤٢٥ هـ).

٩ - «الأسماء والصفات»، البيهقي، أحمد بن الحسين، ط(١)، جدة، مكتبة السوادي، (١٤١٣هـ).

١٠ - «اشتقاق أسماء الله»، الزَّجَّاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، ط(٢)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٦ هـ).

١١ - «الإكليل في استنباط التنزيل»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠١ هـ).

١٢- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد المرعشلي، ط(١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤١٨هـ).

١٣- «إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات إلىٰ المذهب الحق من أصول التوحيد»، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحَسَني اليمني ط(٢)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٧م).

١٤- «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، الجزائري، أبو بكر جابر بن موسىٰ، ط(٥)، المدينة النبوية، مكتبة العلوم والحِكَم، (١٤٢٤هـ).

١٥- «بحر العلوم»، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ).

١٦- «البحر المحيط في التفسير»، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، (١٤٢٠ هـ). (د. ط)

١٧- «بدائع الفوائد»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي. (د. ط) (د. ت).

١٨- «البرهان في علوم القرآن»، الزركشي، محمد بن عبد الله بن بَهادر، ط(١)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (١٣٧٦هـ).

١٩- «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، ط(١)، القاهرة، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (١٤١٦هـ).

٢٠- «بيان تلبيس الجَهْمية في تأسيس بِدَعهم الكلامية»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني، ط(١)، السعودية، مَجْمَع المَلِك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤٢٦هـ).

٢١- «تاج العروس»، الزَّبيدي، أبو الفيض محمد مرتضىٰ الحُسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. (د. ط) (د. ت).

٢٢- «التأويلات النجمية الكُبْرىٰ»، أحمد بن عمر بن محمد، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢٠٠٩ م).

٢٣- «تأويلات أهل السُّنة»، الماتُريدي، أبو منصور محمد بن محمد، تحقيق: مجدي باسلوم، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٦هـ).

٢٤- «تبصير الرحمن وتيسير المنان»، المَهايمي، علي بن أحمد، ط(٢)، بيروت، عالم الكتب، (١٤٠٣هـ).

٢٥- «التحبير شرح التحرير في أصول الفقه»، المَرْدَاوي، علاء الدين علي بن سليمان الصالحي، ط(١)، الرياض، مكتبة الرشد، (١٤٢١هـ).

٢٦- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس، الدار التونسية للنشر، (١٩٨٤م). (د. ط).

٢٧- «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان»، الألباني، محمد ناصر الدين، ط(١)، جدة، دار با وزير، (١٤٢٤هـ).

٢٨- «تفسير أسماء الله الحسنىٰ»، الزَّجَّاج، إبراهيم بن السري، ط(١)، دار الثقافة العربية، (د.ت).

٢٩- «التفسير البسيط»، الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، ط(١)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٣٠هـ).

٣٠- «تفسير السمعاني»، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط(١)، الرياض، دار الوطن، (١٤١٨هـ).

٣١- «تفسير الشعراوي – الخواطر»، الشعراوي، محمد متولي، ط(١)، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).

٣٢- «تفسير المنار»، رضا، محمد رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م). (د. ط).

٣٣- «التفسير المنير في العقيدة والشريعة»، الزُّحيلي، وهبة بن مصطفىٰ، ط(٢)، دمشق، دار الفكر المعاصر، (١٤١٨هـ).

٣٤- «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، طنطاوي، محمد سيد، ط(١)، القاهرة، دار نهضة مصر، (١٩٩٧م).

٣٥- «تهذيب اللغة»، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، ط(١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (٢٠٠١م).

٣٦- «التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد»، ابن مَنْده، محمد بن إسحاق، ط(١)، المدينة النبوية، مكتبة العلوم والحِكَم، (١٤٢٣هـ).

٣٧- «التوسل أنواعه وأحكامه»، الألباني، محمد ناصر الدين، ط(١)، الرياض، مكتبة المعارف، (١٤٢١هـ).

٣٨- «تيسير العزيز الحميد»، آل الشيخ، سليمان بن عبد الله، ط(١)، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، (١٤٢٣هـ).

٣٩- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ط(١)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ).

٤٠- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، ط(١)، دار هَجَر للطباعة والنشر والتوزيع،) ١٤٢٢هـ).

٤١- «جامع الرسائل»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني، ط(١)، الرياض، دار العطاء، (١٤٢٢هـ).

٤٢- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط(٢)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٣٨٤هـ).

٤٣- «جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط(٢)، الكويت، دار العروبة، (١٤٠٧هـ).

٤٤- «الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ط(٢)، الرياض، دار العاصمة، (١٤١٩هـ).

٤٥- «الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة»، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ط(١)، القاهرة، دار السلام، (١٤٢٨هـ).

٤٦- «الرسالة»، الشافعي، محمد بن إدريس، تحقيق: أحمد شاكر، ط(١)، مصر، مكتبة الحلبي، (١٣٥٨هـ).

٤٧- «رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز»، الرَّسْعَني، عبد الرازق بن رزق الله الحنبلي، ط(١)، مكة، مكتبة الأسدي، (١٤٢٩هـ).

٤٨- «رُوح البيان»، حقي، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الخَلْوتي، ط(١)، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٤٩- «رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، الألوسي، شهاب الدين محمود بن

عبد الله الحسيني، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).

٥٠- (الرَّوْض الأُنُف في شرح السيرة النبوية»، السُّهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، ط(١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤١٢هـ).

٥١- «زاد المَسِير في علم التفسير»، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ط(١)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤٢٢هـ).

٥٢- «زَهْرة التفاسير»، أبو زَهْرة، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ، دار الفكر العربي. (د. ط) (د. ت).

٥٣- «السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، ط(١)، القاهرة، مطبعة بولاق، (١٢٨٥هـ).

٥٤- «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، الألباني، محمد ناصر الدين، ط(١)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ).

٥٥- «سُنن الترمذي»، الترمذي، محمد بن عيسىٰ، ط(٢)، مصر، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، (١٣٩٥هـ).

٥٦- «شأن الدعاء»، الخَطَّابي، أبو سليمان حَمَد بن محمد البُسْتي، ط(١)، دار الثقافة العربية، (١٤٠٤هـ).

٥٧- «شَرْح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسُّنة»، القحطاني، سعيد بن علي بن وَهْف، ط(١)، الرياض، مطبعة سفير، (د.ت).

٥٨- «شَرْح السُّنة»، البَرْبَهاري، الحسن بن علي البغدادي، ط(١)، الرياض، مكتبة دار المنهاج، (١٤٢٦هـ).

٥٩- «شرح المُفَصَّل»، ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

٦٠- «شُعَب الإيمان»، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط(١)، الرياض، مكتبة الرشد، (١٤٢٣هـ).

٦١- «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» مذيلًا بحاشية الشُّمُنِّي، المسماة «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء»، اليَحصَبي، عِيَاض بن موسىٰ السَّبْتي، ط(١)، بيروت، دار الفكر، (١٤٠٩هـ).

٦٢- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر،

ط(١)، بيروت، دار الجيل، (١٤١٧هـ).

٦٣- «صحيح ابن حِبان»، ابن حِبان، محمد بن حِبان البُسْتي، ط(٢)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ).

٦٤- «صحيح البخاري»، البخاري، محمد بن إسماعيل الجُعْفي، ط(١)، بيروت، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).

٦٥- «صحيح مسلم»، مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحَجاج القُشيري النَّيْسَابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي. (د. ط) (د. ت).

٦٦- «صريح السُّنة»، ابن جرير، محمد بن جرير الطبري، ط(١)، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، (١٤٠٥هـ).

٦٧- «العذب النَّمِير من مجالس الشنقيطي في التفسير»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، ط(٢)، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (١٤٢٦هـ).

٦٨- «عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ»، السمين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ).

٦٩- «العواصم والقواصم في الذب عن سُنة أبي القاسم»، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم، ط(٣)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤١٥هـ).

٧٠- «العين»، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ط(١)، دار الهلال، (د.ت).

٧١- «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، النَّيْسَابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القُمِّي، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٦هـ).

٧٢- «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ).

٧٣- «فتاوىٰ ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ»، آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، جَمْع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط(١)، مكة، مطبعة الحكومة، (١٣٩٩هـ).

٧٤- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، ط(١)، بيروت، دار المعرفة، (١٣٧٩هـ).

٧٥- «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، البغدادي ثم

الدمشقي، ط(١)، المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، (١٤١٧هـ).

٧٦- «فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير»، الشوكاني، محمد بن علي، ط(١)، دمشق، دار ابن كَثير، (١٤١٤هـ).

٧٧- «فتح رب البرية بتلخيص الحَمَوية»، ابن عثيمين، محمد بن صالح، ط(١)، الرياض، دار الوطن للنشر، (د.ت).

٧٨- «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيْب» (حاشية الطِّيبي على الكشاف)، الطِّيبي، الحسين بن عبد الله، ط(١)، دُبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١٤٣٤هـ).

٧٩- «فقه الأدعية والأذكار»، العَبَّاد، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط(١)، الخبر، السعودية، دار ابن عفان، (١٤١٩ هـ).

٨٠- «الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكَلِم القرآنية والحِكَم الفرقانية»، علوان، نعمة الله بن محمود النَّخْجُواني، ط(١)، مصر، دار ركابي للنشر، (١٤١٩هـ).

٨١- «قَطْف الأزهار وكشف الأسرار»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ط(١)، قطر، وزارة الأوقاف القطرية، (١٤١٤هـ).

٨٢- «قَطْف الجَنَىٰ الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، العَبَّاد، عبد المحسن البدر، ط(١)، الرياض، دار الفضيلة، (١٤٢٣هـ).

٨٣- «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ط(١)، الرياض، مكتبة الرشد، (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م).

٨٤- «القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ»، ابن عثيمين، محمد بن صالح، ط(٣)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، (١٤٢١هـ).

٨٥- «لُباب التأويل في معاني التنزيل»، الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ).

٨٦- «لطائف الإشارات»، القُشيري، عبد الكريم بن هَوَازن، ط(٣)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت).

٨٧- «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عَقْد الفِرقة المرضية»، السفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي، ط(٢)، دمشق، مؤسسة الخافقين، (١٤٠٢هـ).

٨٨- «مجموع الفتاوىٰ»، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحَرَّاني، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، المدينة النبوية، مَجْمَع المَلِك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦ هـ). (د. ط).

٨٩- «مجموع فتاوىٰ ورسائل محمد بن صالح العثيمين»، ابن عثيمين، محمد بن صالح، جَمْع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان، ط الأخيرة، الرياض، دار الوطن - دار الثريا، (١٤١٣هـ).

٩٠- «المُحرَّر الوجيز»، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

٩١- «المُحَلَّىٰ»، ابن حزم، علي بن أحمد، ط(١)، بيروت، دار الفكر، (د. ط).

٩٢- «المُخصَّص»، ابن سِيده، علي بن إسماعيل المُرْسِي، ط(١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤١٧هـ).

٩٣- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ط(٣)، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤١٦هـ).

٩٤- «المُستدرَك علىٰ الصحيحين»، الحاكم، محمد بن عبد الله ابن البَيِّع النَّيْسَابوري، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ).

٩٥- «مُسنَد الإمام أحمد بن حنبل»، ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط(١)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ).

٩٦- «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، ط(١)، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ت).

٩٧- «معارج التفكر ودقائق التدبر»، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ط(١)، دمشق، دار القلم، (١٤٢١هـ).

٩٨- «معاني النحو»، السامرائي، فاضل صالح، ط(١)، الأردن، دار الفكر، (١٤٢٠هـ).

٩٩- «مُعترَك الأقران في إعجاز القرآن»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ط(١)، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨ هـ).

١٠٠- «مُعتقَد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله الحسنىٰ»، التميمي، محمد بن خليفة، ط(١)،

الرياض، أضواء السلف، (١٤١٩هـ).

١٠١- «معجم المناهي اللفظية»، أبو زيد، بكر بن عبد الله، ط(٣)، الرياض، دار العاصمة، (١٤١٧هـ).

١٠٢- «المعجم الوسيط»، مَجْمَع اللغة العربية، ط(١)، القاهرة، دار الدعوة، (د.ت).

١٠٣- «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، ابن هشام، عبد الله بن يوسف، ط(٦)، دمشق، دار الفكر، (١٩٨٥م).

١٠٤- «مفاتيح الغيب» (التفسير الكبير)، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط(٣)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠ هـ).

١٠٥- «المفردات في غريب القرآن»، الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، ط(١)، دمشق، دار القلم، (١٤١٢هـ).

١٠٦- «المقابسات»، أبو حيان، علي بن محمد التوحيدي، ط(٢)، دار سعاد الصَّبَّاح، (١٩٩٢م).

١٠٧- «مقاييس اللغة»، ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). (د. ط).

١٠٨- «المَقصِد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ»، الغزالي، محمد بن محمد، ط(١)، قبرص، الجفان والجابي، (١٤٠٧هـ).

١٠٩- «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجاج»، النووي، يحيىٰ بن شرف، ط(٢)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢هـ).

١١٠- «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، البِقَاعي، إبراهيم بن عمر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي. (د. ط) (د. ت).

١١١- «هَمْع الهوامع في شرح جَمْع الجوامع»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مصر، المكتبة التوفيقية، (د.ت).

المَوضُوعَات

مستخلص البحث ٢٣
المقدمة ٢٧
أسباب اختيار الموضوع ٢٨
مشكلة البحث ٢٩
أسئلة البحث ٣٠
أهداف البحث ٣٠
أهمية البحث ٣٠
أهم الدراسات السابقة ٣١
الجديد الذي يقدمه هذا البحث ٣٢
المنهج المتبع في البحث ٣٣
إجراءات البحث ٣٣
خطة البحث ٣٤
المبحث الأول: ذِكر الآية، وبيان معناها ٣٥
المبحث الثاني: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها ٤٠
المبحث الثالث: الهدايات الخاصة بالآية ٤٣
المبحث الرابع: سَرْد أسماء الله الحسنىٰ بترتيب يُسهِّل حفظها ٦١
المبحث الخامس: سُبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة ٦٥
الخاتمة ٦٨
ثبت المصادر والمراجع ٧٠
الموضوعات ٧٩

مجلة تدبر

مجلة تدبر

المحفوظات الواردة في سورة الحجر

د. حامد بن عدنان الأنصاري

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية

قدم للنشر في: ١٤٤١/٦/١٦
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٢/٢٤
نشر في: ١٤٤٣/١/١

البريد الإلكتروني: hamd_ansari06@hotmail.com

- حصل علىٰ درجة الماجستير من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: تفسير القرآن بالقرآن جمعا ودراسة، من أول سورة فصلت إلىٰ آخر سورة الدخان.
- حصل علىٰ درجة الدكتوراه من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز للسمين الحلبي ٧٥٦هـ من أول كلامه علىٰ سورة النساء إلىٰ آخر كلامه علىٰ الآية ٣١ من السورة نفسها. دراسة وتحقيقا.

النتاج العلمي:

١- أدلة التوحيد من خلال سورة الإخلاص بحث محكم في مجلة الحكمة.

٢- منهج الإمام الداني في أسباب النزول من خلال كتابه المكتفىٰ بحث نشر في مجلة جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

مجلة تدبر

مُسْتَخْلَصُ البَحْث

◆ موضوع البحث:

المحفوظات الواردة في سورة الحجر.

◆ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ تدبر سورة الحجر من خلال حديثها عن موضوع الحفظ، وتقرير هذا الموضوع ببيان معنىٰ الحفظ لمن عناهم الله ﷻ في هذه السورة، بالاستشهاد علىٰ هذا الموضوع من شريعتنا الإسلامية، والرجوع إلىٰ كلام المفسرين، وغيرهم الذين تطرقوا لهذا الموضوع في حدود معاني الآيات.

◆ منهج البحث:

أولًا: تحرير المقصود من البحث من خلال العرض والمناقشة، واستعانة بما تيسر لي من الرجوع إليه من كتب التفسير، وغيرها من المراجع المتعلقة بالبحث.

ثانيًا: توثيق جميع النقول مع التصرف في بعض الأحايين.

ثالثًا: تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

رابعًا: عزو الأحاديث، والآثار الواردة في البحث مع الإشارة إلىٰ درجتها مستعينًا علىٰ ذلك بأقوال المحدثين الثقات، وذلك إذا لم يكن الحديث أو الأثر من الصحيحين أو أحدهما.

خامسًا: الدراسة الموضوعية للآيات مع الاستفادة من كتب التفاسير القديمة

والحديثة؛ وذلك من خلال إبراز المناسبة بين السورة، والسورة التي قبلها، وبيان الموضوعات التي تناولتها السورة.

الكلمات المفتاحية:

المحفوظات – الواردة – سورة – الحجر.

Beings receiving Divine Protection according to the Sura of Al-Hijr

Prepared by:
Dr. Hamid bin Adnan Al-Ansari
Assistant professor at the Department of Tafsir and Quranic Sciences, the College of the Noble Quran and Islamic Studies, Islamic University of Madinah.

Abstract

◆ **Topic of the research:**

Beings receiving Divine Protection according to the Sura of Al-Hijr

◆ **Objectives of the research:**

The research aims to reflect on the Sura of Al-Hijr through its reference to divine protection and discuss this topic by clarifying the meaning of protection for those whom Allâh, the Almighty, means by quoting relevant material from Islamic law and referring to the views of the exegetes and others who have dealt with this subject within the scope of the meanings of the verses in question.

◆ **Methodology of the research:**

First, identifying the objectives of the research through presentation and discussion, and using the available references of exegesis and other related literature.

Second, documenting all quotations with little alteration in some cases.

Third, referencing the Quranic verses by mentioning the names of the Suras and their numbers.

Fourth, Attributing hadiths and transmitted accounts mentioned in the research, indicating their levels of authenticity with the help of the opinions of trustworthy scholars of Hadith, in case the hadith or the transmitted account are not quoted from the two Sahihs or either of them.

Fifthly, doing an objective study on the relevant verses while employing the traditional and modern books of exegesis and clarifying the relationship between the Sura and the one preceding it as well as the subjects covered by the Sura in question.

Keywords: Beings receiving Divine Protection - mentioned - Sura - Al-Hijr

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرضين، وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه -صلىٰ الله عليه-، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالقرآن الكريم رسالة الله ﷻ للثقلين أجمعين، أنزله ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، فهو نور وهداية ورحمة وشفاء وتبيانا لكل شيء، تكفَّل بحفظه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩]. وتكفَّل بحفظ من اتبعه، وتمسك به، فقال: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٣]. فحريٌّ بالمؤمن أن يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه فبذلك يحصل له الفلاح والفوز والسعادة في الدارين، وحريٌّ أن يتدبر آياته كما أمر ربنا بذلك، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

وانطلاقا من هذه الآية فإنني أحببت أن أتدبر سورةً من سور القرآن الكريم، وهي سورة الحجر، وذلك من خلال ما تضمنته السورة من موضوع يُطمْئن العبد، ويُريح قلبه، ويُهَدّي روعه، وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وكثر مروجوه نسأل الله السلامة والعافية، وهو حديثها عن الحفظ والمنعة التي تكفَّلها الله -تعالىٰ- في هذه السورة لبعض مخلوقاته.

◆ **موضوع البحث:**

المحفوظات في سورة الحجر.

◆ **حدود البحث:**

سيقتصر البحث علىٰ ما ورد في سورة الحجر من المحفوظات التي جاءت علىٰ لفظ الحفظ، ومرادفاتها.

◆ **أهداف البحث:**

يهدف البحث إلىٰ استجلاء هذه المحفوظات لتدبرها، وإظهارها للقارئ، وكيف يستفيد منها ومن نتائجها، وتوصياتها.

◆ **الدراسات السابقة:**

وبعد الاطلاع -قدر استطاعتي- علىٰ الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية، ومن ثمَّ الكتب المطبوعة، لم أقف -علىٰ قدر علمي- علىٰ دراسة تتناول موضوعنا المُعنون بـ «**المحفوظات الواردة في سورة الحجر**»، وذلك من خلال النظرية العلمية، والمنهجية التي نتناولها في هذه الدراسة.

◆ **منهج البحث:**

وأمَّا عن المنهج العلمي المتبع في هذا الموضوع، فقد اعتمدت الدراسة علىٰ توظيف المنهج الاستقرائي، والذي يعتمد علىٰ جمع المادة العلمية من خلال الوقوف علىٰ آيات سورة الحجر من أجل بيان المحفوظات الواردة في هذه السورة.

أمَّا منهج الباحث في دراسته، فذلك علىٰ النحو التالي:

أولًا: تحرير المقصود من البحث من خلال العرض والمناقشة، واستعانة بما تيسر لي من الرجوع إليه من كتب التفاسير، وغيرها من المراجع المتعلقة بالبحث.

ثانيًا: توثيق جميع النقول، مع التصرف في بعض الأحايين.

ثالثًا: تخريج الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

رابعًا: عزو الأحاديث والآثار الواردة في البحث، مع الإشارة إلىٰ درجتها، مستعينًا علىٰ ذلك بأقوال المحدثين الثقات، وذلك إذا لم يكن الحديث أو الأثر من الصحيحين أو أحدهما.

خامسًا: الدراسة الموضوعية للآيات مع الاستفادة من كتب التفاسير القديمة والحديثة؛ وذلك من خلال إبراز المناسبة بين السورة، والسورة التي قبلها، وبيان الموضوعات التي تناولتها السورة.

وأسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه، وقارئه، والإسلام وأهله.

خطة البحث.

قسمت البحث إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وسبعة مطالب، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها تحدثت عن أهمية الموضوع، وخطه البحث، ومنهجه.

التمهيد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولىٰ: المراد بالمحفوظات.

المسألة الثانية: التعريف بالسورة الكريمة الحِجر.

المحفوظات المذكورة في السورة: في مبحثين:

المبحث الأول: المحفوظات التي وردت بلفظة الحفظ، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حفظ السماوات.

المبحث الثاني: المحفوظات التي وردت بغير لفظة الحفظ، وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: حفظ الأرض.

المطلب الثاني: حفظ الأرزاق.

المطلب الثالث: حفظ الأمطار.

المطلب الرابع: حفظ المؤمنين.

المطلب الخامس: حفظ نبينا صلىٰ الله عله وسلم.

الخاتمة.

الفهارس، وفيه فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد:

المراد بالمحفوظات والتعريف بالسورة الكريمة الحجر

◆ المسألة الأولى: المراد بالمحفوظات.

أردت في هذه العجالة إلقاء الضوء على تلكم الأمور المهمة، والتي لأهميتها تكلَّف الله بحفظها والكفاية بإيجادها، وبحفظه ﷻ إياها وكلأته كفى البشرية كلها مُؤنتَها.

والمقصود منها ما ورد بلفظ الحفظ، كقوله عن القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، أو ما ورد بمعناه كلفظة الكفاية في ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ مثلا، أو ما دلَّ عليه السياق، كالعطف على المحفوظ؛ كذكر الأرض، وما حوت بعد ذكر السماء وحفظها من كل شيطان الرجيم، أو ما يفهم من المعنى العام كملك الخزائن، ونفي السلطان عن غير الله ﷻ مما سيتجلى بوضوح في مواضعه إن شاء الله.

◆ المسألة الثانية: التعريف بالسورة الكريمة؛ سورة الحجر.

ويشتمل على:

الأول: تسميتها، ومعنى كلمة الحِجر.

الثاني: مكان نزولها.

الثالث: عدد آياتها.

الرابع: ما ورد في فضلها.

الخامس: مقاصد السورة الكريمة، وأهم ما تضمنته.

السادس: المناسبة بين السورة وبين وما قبلها.

◆ أولًا: تسميتها ومعنى كلمة الحِجر.

قال جمال الدين القاسمي: سميت بها لاشتمالها علىٰ قوله تعالىٰ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾(١)، **حيث ذكر** قصة أصحاب الحِجر فيها(٢)، وهو المكان الذي كان فيه قوم صالح ﷺ(٣).

(١) محاسن التأويل للقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولىٰ – ١٤١٨ هـ، ٦/ ٣٢٧.

(٢) يقول الزركشي في البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر المتوفىٰ: ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولىٰ، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ١/ ٢٧٠: «العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمىٰ ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلىٰ ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها». وانظر: الإتقان في علوم القرآن القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين المتوفىٰ: ٩١١هـ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ١/ ١٩٧.

(٣) ذكر المفسرون قولان في الحِجر، وهما في معنىٰ واحد، لأنه يصدق علىٰ كل منهما اسم مكان؛ أحدهما: أنه اسم الوادي الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج. والثاني: اسم مدينتهم، قاله الزهري. انظر: تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني المتوفىٰ: ٢١١هـ، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ ٢/ ٢٥٩، تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفىٰ: ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، =

والحِجر في اللغة: ينطلق على معان: منها حجر الكعبة، ومنها الحرام، قال تعالىٰ: ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾، أي حَراما محرَّما. والحِجر العقل، قال تعالىٰ: ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾، وحَجر وحِجر القميص، والفتح أفصح. والحَجر؛ الفرس الأنثىٰ، والحجر ديار ثمود، وهو المراد هنا(١).

◆ ثانيًا: مكان نزولها.

سورة الحِجر مكية، وقد حكىٰ بعض المفسرين، كالثعلبي، وابن الجوزي، وأبي حيان، بالاتفاق علىٰ ذلك(٢)، واستثنىٰ الماوردي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ

= ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٧/ ١٢٦، زاد المسير في علم التفسير» ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المتوفىٰ: ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ٢/ ٥٤٠.

(١) تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور المتوفىٰ: ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م، ٤/ ٨١، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفىٰ: ٥٠٢هـ، تحقيق: محمد سيد كيلان، ص: ٢٢٠، لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ المتوفىٰ: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ٤/ ١٧٠.

(٢) الكشف والبيان، للثعلبي، عن تفسير القرآن» الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم المتوفىٰ: ٤٢٧ هـ، أشرف علىٰ إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين ٢١، أصل الكتاب: رسائل جامعية غالبها ماجستير لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ٢/ ٢٦٣، زاد المسير، لابن الجوزي، ٢/ ٥٢٢، البحر المحيط، لأبي حيان، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفىٰ: ٧٤٥هـ المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ١/ ٢٩.

﴿سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [سورة الحجر: ٨٧](١).

◆ ثالثًا: عدد آياتها.

عدد آيات السورة تسع وتسعون آية، وليس فيها اختلاف(٢).

◆ رابعًا: ما ورد في فضلها.

لم يرد في فضل هذه السور حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، لذا أَغفلَ أكثرُ المفسرين ذكر شيء من فضائلها، إلا من كثر اهتمامه بذكر فضائل السور كالثعلبي، والزمخشري، فقد رواه الثعلبي خبرًا رفعه إلىٰ رسول الله ﷺ، بسند ضعيف أو موضوع، وذكره بعده الزمخشري، ولا يحسن ذكره هنا إلا للتنبيه عليه.

قال الثعلبي: أخبرني أبو الحسن محمَّد بن القاسم الفارسي، بقراءتي عليه قال: حدثنا أبو محمَّد عبد الله بن أحمد، قال: أخبرنا أبو عمرو الحيري، قال: حدثنا حمدان بن خالد، قال: حدثنا محمَّد بن المصفىٰ، حدثنا محمَّد بن القاسم، عن ابن علية، قال: حدثنا يحيىٰ بن سعيد العطار، حدثنا أبو الخليل، عن علي بن زيد، عن زر بن حبيش، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار وبعدد المستهزئين بمحمد ﷺ»**(٣).

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، المتوفىٰ: ٤٥٠هـ المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار، الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ٣/ ١٤٧

(٢) البيان في عد آي القرآن، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو المتوفىٰ: ٤٤٤هـ المحقق: غانم قدوري الحمد الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ص ١٧٣، الكشف والبيان، للثعلبي، ١٥/ ٤٢٥.

(٣) الكشف والبيان، للثعلبي، ١٥/ ٤٢٦.

ويحيىٰ بن سعيد العطار ضعيف(١)، وأبو الخليل بَزِيع بن حسان ضعيف أيضا، وأحاديثه كلها مناكير لا يتابع عليها أحد(٢).

◆ خامسًا: مقاصد السورة الكريمة وأهم ما تضمنته.

هذه السورة كغيرها من السور المكية في بعض الموضوعات العامة، والميزات الخاصة التي تتسم بها أغلب السور المكية، لكنها علىٰ سبيل التمثيل لا الحصر تتركز علىٰ الأمور التالية:

- افتتحت بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتحدي بإعجاز القرآن، وعلىٰ التنويه بفضل القرآن وهديه(٣).

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ابن عدي أبو أحمد الجرجاني المتوفىٰ: ٣٦٥هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ١٩٩٧م، ٩/ ١٦، تهذيب التهذيب، لابن حجر، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد المتوفىٰ: ٨٥٢هـ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولىٰ، ١٣٢٦هـ، ١١/ ٢٢٠.

(٢) ديوان الضعفاء، والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين» الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز المتوفىٰ: ٧٤٨هـ، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ص: ٤٦، الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ٢/ ٢٤١ الموضوعات، لابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفىٰ: ٥٩٧هـ، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ٢/ ٩٣.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ، ١٤/ ٧

• ومن مقاصدها وصف الكتاب بأنه في الذروة من الجمع للمعاني الواضحة للحق من غير اختلاف أصلا(١).

• إنذار المشركين بندم يندمونه علىٰ عدم إسلامهم، وتوبيخهم بأنهم شغلهم عن الهدىٰ انغماسهم في شهواتهم(٢).

• الدعوة إلىٰ التوحيد وإخلاص العبادة لله -تعالىٰ- وتضمن ذلك بالأدلة والبراهين علىٰ استحقاقه ﷻ ذلك من خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، ومشاهد الرياح اللواقح، والحياة والموت، والنشر.

• بيان مآل المخالفين للرسل، ومؤاخذتهم لمجرد تكذيب الرسل، والإعراض عن آيات الله، بأدنىٰ وجوه المؤاخذة، مع غاية تحصنهم، ففيه غاية تعظيم الرسل والآيات وهو من أعظم مقاصد القرآن(٣).

• الاهتمام بقصص الأنبياء، والأمم السابقة زجرًا للمكذبين حتىٰ يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله ﷺ حتىٰ يصبر علىٰ أذاهم عليهم فتحدثت عن قصة إبراهيم ولوط وشعيب وصالح ﷺ مع أقوامهم.

• قصة آدم وإبليس وكيف امتثلت الملائكة لأمر الله -تعالىٰ- بالسجود لآدم وعصيان إبليس أمر ربه.

• وخُتمت السورة بالحديث عن أفضال الله علىٰ نبينا ﷺ فذكر نعمة إنزال القرآن عليه، وإهلاك أعدائه المستهزئين، وأمره بعدم الافتتان بتمتيع الآخرين

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر المتوفى: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١١/ ١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) محاسن التأويل، للقاسمي ٦/ ٣٢٧.

بالدنيا، والتواضع للمؤمنين، والجهر بالدعوة، والصبر والتسبيح، والعبادة حتى الموت عند مضايقته باستهزاء المشركين[(١)].

سادسا: المناسبة بين السورة وما قبلها.

قال أبو جعفر ابن الزبير: «لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنته الآي المختتم بها سورة إبراهيم ﷺ من لدن قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلىٰ خاتمتها [الآيات: ٣٢-٤٢] أعقب ذلك بقوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾»[(٢)]، ثم ختم الله تعالىٰ سورة إبراهيم بذكر شيء من أحوال يوم القيامة، وختم الآيات بالإشارة إلىٰ القرآن الكريم وأنه بلاغ للناس ولينذروا به، وابتدأ هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس، وتمني الكفار لو كانوا مسلمين[(٣)].

(١) مباحث في علوم القرآن، للقطان ص: ٦٣، التفسير المنير، للزحيلي ١٤/ ٦-٧.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر ابن الزبير ص: ٢٤٠.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان ٦/ ٤٦٣.

المبحث الأول:

المحفوظات المذكورة في سورة الحجر بلفظ «الحفظ».

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم

لقد امتاز القرآن الكريم بحفظ الله ﷻ له قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فحُفظ من أن يزاد أو ينقص فيه، وحُفظ من أن يغير أو يبدل في كلماته وحروفه بل حتىٰ في حركاته.

فهذا مما امتاز به القرآن عن غيره من الكتب السماوية، والتي قد حُرف وبدّل فيها وزيد وأُنقص منها، وذلك أنَّ الله ﷻ أوكل حفظها إلىٰ من أنزلها عليهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

لكن يجدر الإشارة هنا إلىٰ أنَّ في الآية قولين للمفسرين، وإن كان ما بني عليه البحث من أنَّ المراد بمرجع الضمير في ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ هو القرآن، وهو الراجح المشهور وهو قول مُجَاهِدٍ(١) ومقاتل وقَتادَة، وثَابتٍ(٢)، والقول الثاني: أن مرجع

(١) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي المتوفىٰ: ١٠٤هـ، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، ص: ٤١٥.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخىٰ المتوفىٰ: =

الضمير في الهاء راجعة إلىٰ محمد ﷺ أي: وإنا لمحمدٍ حافظون، ممن أراده بسوء كما قال جلَّ ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة المائدة: ٦٧](١).

والآيات الدالة علىٰ حفظ الله تعالىٰ لكتابه من الزيادة والنقصان كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ [سورة الكهف: ٢٧]. فبيَّن -سبحانه- أنَّ كلماته لا تتبدل أي: لا تتغير ولا تتحرف لصدقها وعدلها وبلوغها من الحسن والجمال فوق كل غاية(٢).

ومن الآيات كذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [سورة فصلت: ٤١-٤٢]، فبيَّن الله تعالىٰ في هذه الآية عظمة هذا الكتاب، وعلوه ورفعته علىٰ سائر الكتب فوصفه بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾، فهو كتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا، أو تغييرا، من إنسي وجني وشيطان مارد، لا يستطيع

= ١٥٠هـ المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٣ هـ، ٢/ ٤٢٥ تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني المتوفىٰ: ٢١١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، سنة ١٤١٩هـ، ٢/ ٢٥١، جامع البيان، للطبري ١٧/ ٦٨.

(١) جامع البيان، للطبري ١٧/ ٦٩، معالم التنزيل للبغوي ٣/ ٥١ زاد المسير، لابن الجوزي ٢/ ٥٢٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفىٰ: ٧٧٤هـ المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع لطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٥/ ١٥١، تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان» السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المتوفىٰ: ١٣٧٦هـ المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، ص: ٤٧٩.

أهل الباطل تغييره، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه(١).

وغيرها من الآيات التي دلت علىٰ عظمة هذا الكتاب، وحفظه من العبث، والتحريف، والزيادة والنقصان.

وفي حديث عياض بن حمار ﷺ: «..إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ..»(٢).

يقول الإمام النووي ﷺ قوله تعالىٰ: لا يغسله الماء معناه: «محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقىٰ علىٰ مر الأزمان» انتهىٰ(٣).

ولقد هيّأ الله -تعالىٰ- لهذا الكتاب أسبابًا حُفظ به فمن تلك الأسباب:

ما فعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ من جمع القرآن في الصحف، وذلك لما كثر القتل في القرّاء يوم اليمامة، وخشي ضياع القرآن بموت حفظته، وقتل القراء من الصحابة، فأشار عمر ﷺ علىٰ أبي بكر بجمع القرآن، فتردد أبو بكر ﷺ حتىٰ شرح الله صدره لذلك كما ثبت ذلك في صحيح البخاري(٤)، فكان هو أول من جمع القرآن بين اللوحين(٥).

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري ٢١/ ٤٧٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح٢٨٦٥.

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم ١٧/ ١٩٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، ٦/ ٧١ برقم ٤٦٧٩.

(٥) المصاحف، ابن أبي داود، أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني المتوفىٰ: ٣١٦هـ المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة الطبعة: الأولىٰ، =

ومن أسباب حفظه أيضا ما قام به الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁ بموافقة جميع الصحابة من جمع الناس علىٰ مصحف واحد جمع فيه القراءات الثابتة، ثم بعث به إلىٰ الآفاق وأحرق ما سواه بعد أن ظهرت بوادر الاختلاف(١).

ومن أعظم أسباب حفظ القرآن الكريم ما يسره الله ﷻ من تسهيل حفظه في الصدور حتىٰ أقدر علىٰ حفظه الصغير والكبي، والجاهل، والمتعلم، والعربي، والعجمي لا يختص بحفظه أحد دون أحد، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر: ١٧](٢).

هذه بعض الأسباب التي ضمنت حفظ القرآن من التحريف والزيادة والنقصان، وبقاؤه كما أنزله الله –تعالىٰ– علىٰ رسوله ﷺ.

◆ ◆ ◆

= ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١/ ١٦٥.

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ٦/ ١٨٣ برقم ٤٩٨٧.

(٢) انظر: مقالة كيف تم حفظ القرآن الكريم كتابة شيرين طقاطقة آخر تحديث ١٢:١٠
https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81_%D8%AA%D9%85

المطلب الثاني: حفظ السماوات

نصَّ الله تعالىٰ في هذه السورة أنه حفظ السماء من كل مارد من الشياطين، فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [سورة الحجر: ١٦-١٧].

إن المتأمل في خلق السماء، وعظيم روعتها، وجمالها لعلم وتيقن عظيم صنع الله تعالىٰ وبديع خلقه، وجمال صنعه، وعظمة الخالق ﷻ، وتيقن بذلك أنه -سبحانه- هو الخالق البارئ المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

فهو سبحانه خالقها ورافعها بغير عمد كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [سورة لقمان: ١٠]، وهو سبحانه الذي أودع فيها من الآيات، والبراهين التي تدل علىٰ عظمته ووحدانيته وقدرته، فأودع الشمس والقمر، والنجوم والمجرات والكواكب والنيازك، وغيرها من المخلوقات.

ومع ما حوته من هذه المخلوقات العظيمة إلا أن الله ﷻ تكفل بحفظها فحفظها من السقوط علىٰ خلقه كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر: ٤١].

وحفظها من مردة الشياطين، لئلا يسترقوا السمع قال تعالىٰ: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾.

وقد أخبر الله ﷻ في سورة الجن أنَّ الشياطين كانوا يقعدون مقاعد في السماء فَيَسْتَرِقُونَ الْكَلِمَةَ وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة

أخبار السماء حتىٰ يلقوها إلىٰ الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة[1]، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [سورة الجن: ٨-٩].

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٩/ ١٢، أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٨/ ٣١٨.

المبحث الثاني:

المحفوظات المذكورة في سورة الحجر بغير لفظ «الحفظ».

المطلب الأول: حفظ الأرض

لقد تكفّل الله تعالىٰ بحفظ الأرض فمدّها وبسطها وفرشها كي يتمكن الإنسان بالعيش فيها وأداء ما افترضه الله عليه، فأودع فيها الجبال الرواسي، وجاء ذكرها إثر السماء المحفوظة من مردة الشياطين من قوله: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾، فكأن ما أودع الله فيها من المحفوظ أيضا من لدنه، فقال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

وذكر في موضع آخر أنَّ الحكمة من إيداع الجبال علىٰ الأرض، لئلا تضطرب الأرض بنا فلربنا الحمد والشكر قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [سورة النحل: ١٥].

ويفسر العلم الحديث هذا الدور فيقول: تقرر الحقيقة العلمية القاطعة أنَّ توزيع الجبال علىٰ الكرة الأرضية إنما قصد به حفظها من أن تميد إلىٰ الشمس، أو تحيد عنها، وأنها فعلا السبب الأول والرئيسي لحفظ توازن الأرض، فكأن الجبال هي أوتاد للأرض تحفظها في مكانها وتحفظ عليها حركتها(١).

(١) من الآيات العلمية، لعبد الرزاق نوفل ص ٥٦-٥٧، ونقلا كذلك عن د. مصطفىٰ مسلم في كتابه مباحث في إعجاز القرآن ص١٨٩. https://al-maktaba.org/book/33919/176#p2

ومن نعمت الله تعالىٰ علىٰ خلقه ورحمته بهم حفظه لهذه الأرض، فلولا رحمتُه ولطفُه وإحسانه لحدثت كوارث قد تأخذ نصف أو أكثر من نصف المخلوقات المتواجدة علىٰ الأرض، أو تقع كارثة تدمر الحياة بأكملها لأنَّ الكرة الأرضية تسبح في الفضاء، وسط بلايين في بلايين في بلايين المجرات والكواكب، وسط اصطدامات، وانفجارات واشعاعات تحدث في الكون كله وثقوب سوداء تأكل كواكب بحجم الأرض.

كل هذا يحدث بشكل متواصل في الكون، ونحن نعيش علىٰ الأرض لا نعرف أو نسمع عنه شيء كما أننا لا ننتبه إلىٰ أن الله هو من يحفظ الحياة علىٰ هذه الارض حتىٰ تستمر حياة مخلوقاته إلىٰ يوم هو يعلمه(١).

(١) انظر كتاب: الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور حسب النبي ص ١٥٧ وما بعدها، ط. دار الفكر العربي. وكتاب الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر ص ١١٣، وما بعدها ط الدار السعودية للنشر.

المطلب الثاني: حفظ الأرزاق

حفظ الرزق من النعم العظيمة، والتي تكفل الله ﷻ لجميع خلقه من الإنس والجن وسائر الدواب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة هود: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢-٢٣].

فقضية الرزق من حيث الإيمان والاعتقاد من الأمور المهمة التي يجب الإيمان بها، والتسليم لها، فالرازق هو الله ﷻ ، والأرزاق لا تأتي إلا من عنده فهي محسوبة محسومة.

ففي هذه السورة الكريمة بيّن الله -تعالىٰ- أنه مالك خزائن الأرزاق، فالتعبير بلفظ الخزائن أبلغ من التعبير بملك الأرزاق، لأن الخزائن مصدر الشيء ومَنْبَتُه، فما يرىٰ الإنسان ويشاهده من الأرزاق فهي جزء ضئيل، مما في تلك الخزائن التي لا يعلم غورها وعمقها إلا هو، وهو منزلها متىٰ شاء لمن شاء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [سورة الحجر: ٢١]، فهي محفوظة مقسومة لا يتعجل منها شيء قبل أوان نزول، ولا يؤخَّر نزولُ ما حلّ نزوله. يقول السعدي ﷺ في تفسيره: «جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته الواسعة، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، ﴿إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ فلا يزيد علىٰ ما قدره الله ولا ينقص منه»[(١)].

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ٤٣٠.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١).

فبيَّن لنا النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم أنَّ مسألة الأرزاق مسألة محسومة وأنها بيد الله ﷻ، فقد كتب الله ﷻ لكل واحد منا رزقه في هذه الحياة كما بين النبي ﷺ في هذا الحديث وغيرها كما في حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الرزق ليطلبُ العبدَ كما يطلبه أجلُه**»(٢).

ومع هذا فالواجب علىٰ الإنسان أن يأخذ بالأسباب، وأن يسعىٰ في الأرض للرزق كما أمر ربنا ﷻ بذلك فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة الملك: ١٥].

قال ابن كثير ﷺ في تفسيره: «أَيْ: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي

---

(١) متفق عليه. انظر: صحيح البخاري كتاب القدر باب في القدر ٨/ ١٢٢ برقم٦٥٩٤ وصحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي ٤/ ٢٠٣٦ برقم ٢٦٤٣.

(٢) أخرجه البزار في مسنده ١٠/ ٣٧ برقم٤٠٩٩، وابن حبان في صحيحه ٨/ ٣١ برقم٣٢٣٨، وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٨٦ ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد ٤/ ٧٢ برقم ٦٢٩٥ وقال الألباني صحيح لغيره كما في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٣١٢ برقم ١٧٠٢.

أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُيَسِّرَهُ اللهُ لَكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ»(١).

كما أنَّ الواجب على الإنسان أن تطمئن نفسه بما قسمه الله له من رزق في الحياة الدنيا، وأن يعلم أنه ما أغنى، وأفقر إلا لحكمة هو يعلمها، وإن قصر على المرء علمها، وأن يكون حاله بين الشكر في حال الرخاء والصبر في حال الشدة.

فالأمر أمره والرزق بيده وحده، قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة فاطر: ٣].

◆ ◆ ◆

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٨/ ١٧٩.

المطلب الثالث: حفظ الأمطار

المطر سبب الأرزاق، والأرزاق مسببة من المطر، فحفظ المطر جزء من حفظ الرزق، أو على لسان أهل البلاغة؛ أن العلاقة بين المطر والرزق علاقة مسببية[(١)]، لذلك ورد للمفسرين في هذه الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ قولان؛ القول الأول أنَّ المراد به عموم الأرزاق، وهو الذي تقدم في المطلب السابق، والقول الثاني؛ المراد به؛ المطر وهو قول ابن مسعود وابن جريج[(٢)]، ومعنى الآية ما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حدّه ومبلغه[(٣)].

فأخبر الله ﷻ أن المطر النازل من السماء أنه هو الحافظ له فما ينزل إلا بقدر معلوم حسب حاجة المخلوقات، وما تتوقف عليه مصالحهم، وأنه هو الخازن له ينزله متى شاء ويمنعه متى شاء سبحانه[(٤)].

---

(١) وهي إحدى علاقات مجاز المرسل، انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي ص: ٢٥٣، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي ص: ٢٥٠.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٤٢٧، جامع البيان، للطبري ١٧/ ٨٤، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفى: ٧٧٥هـ المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م، ١١/ ٤٤٤، الدر المنثور، للسيوطي ٥/ ٧٠-٧١.

(٣) جامع البيان، للطبري ١٧/ ٨٣.

(٤) أيسر التفاسير، لكلام العلي الكبير»، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٣/ ٧٨، للقرآن الكريم» طنطاوي، محمد سيد، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧م، ٨/ ٣٣.

يقول القرطبي ﷺ في معنىٰ قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أَيْ لَيْسَتْ خَزَائِنُهُ عِنْدَكُمْ، أَيْ نَحْنُ الْخَازِنُونَ لِهَذَا الْمَاءِ نُنَزِّلُهُ إِذَا شِئْنَا وَنُمْسِكُهُ إِذَا شِئْنَا(١).

ويقول الزحيلي: أي لستم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله ينابيع في الأرض، ولو شاء تعالىٰ لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أبقاه لكم في طول السنة، لشرب الناس والزروع والثمار والحيوان، فالتخزين يكون في السحاب وفي جوف الأرض(٢).

فحفظ ماء المطر، وإنزاله بتقدير وحكمة نعمة من الله ﷻ علىٰ عباده، فلو أنزل بكميات كبيرة وكثيرة لهلك الخلق كما نشاهده في بعض الأحيان، ولو حبس عنهم أيضًا لهلكوا كذلك.

ولكن رحمة الله بخلقه أنه هو المتصرف فيه وأنه هو الخازن له، فهذه نعمة من الله علىٰ خلقه امتن بها عليهم فبإنزاله بالكميات التي أرادها الله ﷻ حياة للأبدان ونماء للأرض ومن عليها فبسببه تكونت وحفظت الأنهار والعيون والآبار قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٨-٧٠].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ١٨.

(٢) التفسير المنير، للزحيلي ١٤/ ٢٥.

المطلب الرابع: حفظ المؤمنين

إن من الأمور التي ضَمِنها الله ﷻ وتكفَّل بها للمؤمن حفظه له، فمتىٰ ما استقام العبد والتزم أمر ربه، ولزم سنة نبيه ﷺ، فقد حصل له الحفظ والفلاح والسعادة الأبدية.

وحفظ الله سبحانه لعبده يشمل حفظه من كيد الكائدين وزيغ الزائغين ومن تسلط وسوسة الشياطين قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

فالآية وإن كان كلام المفسرين فيها يدور علىٰ معنين، فهيٰ علىٰ كليهما صادقة علىٰ حفظ الله لعبادة، أمَّا القول بأن معنىٰ السلطان هو الملك والقدرة علىٰ الإغواء فحفظ الله للمؤمنين هو الحرز المانع عن إضلالهم، وهو قول مقاتل ويحيىٰ بن سلام(١)، والقول الآخر أن المراد به الحجة فهو أيضا ظاهر في أن حجته علىٰ الذين يتولونه دون المؤمنين، وهذا قول الطبري وغيره(٢).

وهذا هو أعظم حفظ أن يحفظ الله علىٰ عبده دينه من البدع والشبهات والشهوات حتىٰ يلقىٰ العبد ربه وهو علىٰ هذه الحال. فأخبر الله تعالىٰ في هذه الآية أن الشيطان ليس له قدرة ولا سبيل ولا وصول علىٰ من حفظه الله تعالىٰ وقدر له الهداية(٣).

ونبينا ﷺ بيَّن لنا أنَّ من حفظ الله حفظه الله تعالىٰ، فقال لابن عباس ﷺ: «احفظ الله يحفظك»(٤) يقول الشيخ ابن عثيمين ﷺ عند شرحه لهذه الجملة من

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٤٢٩، تفسير يحيىٰ بن سلام، يحيىٰ بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني المتوفىٰ: ٢٠٠هـ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ١/ ١٤٩.

(٢) جامع البيان، للطبري ١٧/ ١٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/ ٥٣٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عباس ﷺ برقم: ٢٨٠٣، والترمذي في أبواب =

الحديث: «هذه كلمة عظيمة جليلة واحفظ تعني احفظ حدوده وشريعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه وكذلك بأن تتعلم من دينه ما تقوم به عبادتك ومعاملاتك وتدعو به إلىٰ الله ﷻ، واحفظ الله يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك لأن الله ﷻ يجزي المحسنين بإحسانه وأهم هذه الأشياء هو أن يحفظك في دينك ويسلمك من الزيغ والضلال لأن الإنسان كلما اهتدىٰ زاده الله ﷻ هدىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [سورة محمد: ١٧]، وعُلِمَ من هذا أنّ من لم يحفظ الله فإنه لا يستحق أن يحفظه الله ﷻ وفي هذا الترغيب علىٰ حفظ حدود الله ﷻ»(١).

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ فَقَدْ حَفِظَ نَفْسَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَ تَقْوَاهُ، فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ، وَاللهُ الْغَنِيُّ عَنْهُ»(٢).

والله ﷻ بيّن لنا هذا في كتابه الكريم فمن حفظه الله فقد سعد في دنياه وآخرته كما قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٣ كذلك] من الأمور التي تلحق المؤمن بركتها بسبب حفظ الله له دفاعه عنه قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [سورة الحج: ٣٨]، ومن الأمور كذلك أن الله يجعل له من كلِّ ضيق مخرجا كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [سورة الطلاق: ٢].

فإذا علم العبد هذه الخصال، وهذه المنح الربانية التي تحصل له بحفظه لحدوده حري به أن يمتثل أمره ويجتنب نهيه كي يظفر بحفظ الله فيحصل الفلاح والسعادة في الدارين(٣).

= صفة القيامة، برقم: ٢٥١٦، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة: ٥/ ٤٩٧.

(١) شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد المتوفىٰ: ١٤٢١هـ، دار الثريا للنشر، ص ٢٠٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ١/ ٤٦٧.

(٣) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي ٦/ ٣٤٦.

المطلب الخامس: حفظ نبينا ﷺ

كفاية الله نبيه المستهزءين من أعظم أنواع الحفظ الإلهي له، فقد لقي ﷺ من أعدائه المكايد، والأذى فكانوا يسخرون ويستهزؤون به، وبالقرآن منذ أن جهر بالدعوة، فكفاه الله مكرهم وكيدهم، وأيده بحفظه ونصره قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٥]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]، والمستهزءون جنس من الناس، وهم من الكفار والمنافقين، وقد كان ﷺ يحرس في غزواته وأماكن الخطورة من أن يصيبه الأعداء حتىٰ نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ كما في رواية عائشة، قالت: فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله»[(١)].

يقول القاسمي رحمه الله في تفسيره: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ «أي حفظناك من شرّهم، فلا ينالك منهم ما يحذر، وهذا ضمان منه تعالىٰ، له -صلوات الله عليه-، لينهض بالصدع نهضة من لا يهاب ولا يخشىٰ. كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾»[(٢)].

ويقول ابن كثير رحمه الله في معنىٰ آية سورة المائدة: أي بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظُك وناصرُك ومؤيدُك علىٰ أعدائك ومُظفِرُك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل إليك أحدُ منهم بسوء يؤذيك[(٣)].

---

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المائدة، ح ٣٠٤٦ قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي ٦/ ٣٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/ ١٥١-١٥٢.

قال الماوردي: «فمن معجزاتِه: عصمتُه من أعدائه، وهم الجمُّ الغفير، والعددُ الكثير، وهم علىٰ أتم حَنَقٍ عليه، وأشدُّ طلبٍ لنفيه، وهو بينهم مسترسلٌ قاهر، ولهم مخالطٌ ومكاثر، ترمُقُه أبصارُهم شزرًا، وترتد عنه أيديهم ذُعرًا، وقد هاجر عنه أصحابه حذرًا حتىٰ استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة، ثم خرج عنهم سليمًا، لم يكْلَم في نفسٍ ولا جسد، وما كان ذاك إلا بعصمةٍ إلهيةٍ وعدَه اللهُ تعالىٰ بها فحققها، حيث يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فعَصَمَه منهم»(١).

فبيّن الله تعالىٰ في الآيتين ما امتن به علىٰ نبينا ﷺ من التأييد والحفظ، وأكَّد هذا المعنىٰ، وذكره في موضع آخر من كتابه قال سبحانه: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠].

فأكَّد في الآية الكريمة هذه المعاني الراسخة العظيمة، وهو عظم مكانته ﷺ عند ربه فأحاطه ربه بالعناية والكفاية، والحفظ من كيد المشركين ومكرهم، وبيَّن سبحانه أن كيدهم ومكرهم لا يَحيق إلا بهم.

كما جاءت الأمثلة من السنة علىٰ حفظ النبي ﷺ من كيد أعدائه ومكرهم من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ»(٢).

من ذلك أيضا ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ

(١) أعلام النبوة، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفىٰ: ٤٥٠هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأول – ١٤٠٩ هـ ص ١٢٧.

(٢) رواه البخاري كتاب المغازي باب غزوة أحد برقم(٤٠٥٤) ٥/ ٩٦.

ومسلم كتاب الفضائل باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد برقم (٢٣٠٦) ٤/ ١٨٠٢.

وَالْعُزَّىٰ لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»(١).

وغيرها من الأخبار التي حفلت بها كتب السنة، والسير، والتي جاءت لتشهد له ﷺ بالنبوة لتأييد الله إياه وحفظه له قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٣٦].

(١) رواه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [سورة العلق: ٦-٧] رقم الحديث (٢٧٩٧).

الخَاتِمَة

فبتوفيق من الله ﷻ وحده، والذي يسَّر لي كتابة هذا البحث، وإتمامه، والذي ضمنته الحديث عن **المحفوظات الواردة في سورة الحجر** وذلك بتدبر الآيات التي تناولت هذا الموضوع أذكر في الخاتمة:

◆ أهم نتائج البحث:

- ليس علىٰ العبد في سبيل تحصيل هذه المحفوظات شيء من كَدحٍ أو جُهدٍ، لأن الله تكفل بها وضمنها له، وما جاء في الحث علىٰ طلب بعضها فإنما هو مجرد الأخذ بالسبب.

- الأمور الضرورية من الكونيات مثل السماوات والأرضين وما فيهما وما بينها لم يوكل حفظُ شيء منها إلىٰ الإنس ولا الجن.

- كلُّ ما أراده الله أو أوجبه أوجد أسبابه ويسَّرها، فالله سبحانه أرسل رسوله ﷺ وأوجب عليه تبليغ الرسالة، ومن ضرورة ذلك حياته ﷺ مدة التبليغ، فأوجب الله علىٰ نفسه حفظه حتىٰ يؤدي تلك الأمانة ويبلغها أتم التبليغ.

- الأمور الكونية التي تتعلق بأحكام الشرع من الشروط والأسباب فإن العبد ليس مطالبا بتحصيلها كالزوال لوجوب صلاة الظهر، وكغروب الشمس لصلاة المغرب.

◆ أهم التوصيات:

- جمع هذه المحفوظات من خلال السور المكية ودراستها دراسة موضوعية تدبرية.

- عرض الموضوعات المشتركة بين السور الثلاث إبراهيم، الحجر، النحل ودراستها دراسة تناسبية.

ثَبْتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

«عنوان الرسالة»

١- «الإتقان في علوم القرآن» السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين المتوفى: ٩١١هـ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني المتوفى: ١٣٩٣هـ الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣- «أعلام النبوة، الماوردي»، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى: ٤٥٠هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٩ هـ

٤- «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى: ٧٢٨هـ، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٥- «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٦- «البحر المحيط في التفسير» أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى: ٧٤٥هـ المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٧- «البرهان في تناسب سور القرآن» أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، المتوفى: ٧٠٨هـ، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٨- «البرهان في علوم القرآن» الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر المتوفى: ٧٩٤هـ المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٩- «البيان في عدّ آي القرآن»، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو المتوفى: ٤٤٤هـ المحقق: غانم قدوري الحمد الناشر: مركز المخطوطات والتراث - الكويت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٠- «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى: ٧٧٤هـ المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع لطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١- «تفسير الماوردي = النكت والعيون» الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، المتوفى: ٤٥٠هـ المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار، الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٢- «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج» الزحيلي، د وهبة بن مصطفى، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

١٣- «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» طنطاوي، محمد سيد، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧

١٤- «تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني المتوفى: ٢١١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١٥- «تفسير مقاتل بن سليمان» مقاتل بن سليمان أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخى المتوفى: ١٥٠هـ المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

١٦- «تفسير يحيى بن سلام» يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني المتوفى: ٢٠٠هـ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧- «تهذيب التهذيب» ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد المتوفى: ٨٥٢هـ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١٨- «تهذيب اللغة» الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور المتوفى: ٣٧٠هـ المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١٩- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» السعدي، اعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المتوفى: ١٣٧٦هـ المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

٢٠- «جامع البيان في تأويل القرآن» الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر المتوفى: ٣١٠هـ المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٢١- «جامع العلوم والحكم» ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

٢٢- «الجامع الكبير - سنن الترمذي» الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك،، أبو عيسىٰ المتوفى: ٢٧٩هـ، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٢٣- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري» البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤- «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين المتوفى: ٦٧١هـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٥- «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع» الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفىٰ المتوفىٰ: ١٣٦٢هـ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

٢٦- «الدر المنثور» السيوطي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين المتوفى: ٩١١هـ الناشر: دار الفكر - بيروت

٢٧- «ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين» الذهبي، شمس الدين

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز المتوفى: ٧٤٨هـ، المحقق: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٢٨- «زاد المسير في علم التفسير» ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المتوفى: ٥٩٧هـ، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٢٩- «شرح الأربعين النووية» ابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد المتوفى: ١٤٢١هـ الناشر: دار الثريا للنشر.

٣٠- «صحيح ابن حبان» ابن حبان، بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى: ٣٥٤هـ المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت لطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣

٣١- «صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب» الألباني، محمد ناصر الدين الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م

٣٢- «الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن الكريم» الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر ط الدار السعودية للنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

٣٣- «علوم البلاغة، البيان، المعاني، البديع» المراغي، أحمد بن مصطفى المتوفى: ١٣٧١هـ،

٣٤- «فتح القدير» الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني المتوفى: ١٢٥٠هـ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٣٥- «الكامل في ضعفاء الرجال» ابن عدي أبو أحمد الجرجاني المتوفى: ٣٦٥هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٣٦- «كتاب المصاحف» ابن أبي داود، أبو بكر، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني المتوفى: ٣١٦هـ المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٧- «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم المتوفى: ٤٢٧ هـ، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين ٢١، أصل الكتاب: رسائل جامعية غالبها

ماجستير لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

٣٨- «الكون والإعجاز العلمي للقرآن» الدكتور منصور حسب النبي، ط. دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

٣٩- «اللباب في علوم الكتاب» ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني المتوفىٰ: ٧٧٥هـ المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

٤٠- «لسان العرب» ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعىٰ الإفريقىٰ المتوفىٰ: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٤١- «مباحث في إعجاز القرآن» د مصطفىٰ مسلم، الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٢- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان المتوفىٰ: ٨٠٧هـ المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٤٣- «محاسن التأويل» القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق المتوفىٰ: ١٣٣٢هـ المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٨هـ

٤٤- «مسند الإمام أحمد بن حنبل» الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفىٰ: ٢٤١هـ المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م

٤٥- «مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار» البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المتوفىٰ: ٢٩٢هـ المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، حقق الأجزاء من ١ إلىٰ ٩ وعادل بن سعد حقق الأجزاء من ١٠ إلىٰ ١٧ وصبري عبد الخالق الشافعي حقق الجزء ١٨ الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولىٰ، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م

٤٦- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ» مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى: ٢٦١هـ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٧- «معالم التنزيل في تفسير القرآن» البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي المتوفى: ٥١٠هـ المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ.

٤٨- «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المتوفى: ٥٠٢هـ المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولىٰ - ١٤١٢ هـ

٤٩- «من الآيات العلمية» عبد الرزاق نوفل، دار الشروق ١٩٩٨م.

٥٠- «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف المتوفى: ٦٧٦هـ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٥١- «الموضوعات» ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد المتوفى: ٥٩٧هـ ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ.

٥٢- «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر المتوفى: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٣- «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه» مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي المتوفى: ٤٣٧هـ المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المصدر الالكتروني:

٥٤- https://al- maktaba.org/book/33919/176#p

المَوضُوعَات

مستخلص البحث ٨٣
المقدمة ٨٧
موضوع البحث ٨٨
حدود البحث ٨٨
أهداف البحث ٨٨
الدراسات السابقة ٨٨
منهج البحث ٨٨
خطة البحث ٨٩
التمهيد: المراد بالمحفوظات والتعريف بالسورة الكريمة الحجر ٩١
المبحث الأول: المحفوظات المذكورة في سورة الحجر بلفظ «الحفظ» ٩٨
المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم ٩٨
المطلب الثاني: حفظ السماوات ١٠٢
المبحث الثاني: المحفوظات المذكورة في سورة الحجر بغير لفظ «الحفظ» ١٠٤
المطلب الأول: حفظ الأرض ١٠٤
المطلب الثاني: حفظ الأرزاق ١٠٦
المطلب الثالث: حفظ الأمطار ١٠٩
المطلب الرابع: حفظ المؤمنين ١١١
المطلب الخامس: حفظ نبينا ﷺ ١١٣
الخاتمة ١١٦
ثبت المصادر والمراجع ١١٧
الموضوعات ١٢٣

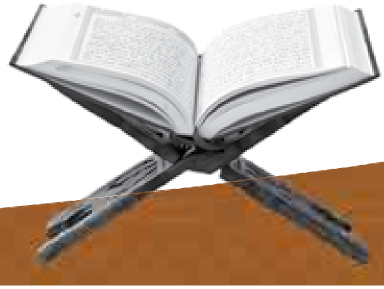
مجلة تدبر

مجلة تدبر



مُحبِطَاتُ العَمَلِ مِنْ خِلَالِ سُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ»



د. بَدْرِيَّة بِنْت سَعِيد الوَادِعِي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك،
بجامعة نَجْرَان

قدم للنشر في: ١٤٤١/٧/٦
قبل للنشر في: ١٤٤١/١٠/٢١
نشر في: ١٤٤٣/١/١

◆ البريد الإلكتروني: elafsw@gmail.com

◆ حَصَلَتْ على الماجستير بعنوان: «تفسير القرآن الكريم في موسوعة «نهاية الأرب» للنُّويري» دراسة وتحقيق بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

◆ وحصلت على رسالة الدكتوراه بعنوان «تفسير تعليق مبارك في تفسير القرآن الكريم، لأحمد بن أبي بكر البُلْقيني (٨٤٤هـ)» دراسة وتحقيق، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

بعض النتاج العلمي:

١- «الزيادات الواردة في حق المؤمنين وحق الكافرين في القرآن الكريم، دراسة موضوعية».

٢- «بلاغة الحوار القرآني، حوار الأنبياء مع أبنائهم نموذجًا، دراسة بلاغية».

٣- «آيات المال والإنسان في القرآن الكريم، دراسة بلاغية».

مُسْتَخْلَصُ البَحْث

تناول البحث دراسة موضوعية لمحبطات العمل كما وردت في سورة محمد ﷺ، ويهدف البحث إلىٰ تحديد الأسباب التي تحبط العمل من خلال سورة محمد ﷺ، حيث ورد العمل ومشتقاته في سورة محمد ﷺ اثنتي عَشْرة مرة، في موضوعات متعددة متعلقة بجانب العمل. واعتمدتُ في البحث علىٰ المنهج الاستقرائي الاستنباطي، مع الدراسة والتحليل والربط.

وكان من أهم نتائج البحث:

١- عِلم الله بأعمال عباده، ومجازاته عليها بما يتناسب مع صلاحها وفسادها، فمَن عَمِل صالحًا فله جزاءً الحسنىٰ، ومَن عَمِل سيئة فلا يُجزَىٰ الذين عملوا السيئات إلا بما كانوا يكسبون.

٢- تزيين سوء العمل لفاعله؛ جزاءً وفاقًا لاتباعه هواه، وعدم الانقياد لطاعة الله.

٣- الحذر من محبطات العمل، وأعظمها ومبدؤها هو الكفر.

٤- الجهاد في سبيل الله من أعظم ما يَحفظ للعبد أجره وعمله.

وحددت موانع حبوط عمل المؤمن:

١- الإيمان وطاعة الله ورسوله.

٢- الجهاد في سبيل الله.

٣- عدم الوَهْن مع العدو.

الكلمات المفتاحية: حبوط، موانع، الكفر.

3- The nullifiers of good deeds, the most serious of which is unbelief, are to be avoided.

4- Practicing Jihad is the best devotion that preserves a servant's reward and righteous deeds.

The things that counteract the nullifiers of a believer's good deeds are as follows:

1- Faith and obedience to Allâh and His Prophet.

2- Practicing Jihad against enemies.

3- Not to make unconditional concessions to the enemies.

Keywords: Nullification-counteract-unbelief

Things that nullify Good Deeds according to the Sura of Muhammad (Peace be upon him)

An objective study

Prepared by:

Dr. Badria Saeed Al-Wadei

Associate Professor of Tafsir and Quranic Sciences, the University of Najran

Email: elafsw@gmail.com

Abstract

The research addresses an objective study on the things that nullify good deeds as reflected in the Sura of Muhammad (may Allâh's blessings and peace be upon him) and aims to identify the reasons why good deeds can be neutralized. The word "'amal" (deed) and its different derivatives occur twelve times in the Sura in question. I relied on the deductive inductive approach in addition to studying, analysis and connection.

Main findings:

1- Allâh is completely aware of His servants' deeds and He holds them accountable for them, be they good or bad. Whoever performs good deeds will receive a generous reward while wrongdoers will be punished.

2- Misdeeds are normalized for their perpetrators as a punishment appropriate for following their personal inclinations and their incompliance with the commands of Allâh.

مجلة تدبر

المُقَدِّمَة

الحمد لله المتفضل الممتن علىٰ عباده بتنزيل كتابه وتعليم بيانه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ الهادي البشير، والسراج المنير، صلاة وسلامًا إلىٰ يوم الدين.

وبعد: فحَثَّ الإسلام علىٰ العمل واهتمّ به، وكَرَّم الله كُلّ مَن يؤدّيه، عندما عَدّه جزءًا من الرسالة التي حَمَّلَها الله للإنسان، وهي رسالة الإعمار والاستخلاف في الأرض،وقد وَرَدَ في القرآن الكثير من الآيات التي تحثّ المُسلم علىٰ العمل[(١)].

وقد حَدَّدَتِ الشريعة للعمل آدابًا وتنظيمات شرعية له، وحثت علىٰ الحرص علىٰ الأسباب المؤدية لقَبول العمل، وحَذَّرَتْ من محبطاته التي تَجعل العبد لا يَنتفع بشيء منه.

ولأهمية الوقوف علىٰ تلك المحبطات المبثوثة في آيات الكتاب العزيز، أحببتُ أن أكتب عن محبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ، بدراسة موضوعية للمواضع التي ذُكِرَ فيها العمل في السورة، مع تناول بعض الموضوعات التي ذُكِرَتْ في السورة تتعلق بالعمل، كتزيينه وعِلم الله به ومجازاته عليه، والأسباب الواردة في حفظ العمل من الحبوط من خلال السورة.

(١) ورد لفظ «عمل» في القرآن (٣٦٠) مرة: (١٣) مرة اسمًا مشتقًّا من الثلاثي المجرد، و(٧١) مرة اسمًا بصيغة «عمل» و(٢٧٦) مرة فعلًا من الثلاثي المجرد .انظر: فهرس جذور كلمات القرآن – عمل.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع لارتباطه بآيات القرآن الكريم التي أوجب الله علينا تدبرها، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] وحيث إن القرآن الكريم مصدر التشريع والتبيين، نَبَعَتْ أهمية الكتابة في هذا الموضوع من أهمية هذا المصدر، وخاصة في أمر عظيم عند كل مسلم، وهو ما قد يُحْبِط العمل ويجعله هباءً منثورًا، بسعي غير مشكور، وجهد غير مُتقبَّل.

وحيث ورد العمل ومشتقاته في سورة محمد ﷺ اثنتي عشرة مرة، في موضوعات متعددة متعلقة بجانب العمل، كان أكثرها حول محبطات العمل، أحببتُ جمع ودراسة ما قد يُحْبِط العمل حَسَب ما ورد في السورة، مع ذكر قضايا متعلقة بالعمل من جوانب أخرىٰ، في بحث يتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. خطة البحث:

المقدمة: وتشمل علىٰ بيان أهمية الموضوع، وذِكر أسباب اختياره، وعَرْض خطته، والدراسات السابقة، وبيان منهج الكتابة فيه.

التمهيد: دراسة بين يدي سورة محمد ﷺ.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول السورة، وتسميتها، وما ورد في فضلها.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأحقاف).

المطلب الثالث: مقاصد السورة، وموضوعاتها.

المبحث الأول: حديث سورة محمد ﷺ عن الأعمال.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العمل، وشرطا قَبوله، ومواضع وروده في السورة وموضوعاته.

المطلب الثاني: عِلم الله بأعمال عباده.

المطلب الثالث: المجازاة علىٰ العمل بما يتناسب مع صلاحه وفساده.

المطلب الرابع: تزيين سوء العمل.

◆ المبحث الثاني: محبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: الصد عن سبيل الله.

المطلب الثالث: كراهة ما أَنْزَل الله.

المطلب الرابع: اتباع ما أَسْخَط الله.

المطلب الخامس: كراهة رضوان الله.

المطلب السادس: مُشاقَّة الرسول ﷺ بعد بيان الهدىٰ.

◆ المبحث الثالث: موانع حبوط عمل المؤمن.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان وطاعة الله ورسوله.

المطلب الثاني: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثالث: عدم الوَهْن مع العدو.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

وتحتوي الفهارس علىٰ فهرس الموضوعات، وثبت المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

لم أجد أي دراسات سابقة تناولت الموضوع في حدود هذا البحث، ولكن هناك دراسات تناولت محبطات العمل في القرآن والسُّنة علىٰ العموم، وهي:

١- «محبطات العمل الصالح وآثارها كما يصورها القرآن الكريم» للباحث رضا نصر القدره، بالجامعة الإسلامية،بغزة، وقد تَناوَل جميع المحبطات في القرآن الكريم، القلبية والفعلية والقولية، وتَحَدَّثَ عن الكفر كمحبط للعمل الصالح، ولم يورد في استشهاده آيات سورة محمد.

٢- بحث «محبطات الأعمال»لمحمد إبراهيم النعيم ﷺ، وتَحَدَّث كذلك عن المحبطات في القرآن والسُّنة، وتناول الكفر، دون الاستشهاد بآيات سورة محمد؛ اكتفاءً بغيرها من الآيات.

منهج البحث:

سَلَكْتُ فيه منهج الاستقراء في الجمع، ثم الدراسة والربط، والتحليل والاستنباط.

فالمنهج الاستقرائي في استخراج الآيات الواردة في الموضوع، وجَمْعها وتصنيفها.

والمنهج الوصفي التحليلي في عرض الآيات، وتناولها بالدراسة والتحليل، واستنباط الفوائد.

والتزمتُ بالقواعد والضوابط العلمية المعروفة في كتابة البحوث العلمية، كالآتي:

١- عزو الآيات القرآنية، بذكر رقم الآية واسم السورة، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في «الصحيحين» اكتفيتُ بهما، وإن كان في غيرهما خرجتُه من مظانه، مع ذكر درجته والحُكم عليه.

٣- توثيق نصوص العلماء وآرائهم من كتبهم مباشرة.

٤- الالتزام بعلامات الترقيم، وقواعد الإملاء.

التمهيد:

دراسة بين يدي سورة محمد ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول السورة، وتسميتها، وما ورد في فضلها.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأحقاف).

المطلب الثالث: مقاصد السورة، وموضوعاتها.

المطلب الأول:
نزول السورة، وتسميتها، وما ورد في فضلها

نزول السورة:

سورة محمد ﷺ هي السورة السابعة والأربعون بحَسَب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والتِّسعون بحَسَب نزول سور القرآن.

نزلت بعد «سورة الحديد»، وقبل «سورة الرعد»(١).

وقد قيل في مكيتها ومدنيتها:

قيل في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها مدنية، ذَكَره أكثر المفسرين(٢)، وقال به ابن عباس وقتادة،

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن المنسوب للزُّهْري (ص٤١).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٢)، وتفسير الطبري (٢١/ ١٨٠)، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنين (٤/ ٢٣٤)، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٨)، وتفسير الزمخشري (٤/ ٣١٤)، وتفسير ابن كثير =

وحَكَىٰ الإجماع علىٰ مدنيتها ابن عطية، وابن المُلقِّن، والسيوطي[(١)]، وقال البقاعي: هو الصحيح[(٢)] وقال ابن قُتيبة: مدنية كلها[(٣)]. ورجحه عدد من العلماء[(٤)].

القول الثاني: **أنها مكية**، قاله الضَّحَّاك والسُّدّيّ، وقال به بعض المفسرين[(٥)].

القول الثالث: **كلها مدنية إلا قوله تعالىٰ:** ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٣] قيل: نزلت لما خرج الرسول ﷺ من مكة إلىٰ الغار... واستدلوا بما رُوي عن عكرمة، عن ابن عباس، أن نبي الله ﷺ لما خرج من مكة إلىٰ الغار، أراه قال: التفت إلىٰ مكة، فقال: «**أنتِ أَحَبُّ بلاد الله إلىٰ الله، وأنتِ أَحَبُّ بلاد الله إليَّ، فلو أن المشركين لم يُخرجوني لم أَخرج منكِ، فأعتىٰ الأعداء مَن عتا علىٰ الله في حَرَمه، أو قَتَل غير قاتله، أو قَتَل بذُحول الجاهلية**» فأنزل الله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١٣][(٦)].

= (٧/ ٣٠٦)، والبيان في عد آي القرآن للداني (ص٢٢٨).

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ١٠٩)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن المُلقِّن (٢٣/ ٢٣٨)، والإتقان، للسيوطي(١/ ١٩٤).

(٢) مَصاعِد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور، للبقاعي (٢/ ٤٨٥).

(٣) غريب القرآن لابن قُتيبة (ص٤٠٩).

(٤) الناسخ والمنسوخ للمَقري (ص١٦٥)، والزيادة والإحسان في علوم القرآن، لعَقيلة (١/ ٢١٣).

(٥) زاد المَسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤/ ١١٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٣)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنَّسَفي (٣/ ٣٢١)، وتفسير السمرقندي (٣/ ٢٩٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٤٣) وأبو يعلىٰ كما في المطالب العالية رقم (٣٧١٦) من طريق طلحة بن عمرو، وحَنَش. وكلاهما ضعيفان.

ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٦٤٠) و ابن كَثير (٤/ ٢١٢) من حديث ابن عباس. وفي إسناده =

الراجح: من دراسة الأقوال الواردة يتضح أن الراجح هو القول الأول،أي: الحُكْم بمدنية السورة كلها؛ لما حُكي من الإجماع علىٰ ذلك، ولما تتضمنت من ضوابط السور المدنية وخصائص أسلوبها.

وأما الاستدلال بحديث ابن عباس السابق علىٰ مكيتها فغير سائغ؛ لأنها ولو سَلَّمْنا بنزولها في ذلك الموقف فلها حكم المدني، باعتبار أن المدني ما نَزَل بعد الهجرة.

قال ابن عطية في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ...﴾ [محمد: ١٣]: قيل: إن هذه الآية نزلت إثر خروج رسول الله ﷺ من مكة في طريق المدينة. وقيل: نزلت بالمدينة. وقيل: نزلت بمكة عام دخلها رسول الله ﷺ بعد الحديبية. وقيل: نزلت عام الفتح وهو مقبل إليها. وهذا كله حكمه حكم المدني(١).

وأما ما ورد من رد الشهاب في حاشيته علىٰ البيضاوي الإجماع المحكي علىٰ مدنية السورة، مستدلًّا بما ذكره الماوردي في «تفسيره» عن ابن عباس وقتادة، قالا: «إلا آية منها نزلت بعد حجّه حين خرج ﷺ من مكة، جَعَل يَنظر إلىٰ البيت وهو يبكي حزنًا عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣]»(٢). فإن هذا دليلٌ علىٰ مدنية السورة وليس مكيتها.

وحَكَم السيوطي والقاسمي علىٰ قول النسفي بأنها مكية بالغرابة(٣).

= الحسين بن قيس، وهو متروك، والغريب فيه ذكر نزول الآية، وأما أصله فله شواهد. انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمِزِّي (٥/ ١٢١)، ومَجْمَع الزوائد ومَنْبَع الفوائد، للهيثمي (٨/ ١٦٢).

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ١١٣).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في المسند (٣/ ١٣٩: برقم ٢٦٥٤).

(٣) الدر المنثور، للسيوطي (٧/ ٢٣٨)، وتفسير القاسمي (٨/ ٤٦٣) وذَكَر النَّسَفي هذا القول في تفسيره، (٣/ ٣٢١) وسبب حكمهما بغرابته أن هذا القول وهم ناشئ عن قول ابن عباس عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣] وقد تم توضيح =

وقال ابن عاشور عن القول بمكيتها: «إن هذا وهم ناشئ عن قول ابن عباس وقتادة السابق»(١).

لأن المتأمل في قول ابن عباس وقتادة يرىٰ أنه دليل علىٰ مدنية السورة، وليس مكيتها؛ لِذكرهما أنها نزلت بعد حجة الوداع، علىٰ القول الراجح بأن المدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

تسميتها، وما ورد في فضلها:

سميت هذه السورة في كتب السُّنَّة (سورة محمد ﷺ)، وكذلك تُرجمت في «صحيح الإمام البخاري» من رواية أبي ذر عنه(٢)، وكذلك في تفاسير المفسرين عند إشاراتهم للسورة(٣).

ووقع في بعض كتب التفسير تسميتها (سورة الذين كفروا)(٤).

والأَشْهَر الأول، ووجهه أنه ذُكِر فيها اسم النبي ﷺ في الآية الثانية منها، فعُرفت به قبل (سورة آل عمران) التي فيها ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤](٥).

= المعنىٰ الصحيح المستنبط من القول.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٧٠).

(٢) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ...﴾ [الأحقاف: ٢٤] (٦/ ١٣٤)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٩)، وقال: ولغيره «الذين كفروا» إشارة إلىٰ تسمية لها عند بعض العلماء.

(٣) معاني القرآنللأخفش (٢/ ٥٢٠)، ومعاني القرآن للفَرَّاء (١/ ٢٧٨)، وجمال القراء وكمال الإقراء، للسخاوي (ص٩٢).

(٤) نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر، للبقاعي (١٨/ ٢٨٠)، والدر المنثور، للسيوطي (٧/ ٤٥٦)، وتفسير حدائق الرَّوْح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٢٧/ ١٢٠).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٦/ ٧١).

وتسمىٰ (سورة القتال)، وتسميتها بهذا لأنه ذُكِرَ فيها مشروعية القتال؛ ولأنه ذُكر فيها لفظه في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٠].

فلها اسمان: (سورة محمد)؛ لقوله فيها: ﴿نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ﴾ [محمد: ٢]، و(سورة القتال)؛ لقوله: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ [محمد: ٢٠][(١)].

فالمراد بـ(السورة) في هذه الآية هذه السورة، فتكون تسميتها (سورة القتال) تسمية قرآنية، فـ(القتال) هو موضوعها والمطلب البارز فيها.

وآياتها عُدّتْ في أكثر الأمصار تسعًا وثلاثين، وعَدَّها أهل البصرة أربعين، وعدَّها أهل الكوفة تسعًا وثلاثين[(٢)].

وعن ابن عمر، أن النبي ﷺ كان يقرأ بهم في المغرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ١][(٣)].

ورد عند الثعلبي وغيره: «مَن قرأ سورة محمد ﷺ، لم يَوَلِّ وجهه جهة إلا رأىٰ محمدًا ﷺ، وكان حقًّا علىٰ الله ﷻ أن يسقيه من الأنهار»[(٤)].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (١/ ٤٣٠)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/ ١٩٤).

(٢) البيان في عد آي القرآن، للداني (٢/ ٨٧) وفنون الأفنان لابن الجوزي (٣٠٨)

(٣) قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، انظر مجمع الفوائد (٢/ ٢٢٩).

(٤) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٨)، والكامل في القراءات العَشْر والأربعين الزائدة عليها، للهُذَلي (ص٢٨)، والسراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني (٤/ ٣٦) وقال: حديث موضوع.

وروىٰ أبو نُعيم عن إبراهيم بن الأشعث، أن الفضيل بن عِيَاض قرأ سورة محمد ﷺ، فشَرَع يبكي، ويردد هذه الآية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وجَعَل يقول: «إنك إن بلوتَ أخبارنا فضحتَنا، وهتكتَ أستارنا! إنك إن بلوتَ أخبارنا أهلكتَنا وعذبتَنا!» ويبكي[(١)].

= وأخرجه ابن الشجري في الأمالي في حديث أبي الطويل في فضائل السور (١/ ١٢٦)، وابن عَدي في الكامل (٧/ ٢٥٨٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٤٠).

وقال العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٤١٩): «فضيلة قراءة كل سورة رووا ذلك وأسندوه إلىٰ أُبي بن كعب ومجموع ذلك مفترىٰ وموضوع بإجماع أهل الحديث».

وقد وورد بثلاثة طرق كلها تالفة، والحكم بوضعه حُكْم بالإجمال، لكن قد صحت بعض الفضائل من طرق أخرىٰ.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٨/ ١١١)، وشُعَب الإيمان للبيهقي (١٢/ ٤١٧).

المطلب الثاني:

مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأحقاف)

مناسبتها للسورة التي قبلها أن حديثها عن الكفار الذي بُدئت به متصل بما خُتمت به سابقتها (سورة الأحقاف)، التي ذَكَرَتْ حالهم يوم يُعْرَضون على النار؛ بسبب كفرهم، وإيذاء الرسول، وإنكار البعث، وقررت مصيرهم بقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥](١).

فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ كأن سورة محمد ﷺ أوضحت مَن هم القوم الذين فسقوا وسيُهلَكون؟ هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

فلا يخفىٰ قوة ارتباط أولها بآخِر السورة قبلها، واتصاله وتلاحمه، بحيث لو سقطت بينهما البسملة، لكانا كلامًا واحدًا لا تَنافُر فيه، كالآية الواحدة آخذًا بعضها بعنق بعض(٢).

◆ ◆ ◆

(١) تفسير الرازي (٢٨/ ٣٢).

(٢) انظر: نَظْم الدُّرَر (١٨/ ١٩٥)، والتفسير المنير للزحيلي (٢٦/ ٧٥).

المطلب الثالث:

مقاصد السورة، وموضوعاتها

معظم ما في هذه السورة التحريض علىٰ قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد، وقد افتُتحتْ بما يثير حَنَق المؤمنين علىٰ المشركين؛ لأنهم كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، أي: دينه. فـ(القتال) هو موضوع السورة، فهي تَبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا بصيغة تقريع واستنكار علىٰ الذين كفروا، وتمجيد للذين آمنوا، مع إيحاء بأن الله عدو للكافرين، ووليٌّ للمؤمنين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه، فهو إِذَنْ إعلان حرب منه تعالىٰ علىٰ أعدائه وأعداء دينه من اللفظ الأول في السورة.

وفي الجملة، فإن مقاصد هذه السورة ينتظم وَفْق الآتي:

١ - بَيَّنَتْ أن الله أبطل أعمال الكافرين؛ لإعراضهم عن الحق، واتباع الباطل، والوقوف في وجه الدعوة.

٢ - بَيَّنَتْ وجوب الدفاع عن الحق، وما يتطلبه ذلك عند لقاء الكفار في بَدء المعركة ونهايتها، وذَكَرَتْ جزاء مَن قُتل في سبيل الله.

٣ - وَعْدُ المجاهدين بالجنة، وأَمْر المسلمين بمجاهدة الكفار، وأن لا يَدْعُوهم إلىٰ السَّلْم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم.

٤ - حَذَّرَتْ كفار مكة سوء المصير، فضَرَبَتْ لهم الأمثال بالطغاة المتجبرين من الأمم السابقة.

٥ - وَصْف الجنة ونعيمها، ووَصْف جهنم وعذابها.

٦- وَصْف المنافقين وحال اندهاشهم إذا نزلت سورة فيها الحض على القتال، وقلة تدبرهم القرآن.

٧- خُتمت السورة بالإشارة إلىٰ وعد المسلمين بنوال التمكين، والتحذير إن صار إليهم الأمر من الفساد في الأرض وقطيعة الرحم، وذمت البخلاء في الإنفاق، وبَيَّنَتِ استغناء الحق عن الخلق، وفَقْر الخلق إلىٰ الحق[١].

(١) انظر: التفسير الوسيط - مَجْمَع البحوث (٩/ ٩٤٣).

المبحث الأول:

حديث سورة محمد ﷺ عن الأعمال

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العمل وشرطا قبوله، ومواضع وروده في السورة وموضوعاته.

المطلب الثاني: عِلم الله بأعمال عباده.

المطلب الثالث: المجازاة على العمل بما يتناسب مع صلاحه وفساده.

المطلب الرابع: تزيين سوء العمل.

المطلب الأول:
تعريف العمل وشرطا قبوله، ومواضع وروده في السورة وموضوعاته

أولًا: تعريف العمل:

ع م ل: (عَمِلَ) من باب طَرِبَ، و(أعْمَلَه) غَيْرُه و(اسْتَعْمَلَه) بمعنىٰ، واستعمله أيضًا، أي: طَلَبَ إليه العمل. و(اعْتَمَلَ): اضطرب في (العمل). ورجل (عَمِلٌ) بكسر الميم، أي: مطبوع علىٰ العمل، ورجل (عَمُول)...»[1].

قال ابن سِيده: «العمل: المهنة والفعل، والجَمْع: أعمال، عَمِل عملًا، وأَعْمَله واستَعْمَله.

واعتمل: عَمِل بنفسه، أنشد سيبويه:

(١) مختار الصحاح للرازي (ص٢١٨).

إنَّ الـكـريـم وأبِـيـكَ يَـعْـتَـمِـلْ   إن لم يَجِدْ يَوْمًا عَلَىٰ مَنْ يتَّكِلْ»[1]

وقد ذَكَر أهل اللغة فرقًا بين العمل والفعل والصُّنع، فقالوا: (الفعل) لفظ عام، يقال لِما كان بإجادة وبدونها، ولِما كان بعلم أو غير علم، وقَصْد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجماد.

وأما (العمل) فإنه لا يقال إلا لما كان من الحيوان دون ما كان من الجماد، ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعِلم وفكر وروية.

قال العسكري: قال بعض الأدباء: العمل مقلوب عن العلم، فإن العلم فِعل القلب، والعمل فِعل الجارحة، وهو يُبْرِز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه. وأما (الصنع) فإنه من الإنسان دون سائر الحيوانات، ولا يقال إلا لما كان بإجادة[2].

و(الصنع) يكون بلا فكر لشرف فاعله، و(الفعل) قد يكون بلا فكر لنقص فاعله.

فـ(الصنع) أخص المعاني الثلاثة، و(الفعل) أعمها، و(العمل) أوسطها.

فكل صُنْع عَمَل، وليس كل عَمَل صنعًا، وكل عَمَل فِعل، وليس كل فِعل عملًا[3].

شرطا قَبول العمل:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له؛ لقول النبي ﷺ: «إنما

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم، (٢/ ١٧٨).

(٢) معجم الفروق اللُّغوية للعسكري (ص٣٢٢).

(٣) انظر: المفردات للراغب (١/ ٥٧٦)، والكليات للكَفَوي (١/ ٦٦١)، والتعريفات للمُنَاوي (١/ ١٧٥)، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمُناوي أيضًا (ص٢١٩)

الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ»[١].

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ؛ لقول النبي ﷺ: «مَن عَمِل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رَدٌّ»[٢].

قال الإمام أبو زكريا يحيىٰ النووي ﵀: رُوِّينا عن أبي القاسم القُشيري أنه قال: سُئل الفُضيل بن عِياض عن قوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢] قال: أَخْلَصُه وأَصْوَبُه. قيل: ما أَخْلَصُه وأَصْوَبُه؟ فقال: إن العمل لا يكون مقبولًا حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان علىٰ سُنة رسول الله[٣].

ورود العمل في السورة وموضوعاته:

ورد الحديث عن الأعمال في السورة في اثني عَشَر موضعًا، تضمنت موضوعات متعددة متعلقة بالعمل، وهي كالآتي:

- **إثبات علم الله بأعمال عباده**، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٠].

- **النهي عن إبطال الأعمال**، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب كيف كان بَدْء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، (١/ ٩)، برقم (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، (٢/ ١٥١٥)، برقم (١٩٠٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد مُحْدَثات الأمور، (٣/ ١٣٤٤)، برقم (١٧١٨)، ولفظ البخاري ومسلم: مَن أَحْدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ. البخاري، برقم (٢٦٩٧)، ومسلم، برقم (١٧١٨).

(٣) الإيمان الأوسط لابن تيمية (ص٥٨٢)، و مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية أيضًا (٢٨/ ١٧٥).

- **أسباب إحباط الأعمال**، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

- **موانع إحباط الأعمال**، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

- **المجازاة علىٰ العمل بما يتناسب مع صلاحه وفساده**، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

- **تزيين سوء العمل**، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤].

المطلب الثاني:
عِلم الله بأعمال عباده

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

قال الطبري: «لا يَخفىٰ عليه العامل منكم بطاعته، والمخالف ذلك، وهو مُجازِي جميعكم عليها؛ لأنه سبحانه مطلع عالم بكل أعمالكم ونياتكم، مما أسررتم وأعلنتم، فهو يُخرَّج علىٰ الوعيد بأن العالم سوف يُجازِي، كقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]»(١).

وقال الطبري أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]: «يَعلم جميع ما في السماوات وما في الأرض مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم، ولتَعْلموا أنه بكل شيء عليم، لا يَخفىٰ عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم حتىٰ يُجازَىٰ المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته»(٢).

واليقين والإيمان بعلم الله لعمل العبد يَجعل العبد يُخْلِص لله وحده؛ لأن العمل الخالي من الإخلاص لا يَنفع العبد في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولذلك كان دعاء أصحاب الغار وتوسلهم بصالح أعمالهم لم يكن بالعمل ذاته، وإنما بعلم الله إن كان يَعلم هذا العمل خالصًا له، فهو الذي سينفعهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٢٣).

(٢) المرجع السابق (١١/ ٩٤).

المطلب الثالث:

المجازاة على العمل بما يتناسب مع صلاحه وفساده

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢].

فلا يَنفع العبد إيمان لا يدفعه للعمل الصالح، الذي أَعَد الله لصاحبه النعيم الخالد، الذي ذَكَر الله طَرَفًا منه، وهو الجنات التي تَجري من تحتها الأنهار.

قال الإمام الطبري: «إن الله له الألوهية التي لا تنبغي لغيره، يُدخِل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تَجري من تحت أشجارها الأنهار، يَفعل ذلك بهم تَكْرِمة علىٰ إيمانهم به وبرسوله.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد: ١٢]

يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكَذَّبوا رسوله ﷺ- يتمتعون في هذه الدنيا بحُطامها ورِياشها(١) وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مُفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وَضَع الله لخلقه من الحُجج المؤدّية لهم إلىٰ علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله، فمَثَلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك وغير معرفة- مَثَل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف(٢) دون غيره، ثم النار نار جهنم مسكن لهم ومأوىٰ، إليها يصيرون من بعد مماتهم»(٣).

---

(١) وراش يَريش رَيْشًا: إذا جَمَع الريش، وهو المال والأثاث. لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣١٠).

(٢) عَلَفْتُ الدّابّةَ أَعْلِفُها عَلْفًا، أي: أطعمتها العَلَف، العين للخليل (٢/ ١٤٤) باب العين واللام والفاء.

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٤).

فالأنعام لا تُميِّز بين وقت ووقت، ولا هم وهم، ولا ما في الغد، وكذلك الكفار لا يُميِّزون بين حق ولا باطل، ولا بين حلال وحرام، ولا يدركون ماذا ينتظرهم من المصير.

والأعمال سبب دخول الجنة أو النار، ولا يُعارِض ذلك حديث: «لن يَدخل أحدُكم الجنة بعمله»[(١)] «لأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة؛ لأن العمل بمجرده ولو تناهىٰ لا يوجب دخول لجنة، ولا أن يكون عِوضًا لها؛ لأنه ولو وقع علىٰ الوجه الذي يحبه الله لا يُقاوِم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقىٰ سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يُوفِها حق شكرها، فلو عذبه علىٰ هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرًا من عمله»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٤٧) برقم (٥٣٤٩)، ومسلم (٤/ ٢١٦٩) برقم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (ص ٧٦).

المطلب الرابع:
تزيين سوء العمل

قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤].

(البينة) هي: الضياء، والحُجّة[(١)]، والاستبصار بواضح المَحَجَّة، والعقيدة السليمة، والدين القويم[(٢)].

وفي معناها أربعة أقاويل:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه محمد ﷺ، قاله أبو العالية، والبينة: الوحي.

الثالث: أنهم المؤمنون، قاله الحسن، والبينة: معجزة الرسول.

الرابع: أنه الدين، قاله الكلبي[(٣)].

قال تعالىٰ: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٤] **فيه قولان:**

أحدهما: عبادتهم الأوثان، قاله الضحاك.

الثاني: شركهم، قاله قتادة، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم كافة المشركين[(٤)]

(١) تاج العروس للزَّبيدي (٣٤/ ٣١٠).

(٢) لطائف الإشارات للقُشيري (٣/ ٤٠٧).

(٣) تفسير الماوردي (٥/ ٢٩٦)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/ ١١٧).

وجميع هذه الأقوال اختلافها اختلاف تنوع، فمعجزة النبي ﷺ هي القرآن الذي أتىٰ به عن طريق الوحي، المتضمن لمعالم الدين، فلا تضاد بين هذه الأقوال.

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٢٩٦).

والثاني: أن المراد أبو جهل[1].

وإن كان المُخاطَب بها النبي محمدًا ﷺ ومشركي مكة، إلا أن اللفظ عام لأهل هاتين الصفتين غابر الدهر، فلا يستوي في حال ولا مآل مَن هداه الله للحق القويم، ومَن زَيَّن له لشيطان سوء عمله فتَخبَّط في الضلالة حتىٰ يَستفيق منها حين يَلقىٰ الله، كقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

◆ ◆ ◆

(١) التفسير البسيط للواحدي (٢٠/ ٢٣٣). وتفسير السمعاني (٥/ ١٧٣).

المبحث الثاني:

محبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: الصد عن سبيل الله.

المطلب الثالث: كراهة ما أَنْزَل الله.

المطلب الرابع: اتباع ما أَسْخَط الله.

المطلب الخامس: كراهة رضوان الله.

المطلب السادس: مُشاقَّة الرسول ﷺ بعد بيان الهدى.

تهيئــة

معنى الحبوط في المعاجم

يدور معنىٰ (الحبوط) في المعاجم علىٰ البطلان والفساد.

قال ابن فارس: «حبط: الحاء والباء والطاء أصل واحد يدل علىٰ بطلانٍ أو ألم، يقال: أحبط الله عمل الكافر؛ أي: أبطله»(١).

قال الأزهري: «حبط: قالَ اللَّيْث: الحَبَطُ: وَجَعٌ يَأْخُذ البَعِيرَ فِي بَطْنِه من كلأ يَسْتَوْبِلُه، يُقَال: حَبِطَتِ الإبلُ تَحْبَط حَبَطًا. قَالَ: وَإِذا عَمِلَ الرجلُ عملًا ثمَّ أفْسَدهُ قيل: حَبِطَ عَمَلُه، وأَحْبَطه صاحِبُه...قلتُ: وَلَا أرىٰ حَبْطَ العَمَ لِ وبُطْلاَنَه مأخوذاً إِلَّا مِن حبَط البَطْن؛ لِأَن صَاحِب الحَبط يَهْلِك، وَكَذَلِكَ عَمَل المُنافقِ والمُشْرِكِ يَحْبَط»(٢).

الحبوط في القرآن الكريم

وردت مادة (حبط) في القرآن الكريم في (١٦) مرة: (١٢) مرة من الثلاثي المجرد، و(٤) مرات من باب (أَفْعَل)، وجاءت جميعها مرتبطة بالعمل في كل المواضع، مختصة به دون غيره، إلا ما ورد من انضمامها إلىٰ (الصنع) – وهو مرادف للعمل، كما هو واضح من معناه ومن السياق– في قوله تعالىٰ: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦]، فيكون الحبوط مختصًّا بالأعمال واقعًا فيها مرتبطًا بها.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٩).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ٢٣٠).

ومعنىٰ الحبوط عند المفسرين غير مختلف عما ذكره أهل اللغة، فهو دائر علىٰ ذَهاب الحسنات، وبطلان الأعمال الصالحة وفسادها، وأن لا يكون لما عَمِلوا ثواب في الآخرة

وأما في الدنيا،:فذَهاب التعظيم والإجلال والثناء الحسن الذي يُستوجَب بالخير والدين عند الناس، فإذا ارتد عن الإسلام حبط ذلك كله، وصار علىٰ أعين الناس أخف من الكلب والخِنزير، بحيث لا تنفعه، ولا تكون سببًا في فكاكه من العذاب(١).

وقد ورد الحبوط في (سورة محمد) (٣) مرات ، وورد فيها لفظان مرادفان له، وهما:

أ - إضلال الأعمال.

ب- تِرَة الأعمال.

وسيتم تناولها في الدراسة بإذن الله تعالىٰ.

أما ماورد في السورة من مسببات الحبوط، فسيَرِد في المطالب الآتية.

(١) التفسير البسيط (٤/ ١٤٤)، وتفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٤٧٩)، ونَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّور للبقاعي (٣/ ٢٣٤).

المطلب الأول:

الكفــر

وَرَد الوصف بالكفر في هذه السورة في (٩) مواضع، منها (٣) مواضع أوضحت أن عملهم باطل محبط عند الله، وهي:

١- قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١].

٢- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٢].

٣- قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٨].

وآية أوضحت نتيجة هذا الحبوط وتبعاته، وهو عدم مغفرة ذنوبهم إذا ماتوا علىٰ هذا الكفر، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٤].

وذَكَرَتْ الآية الثالثة من السورة تعليل سبب ضلال أعمالهم، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣].

ولأن الكفر يَهدر الدم والمال أوضحت الآية الرابعة أن قتالهم واجب، فقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وأوضحت الآيتان العاشرة والحادية عَشْرة أن سُنة الله في هلاك الكافرين ماضية؛ لتخلي الله عن نصرتهم وولايتهم، فقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٠-١١].

ثم ذَكَرَتِ الآية الثانية عَشْرة من السورة عاقبة هذا الكفر، وهي النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وَهَذَا الحُبُوطُ مُعْتَبَرٌ بِالْوَفَاةِ عَلَىٰ الْكُفْرِ الذِي يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ «فَجَعَلَ الْمَوْتَ عَلَىٰ الْكُفْرِ شَرْطًا فِي حُبُوطِ الْعَمَلِ»(١).

وهذا الحبوط جعلهم الأخسرين أعمالًا في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

وحَذَّر الله أهل الإيمان من معصية الله ورسوله حتىٰ لا تبطل وتحبط أعمالهم، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] بما أَبْطَلَ به هؤلاء المشركون أعمالهم من الكفر، والنفاق، والعُجْب، والرياء، المَنّ، والأَذىٰ، ونحوها.

وقد حَكَمَتِ الآية الأولىٰ من السورة في استفتاحها بضلال أعمال الكافرين.

(١) الجموع البهية للعقيدة السلفية للمنياوي (١/ ٧٨)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣/ ٤٦٢).

وفي معنىٰ الضلال قال الإمام الشنقيطي:

لفظ الضلال يطلق في القرآن وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

الإطلاق الأول: يطلق الضلال مرادًا به الذَّهاب عن حقيقة الشيء، فتقول العرب في كل مَن ذهب عن علم حقيقة شيء: ضل عنه. وهذا الضلال ذَهاب عن علم شيء ما، وليس من الضلال في الدين.

ومِن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]، أي: من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تُعْلَم إلا عن طريق الوحي؛ لأني في ذلك الوقت لم يُوْحَ إليَّ.

ومنه علىٰ التحقيق: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٧] أي: ذاهبًا عما عَلَّمَك من العلوم التي لا تُدرَك إلا بالوحي.

ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] فقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾، أي: لا يَذهب عنه علم شيء كائنًا ما كان. وقوله تعالىٰ: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والإطلاق الثاني- وهو المشهور في اللغة وفي القرآن:- هو إطلاق الضلال علىٰ الذَّهاب عن طريق الإيمان إلىٰ الكفر، وعن طريق الحق إلىٰ الباطل، وعن طريق الجنة إلىٰ النار. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال علىٰ الغيبوبة والاضمحلال. تقول العرب: (ضل الشيء)، إذا غاب واضمحل. ومنه قولهم: (ضل السمن في الطعام)، إذا غاب فيه واضمحل، ولأجل هذا سمت العرب الدفن في القبر إضلالًا؛ لأن المدفون تأكله الأرض فيَغيب فيها ويضمحل.

ومن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ١٠] يَعنون: إذا دُفنوا وأَكَلَتْهم الأرض، فَضَلُّوا فيها، أي: غابوا فيها واضمحلوا.

ثم قال: وزعم بعض أهل العلم أن للضلال إطلاقًا رابعًا، قال: ويطلق أيضًا علىٰ المحبة، قال: ومنه قوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] قال: أي: في حبك القديم ليوسف... ثم قال: ولا يَخفىٰ سقوط هذا القول. والعلم عند الله تعالىٰ(١).

ثم خَصَّص معنىٰ الضلال في قوله تعالىٰ: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١] بأنه من الإطلاق الثالث، بمعنىٰ الغَيبة والاضمحلال(٢).

وقد وردت في تفاسير العلماء بهذه المعاني:

١- أحبطها، فلا يرون في الآخرة لها جزاء(٣).

٢- لا يقبلها منهم(٤).

٣- أَبْطَل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجَعَل الدائرة عليهم(٥).

٤- جعلها ضالة ضائعة، ليس لها مَن يتقبلها(٦).

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٩٠) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٧/ ٢٤٥) وقد ورد في التصاريف، ليحيىٰ بن سَلَّام (ص٣٤٥) إطلاقه علىٰ ثمانية أوجه.

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٢٠٤).

(٤) تفسير السمعاني (٥/ ١٦٧).

(٥) تفسير البغوي (٤/ ٢٠٨).

(٦) تفسير الزمخشري (٤/ ٣١٤)، ونَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر للبقاعي (١٨/ ١٩٥).

٥- أتلفها، ولم يَجعل لها غاية خير ولا نفعًا[(١)].

٦- وقيل: «أهلكها، ومِن مجازه قولهم: (ضل الماء في اللبن) إذا صار مستهلكًا فيه، ويقال: (أضللتُه أنا) إذا فعلتُ ذلك به فأهلكتُه وصيرتُه كالمعدوم، ومنه يقال: (أضل القوم ميتهم) إذا واروه في قبره فأخفوه حتىٰ صار لا يُرىٰ»[(٢)].

٧- قال النابغة:

فَــآبَ مُـضِـلُّـوهُ بِـعَـيْـنٍ جَـلِـيَّـةٍ وَغُـودِرَ بِالجَوْلَانِ حَـزْمٌ ونَـائِـلُ»[(٣)]

٨- وقيل: جَعَل الله أعمالهم ضلالًا علىٰ غير هدىٰ وغير رشاد؛ لأنها عُملت في سبيل الشيطان، وهي علىٰ غير استقامة[(٤)].

٩- قيل أبطلها، وأذهبها حتىٰ كأنها لم تكن، إذ لم يروا في الآخرة لها ثوابًا، وأراد بأعمالهم: إطعامهم الطعام، وصلتهم الأرحام[(٥)].

وأبطلها لفَقْد شرط ثبوتها وإثباتها، وهو الإيمان؛ لأنه شرط قَبول العمل، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

فلا يَنفع مع الكفر طاعة؛ لأن الكفر أعظم الذنوب، ولا يَغفره الله أو يَتجاوز عنه للعبد مهما بلغت حسناته وطاعاته، وتدل عليه الآية.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابنعطية (٥/ ١٠٩).

(٢) تفسير الرازي (٢/ ٣٦٩).

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (١١/ ٣٢٠)، والبيت في ديوانه (ص٨٣)، من قصيدته الغالية في رثاء أبي حجر النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغَسَّاني.

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥١).

(٥) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١١٨).

عن مسروق، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جُدْعَان كان في الجاهلية يَصِل الرحم، ويُطْعِم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»(١).

قال الإمام النووي في شرح الحديث: «معنىٰ هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم - لا ينفعه في الآخرة؛ لكونه كافرًا، وهو معنىٰ قوله ﷺ: «**لم يقل: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**» أي: لم يكن مصدقًا بالبعث، ومَن لم يُصَدِّق به كافر ولا ينفعه عمل.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقد انعقد الإجماع علىٰ أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، لكن بعضهم أشد عذابًا من بعض بحَسَب جرائمهم»(٢).

وعليه تكون جميع ما ورد في معاني ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١] واقعة علىٰ عمل الكافر في الدنيا والآخرة، فلا نفع ولا خير ولا جزاء ولا قَبول، بل مهلكة محبطة مبطلة متلفة ضائعة؛ لأنها علىٰ غير هدىً ولا رشاد.

◆ ◆ ◆

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن مَن مات علىٰ الكفر لا ينفعه عمل، رقم (٣٥٦)، (١/ ١٩٦).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٣/ ٨٧).

المطلب الثاني:

الصد عن سبيل الله

ورد الصد في السورة الكريمة في (٣) مواضع، وهي:

١- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٢].

٣- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٤].

والصد: الإعراض، صَدَّ يَصُد، وصددتُه عن الأمر، (إذا) عدلته عنه[1].

وورد مقترنًا بالكفر في مواضع عدة من القرآن.

والمراد بـ(سبيل الله): دين الله الذي ارتضاه لعباده[2]. وقال الضحاك: «عن بيت الله بمنع قاصديه»[3].

ورَجّح الإمام الشنقيطي أن الصد هنا مُتَعَدٍّ، فقال: «﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: هو من الصدود؛ لأن (صد) في الآية لازم.وعليه فالمفعول محذوف، أي: صدوا غيرهم عن سبيل الله، أي: عن الدخول في الإسلام.

---

(١) مُجْمَل اللغة لابن فارس (ص٥٣٢).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٢٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٣٠١).

وهذا القول الأخير هو الصواب؛ لأنه على القول بأن (صد) لازم، فإن ذلك يكون تكرارًا مع قوله: (كفروا) لأن الكفر هو أعظم أنواع الصدود عن سبيل الله.

وأما على القول بأن (صد) مُتَعَدٍّ فلا تكرار؛ لأن المعنى أنهم ضالون في أنفسهم، مُضِلون لغيرهم بصدهم إياهم عن سبيل الله(١).

وورد للصد عدة معانٍ في كتب المفسرين، منها:

١- «مَنَعوا الناس عن الإيمان بمحمد؛ وذلك لأن النبي ﷺ على الصراط المستقيم هادٍ إليه، وهو صراط الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣](٢).

وقال الرازي: «فمَن مَنَع من اتباع محمد ﷺ، فقد صَدَّ عن سبيل الله»(٣).

وكان رأس ذلك الصد هو أبا لهب الذي كان يَتبع خطوات النبي ﷺ، ويُبغِّض للناس دينه؛ ليَصدهم عن الإيمان والتصديق.

٢- أَعْرَضوا وامتنعوا عن الدخول في الإسلام.

٣- صدوا الناس عن الإنفاق على محمد ﷺ وأصحابه.

٤- الصد عن الجهاد في سبيل الله.

٥- الصد بتثبيطهم وتهوين شأن المسلمين(٤).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٤٤).

(٢) الوجيز للواحدي (٥/ ٥٧).

(٣) تفسير الرازي (٢٨/ ٣٣).

(٤) انظر هذه الأقوال في: تفسير الزمخشري (١١/ ٥٢)، وتفسير الماوردي (٥/ ٢٩٠).

ورُوي عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: نزلت في أهل مكة: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١](١).

قال الإمام البغوي: «والحق أن الآية عامة لكل مَن كَفَر وأَعْرَض عن الإسلام، أو كَفر ومَنَع الناسَ من الدخول فيه بكل الوسائل والطرق المؤدية للمنع»(٢)، وقال نحوه ابن جُزَيّ(٣).

ورأسُ الصد والغواية عن سبيل الله هو الشيطان، الذي يتبعه الغاوون من أهل الكفر والمعاصي، حيث قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧].أي: وإن الشياطين ليَصدون المشركين عن سبيل الله، ويَدفعون بهم إلىٰ طرق الغواية والضلال، ويزينونها لهم حتىٰ ليَحسبون أنهم مهتدون(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٥)، وأبو داود في الزهد (رقم ٣٢٢، ٣٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٧) من طريق إسرائيل، عن أبي يحيىٰ القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، به.
وفيه أبو يحيىٰ القتات ضعيف، قال الهيثمي: «وثقه يحيىٰ بن مَعِين في رواية، وضَعَّفه الباقون».
انظر: مَجْمَع الزوائد ومَنْبَع الفوائد (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير البغوي (٥/ ٦٦٧).
وقوله هذا يعني أن كلمة (صدوا) تشمل مَن كَفَر وأَعْرَض بنفسه عن الدين، ومَن صَدَّ غيرَه عن اتباعه، وليست مختصة بالاثني عشر رجلًا المطعمين في بدر من أهل الشرك، الذين كانوا يَصدّون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر، بل عامة.

(٣) تفسير ابن جُزَيّ (٢/ ٢٨٠).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١٣/ ١٣١).

المطلب الثالث:

كراهة ما أنْزَل الله

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

يقول الطبري: «**وقوله:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال؛ من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلىٰ نبينا محمد ﷺ، وسَخِطوه، فكَذَّبوا به، وقالوا: هو سِحر مبين.وقال تعالىٰ: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] يقول: وكَرِهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم»[(١)].

فالذي كرهه الكفار هو القرآن والسُّنة اللذان لا ينقاد لأمر الله فيهما إلا مَن أَحَبَّ الله ورسوله، وبُغض ما أَنْزَل الله أو بعضه من نواقض الإيمان القلبية، التي نَصَّ عليها العلماء، ومِن النفاق الاعتقادي، المُخْرِج من الملة.

فمَن أَحَبَّ الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب ذلك له أن يُحِب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويَكره ما يَكرهه الله ورسوله. ويَرضىٰ بما يَرضىٰ به الله ورسوله، ويَسخط ما يُسْخِط الله ورسوله، وأن يَعمل بجوارحه بمقتضىٰ هذا الحب والبغض في أوامر الله ونواهيه، حتىٰ ولو خالفت هواه وشَقَّتْ عليه، فإن حبه لله وتصديقه بما أَنْزَل يجعله يَتقبل العمل بل ويحبه، مما يوجب له الرضوان من الله.

قال الإمام ابن سعدي: «من القرآن الذي أنزله الله صلاحًا للعباد وفلاحًا لهم، فلم يَقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٧٨٥).

المطلب الرابع:

اتباع ما أسخط الله

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

سَخِط، أي: غَضِب، فهو سَاخِط. وأَسْخَطه، أي: أَغْضَبه. ويقال: تَسَخَّطَ عطاءه، أي: استَقَلَّه ولم يقع منه موقعًا(١).

والسُّخْط والسَّخَط: خلاف الرضا(٢).

وقال الشنقيطي في هذا الموضع: والإسخاط: استجلاب السخط، وهو الغضب هنا(٣).

وقيل في الفرق بين (الغضب) و(السخط): إن (الغضب) يكون من الصغير علىٰ الكبير، ومن الكبير علىٰ الصغير، و(السخط) لا يكون إلا من الكبير علىٰ الصغير، يقال: (سَخِط الأمير علىٰ الحاجب)، ولا يقال: (سَخِط الحاجب علىٰ الأمير) ويُستعمل الغضب فيهما، و(السخط) إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا، يقال: رَضِيه وسَخِطه. وإذا عديته بـ(علىٰ) فهو بمعنىٰ الغضب، تقول: (سخط الله عليه): إذا أراد عقابه(٤).

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٣/ ١١٣٠).

(٢) مُجْمَل اللغة لابن فارس (ص٤٩٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٧/ ٣٨٢).

(٤) معجم الفروق اللُّغوية للعسكري (ص٣٨٦).

وورد في قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ عدة أقوال للمفسرين:

الأول: إنكار الرسول ﷺ(١).

الثاني: الكفر هو ما أَسْخَط الله(٢)، يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨].

الثالث: تسويل الشيطان(٣).

الرابع: بما كتموه من التوراة، وكفروا بمحمد ﷺ(٤).

وقال الشيخ السعدي: «﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ مِن كل كفر، وفسوق، وعصيان»(٥).

ورجحه الشوكاني فقال: «ما أسخط الله، أي: بسبب اتباعهم ما يُسْخِط الله من الكفر والمعاصي. وقيل: كتمانهم ما في التوراة من نعت نبينا ﷺ. والأول أَوْلَىٰ لما في الصيغة من العموم»(٦).

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٢٨).

(٢) تفسير ابن عطية (٥/ ١٢٠).

(٣) انظر هذه الأقوال فيتفسير الرازي (٢٨/ ٥٨).

(٤) عن ابن عباس. انظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٣٨).

(٥) تفسير السعدي (٢/ ٤٥١).

(٦) فتح القدير (٥/ ٤٧).

«والجَمْع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أَسْخَط الله وكراهتهم رضوانه، مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخَر؛ للإيماء إلىٰ أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم علىٰ ما أَسْخَط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه؛ لأن الكراهة تَستلزم الإعراض والإدبار»(١).

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١١٩).

المطلب الخامس:
كراهة رضوان الله

فلم يكن لهم رغبة فيما يُقرّبهم إليه، ولا يدنيهم منه.

قال الواحدي: «كرهوا ما فيه رضوان الله تعالىٰ، وما هو سبب الرضوان من طاعة الله وطاعة رسوله والإيمان به، وإذا كرهوا سبب الرضوان فقد كرهوا الرضوان»(١).

وقد بَايَن الله بين حال مَن اتبع رضوانه وبين مَن سَخِط الله عليه، فقال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

«فيها توضيح لتباين المنزلتين وافتراق الحالتين، بين مَن اتبعوا الطاعة الكفيلة برضوان الله، ومَن كان محتملًا لسخط الله عليه، فلكل صنف منهم تَبايُن في نفسه في منازل الجنة، وفي أطباق النار أيضًا، فهم في درجات متفاوتة، أي: هم مختلفو المنازل عند الله، فلمَن اتبع رضوانه الكرامة والثواب العظيم، ولمن باء بسخط منه المهانة والعذاب العظيم»(٢).

◆ ◆ ◆

---

(١) التفسير البسيط (٢٠/ ٢٥٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٥٠).

المطلب السادس:

مُشاقَّة الرسول ﷺ بعد بيان الهدى

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٢].

والمُشاقَّة، والشِّقَاق (ككِتَاب): الخلاف والعداوة، وكونك في شِق غير شِق صاحبك، أو مِن شَق العصا بينه وبينه، فيكون مجازًا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣] أي: صار في شِق غير شِق أوليائه[(١)].

وقال الزمخشري: «المشاقة من الشق؛ لِأَن المُتجاذِبين كلاهما منحاز إلىٰ جانب»[(٢)].

وقيل في معناها عند المفسرين عدة أقوال:

١ – شاقوا الرسول: «عادوه وخالفوه، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [محمد: ٣٢] أي: عَلِموا أنه ﷺ نبي من عند الله بما شاهدوا من المعجزات الواضحة والحجج القاطعة»[(٣)].

٢ – شاقوا الرسول: أصله: صاروا في شِق غير شِقِّه[(٤)].

٣ – حاربوه وآذَوه، فهي تشمل المحاربة والإيذاء والمعاداة، ومجانبة أمره وتَرْك طاعته[(٥)].

---

(١) انظر: تاج العروسللزبيدي (٢٥/ ٥٢٣).

(٢) الفائق في غريب الحديثللزمخشري (١/ ٣٧٥).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٩).

(٤) تفسير المراغي (٢٦/ ٧٣).

(٥) الكليات للكفوي (ص٥٤٢)، والمعجم الوسيط، مَجْمَع القاهرة (١/ ٤٨٩).

وإذا قَرَّر القرآن أن عدم احترام النبي ﷺ في النداء والخطاب من محبطات عمل العبد، كما ورد في (سورة الحُجُرات) فكيف بمن يَحيد عن طريقه، أو يخالف أمره؟!

قال الإمام الشنقيطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]: «وهذه الآية الكريمة عَلَّم الله فيها المؤمنين أن يُعَظِّموا النبي ﷺ، ويحترموه ويوقروه، فنهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته، وعن أن يَجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، أي: ينادوه باسمه: (يا محمد) ﷺ، (يا أحمد)، كما ينادي بعضهم بعضًا، وإنما أُمروا أن يخاطبوه خطابًا يليق بمقامه، ليس كخطاب بعضهم بعضًا؛ كأن يقولوا: (يا نبي الله)، أو (يا رسول الله)، ونحو ذلك»(١).

ونَلحظ عند تدبر ورود تلك المحبطات في السورة أنها بدأت بذكر أعظم تلك المحبطات، وهو الكفر بالله وبرسوله، الذي يَجعل العبد يَصُد عن دين الله لنفسه ولغيره، ثم يُنشِئ هذا الصدُّ الكُره لِما أَنْزَل الله والاتباع لما يُسْخِطه، فيَكره أن يَعمل أي عمل مما يُرضِي الله، فيجنبه الله طريق الحق، فيكون في شِقّ غير شِقّ الله ورسوله، رغم بيان الحق له ويقينه بصدق القرآن وصدق النبوة، كما قال أبو جهل عن النبي محمد ﷺ: «**والله إني أعلم إنه لنبي، ولكن متىٰ كنا لبني عبد مَنَافٍ تَبَعًا؟!**»(٢) ولذلك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة.

◆ ◆ ◆

(١) أضواء البيان (٧/ ٦١٥).

(٢) تفسير ابن كَثير (٣/ ٢٥١).

المبحث الثالث:

موانع حبوط عمل المؤمن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الثاني: الإيمان، وطاعة الله ورسوله.

المطلب الثالث: عدم الوَهْن مع العدو.

المطلب الأول:

الجهاد في سبيل الله

يقول الله تعالىٰ سبحانه في هذه السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد: ٤-٦].

قال الإمام الطبري: «اختلفت القراء في قراءة ذلك:

فقَرَأَتْه عامة قَرَأة الحجاز والكوفة: (والذين قاتلوا) بمعنىٰ: حاربوا المشركين وجاهدوهم، بالألف.

وكان الحسن البصري فيما ذُكِر عنه يقرؤه: (قُتِّلوا) بضم القاف وتشديد التاء، بمعنىٰ: أنه قَتَلهم المشركون بعضهم بعد بعض، غير أنه لم يُسَمَّ الفاعلون.

وذُكِر عن الجَحْدَرِيّ عاصم أنه كان يقرأه: (والذين قَتَلوا) بفتح القاف وتخفيف التاء، بمعنىٰ: والذين قَتَلوا المشركين بالله.

وكان أبو عمرو يقرؤها كذلك... وأَوْلَىٰ القراءات بالصواب قراءة مَن قرأه:

(والذين قاتلوا) لاتفاق الحجة من القراءة، وإن كان لجميعها وجوه مفهومة.

وإذ كان ذلك أَوْلَىٰ القراءات عندنا بالصواب، فتأويل الكلام: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله، وفي نصرة ما بُعث به رسوله محمد ﷺ من الهدىٰ، فجاهدوهم في ذلك، ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فلن يَجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالًا عليهم، كما أَضَلّ أعمال الكافرين»(١)، وقد أوردتُ في المطلب الأول من المبحث الثاني أقوال المفسرين في المراد بضلال الأعمال(٢).

قال ابن كثير: «أي: لن يُذهِبها، بل يُكثرها، وينميها ويضاعفها، ومنهم مَن يجري عليه عمله في طول برزخه، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «مسنده»، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُعْطَىٰ الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه: يُكَفَّر عنه كل خطيئة، ويَرىٰ مقعده من الجنة، ويُزوَّج من الحُور العِين، ويُؤَمَّن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويُحَلَّىٰ حُلَّة الإيمان**»»(٣).

وجاءت هذه الآية معطوفة علىٰ ما سبق من أمرهم بالقتال، وضَرْب الرقاب للكفار، وإثخانهم بالقتل والأسر؛ لتُبيِّن جزاء مَن قاتل الكفار، وهو أن عملهم وأجرهم لن يَذهب ولن يضيع، بل محفوظة أجورهم عند العليم الخبير، حيث

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٩٠).

وللقراءة انظر: الحُجة في القراءات السبعلابن خَالَوَيْهِ (ص ٣٢٨). وفائدة إيراد القراءات هنا ليشمل المبحث معنىٰ القراءتين، وهو الشهادة في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله وقتال العدو، فكلاهما من موانع حبوط العمل.

(٢) من (ص٣٣-٣٦)

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠٩)، والحديث في مسند أحمد (٤/ ٢٠٠).

قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٩٣): «فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه أبو حاتم وجماعة، وضَعَّفه جماعة».

وَهَب حياته أغلىٰ ما أعطاه الله، فجزاه بالحياة الدائمة المنعمة. وحيث حَفِظ هذه الأجور لهم، فسيجدون في الآخرة الهداية إلىٰ طريق الجنة، وإلىٰ قصورهم المُعَرَّفة لهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

«**قال مجاهد:** يَهتدي أهلها إلىٰ بيوتهم ومساكنهم، وحيث قَسَم الله لهم منها، لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا، لا يَستدلون عليها أحدًا. وروىٰ مالك عن ابن زيد بن أسلم نحو هذا.

وقال محمد بن كعب: يَعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة، كما تَعْرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة»(١).

وقد ورد **الحديث الصحيح بذلك أيضًا**، فروىٰ البخاري من حديث قتادة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَلَص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، يَتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذبوا ونُقوا، أُذِنَ لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده، إن أحدهم بمنزله في الجنة أهدىٰ منه بمنزله الذي كان في الدنيا**»(٢).

◆ ◆ ◆

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب القِصاص يوم القيامة، برقم (٦٥٣٥) (٣/ ١٢٨).

المطلب الثاني:

الإيمان، وطاعة الله ورسوله

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

« ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالله ورسوله ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في أمرهما ونهيهما، ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ يقول: ولا تُبطِلوا بمعصيتكم إياهما وكفركم بربكم ثواب أعمالكم، فإن الكفر بالله يُحْبِط السالف من العمل الصالح.

عن قتادة، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾... الآية: مَن استطاع منكم أن لا يُبْطِل عملًا صالحًا عَمِله بعمل سيئ فليَفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير يَنسخ الشر، وإن الشر يَنسخ الخير، وإن مِلاك الأعمال خواتيمها»(١).

«قال عطاء فيما يبطلها: بالشك والنفاق. وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر»(٢).

وزاد ابن الجوزي قولًا رابعًا، وهو: «المن، وذلك أن قومًا من الأعراب(٣) قَدِموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق. فنزلت هذه الآية(٤).

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٧).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٢١٨).

(٣) وذكر ابن عاشور أنهمبنو أسد، ونَزَل فيهم أيضًا قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُم﴾ [الحجرات: ١٧]. انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٢٨).

(٤) زاد المَسِير (٤/ ١٢٢)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٦١).

=

وقال أبو العالية: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يَضر مع الإخلاص ذنب، كما لا يَنفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية، فخافوا الكبائر بعده أن تُحْبِط الأعمال»(١).

وقيل فيها: «أي: برؤيتها من أنفسكم، ومطالبة الأعواض من ربكم، فإن العمل الخالص: الذي لم يُطْلَب به العِوض»(٢).

والظاهر من معنىٰ الآية: النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلىٰ بطلان الأعمال، كائنًا ما كان، من غير تخصيص بنوع معين.

قال السعدي: «وفي هذه الآية - آية البقرة ٢٦٤- وهذه الآية - سورة محمد ٣٣ حث علىٰ تكميل الأعمال وحِفظها من كل ما يُفسِدها؛ لئلا يَضيع العمل سُدًىٰ»(٣).

وهذه الآية وعيد لمن يَكشف الامتحان حقيقة كفره، ويَفضح قبح طويته، فكما هددت الآية قبلها الكافرين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٣٢] بحبوط عملهم، جاءت هذه الآية تنبه المؤمنين إلىٰ مداومة الطاعات والحرص علىٰ سلامتها.

= أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٣٣) بإسناد فيه بُكَيْر بن معروف، قال عنه الهيثمي: قال البخاري: ارمِ به. ووثقه أحمد في رواية، وضَعَّفه في أخرىٰ. وقال ابن عَدي: أرجو أنه لا بأس به. مَجْمَع الزوائد (١/ ١٦٤)

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٤٦)، وإسناده ضعيف. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٠٤) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٢) لطائف الإشارات(٣/ ٤١٥).

(٣) تفسير السعدي (ص١١٣).

والمعنىٰ: يا أيها الذين صَدَّقُوا في إيمانهم وتمحيص عقيدتهم، وسلكوا مسالك الطاعة، دَاوِموا علىٰ هذه الأعمال الصالحة، واحرصوا علىٰ سلامتها؛ لتنالوا ثوابها، فلا تُلْبِسوها غشًّا ولا نفاقًا، ولا تَخلطوها بعُجْب أو رياء، ولا تَذهبوا بها مذهبًا يأكل الحسنات مِن مَنٍّ أو أذىٰ(١).

وقد استَدلّ فقهاء الحنفية بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ علىٰ أنه مَن دخل في شيء من العبادات المشروعة، فعليه إتمامها، ولا يصح له إبطالها. فمَن تَلبَّس بصلاة نافلة، فقد وجب عليه الإتمام، وإذا أبطلها فعليه قضاؤها. ومَن تَلبَّس بصوم نافلة فعليه الإتمام، وإذا أفطر وجب عليه القضاء. ومَن تَلبَّس بحج نافلة فعليه الإتمام، وإذا نقضه فعليه القضاء(٢).

---

(١) انظر: التفسير الوسيط(٩/ ٩٧٢).

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني (١/ ٢٩٠).

وخالف الشافعي والحنابلة رحمهم الله تعالىٰ في ذلك، وقالوا: لا يجب الإتمام، وإذا قطعها لا يجب القضاء، إلا في الحج والعمرة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وعليه أكثر الفقهاء، وهو الراجح.

قال الإمام الشافعي عن القول بعدم القضاء للمندوب: وعليه جمهور العلماء من السَّلَف والخَلَف.

انظر: مسند الشافعي (١/ ٢٦٦)، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن (١/ ٢٤٨).

المطلب الثالث:

عدم الوَهْن مع العدو

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

الوَهْن: الضَّعْف. وقد وَهَنَ الإنسانُ، ووَهَنَهُ غَيْرُه(١).

والفرق بين (الضَعْف) و(الوَهْن): أن (الضَّعْف) ضد القوة، وهو مِن فعل الله تعالىٰ، كما أن القوة من فعل الله، تقول: خلقه الله ضعيفًا، أو خلقه قويًّا. و(الوَهْن) هو أن يَفعل الانسان فعل الضعيف، تقول: وَهَن في الأمر يَهِن وَهْنًا، وهو واهن، إذا أَخَذ فيه أخذ الضعيف(٢).

وقد نهىٰ الله تعالىٰ في القرآن عن الوَهْن مع العدو، وهو كما سبق فعل الضعفاء رغم امتلاكه مقومات النصر.

وورد هذا النهي في (٣) آيات من كتابه، وهي:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

٣- والآية الثالثة التي معنا.

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٢١٥).

(٢) انظر: معجم الفروق اللُّغَوية (ص٣٣٠).

والنهي في الآيات عن الوَهْن بمعنىٰ: لا تضعفوا أيها المؤمنون عن قتال عدوكم، وتَدْعُوهم إلىٰ الصلح والمسالمة، وأنتم الغالبون لهم الظاهرون عليهم، والله معكم بالنصر والمعونة عليهم؛ لأنكم الأعلَون بنصرة الله ومعيته لكم.

وقد فَسَّره النبي ﷺ في حديثه، فقال: «**يوشك الأمم أن تَدَاعَىٰ عليكم كما تَداعَىٰ الأَكَلة إلىٰ قصعتها**» فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثَاء كغُثَاء السيل، ولَيَنزعَن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليَقذفن الله في قلوبكم الوهن**». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(١).

أما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]: **فقال الرازي:** الوِتر (بالكسر): الفرد، وبالفتح (الوَتر): الذَّحْل(٢) هذه لغة أهل العالية، وأما لغة أهل نجد فبالضم، ولغة أهل تميم بالكسر فيهما. والوَتَر (بفتحتين): وَتَر القوس(٣).

قال النَّحَّاس عند هذه الآية: «وفي اشتقاقه قولان:

مذهب الفراء(٤) أنه مُشتَقّ من الوتر، وهو الذَّحْل، وهو قَتْل الرجل وأَخْذ ماله

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، باب الكُنَىٰ (٩/ ٦٠) والحافظ في فتح الباري وسَكَت عنه (كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج). (١٦/ ٢٢٣).

وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٢٦٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٣٤)، والبغوي في شرح السُّنة (١٥/ ١٦).

ورواه أبو داود برقم (٤٢٩٧) في الملاحم، باب في تداعي الأمم علىٰ الإسلام.

وفي سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي، وفي اسمه وحاله خلاف، لكن رواه أحمد وغيره من طرق أُخَر وإسناد أقوىٰ، انظر المسند (٥/ ٢٧٨)، والطبراني في الكبير (١٤٥٢).

(٢) الذَّحْل: طَلَبُ مكافأة بجناية جُنِيَتْ عليك، أو عداوة أُتِيَتْ إليك. العين (٣/ ٢٠٠).

(٣) مختار الصحاح (ص٣٣٢).

(٤) لم أجده في كتاب المعاني، ونسبه له مكي في الهداية (١١/ ٦٩٢٠)، والشوكاني في فتح القدير (٥/ ٥٠).

فالذي تفوته صلاة العصر لما فاته من الأجر والثواب بمنزلة مَن أُخِذ أهله وماله، أي: هو بمنزلة الذي وُتِر.

والاشتقاق الآخَر: أن يكون من الوتر، وهو الفرد، كأنه بمنزلة مَن قد بقي منفردًا.

وخُصّت بهذا لأنها في وقت أشغالهم ومعائشهم.

والأصل في (يتركم): يوتركم، مثل: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [الأعراف: ١٥٥] والتقدير عند الأخفش: ولن يتركم في أعمالكم[(١)].

ووردت عند المفسرين بمعانٍ متقاربة متنوعة، تدل علىٰ أن وعد الله للمؤمنين بعدم وتر أعمالهم، يعني أن أجور أعمالهم الصالحة سوف توفىٰ لهم دون نقص أو بَخْس أو ظلم.

عن مجاهد: ﴿وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٥] يقول: «لن يَنقصكم أعمالكم»[(٢)].

وقال قتادة: «لن يظلمكم أعمالكم»[(٣)].

وقال الطبري: «ولن يظلمكم أجور أعمالكم، فيَنقصكم ثوابها...»[(٤)].

وقال ابن قُتيبة: أي: لن يَنقصكم ولن يَظلمكم، يقال: وتَرَتَني حقي، أي: بَخَسْتَنيه[(٥)].

قال القرطبي: «أي: لن يَنقصكم، عن ابن عباس وغيره، ومنه: الموتور الذي

---

(١) إعراب القرآن للنَّحّاس (٤/ ١٢٧).

(٢) تفسير مجاهد (ص٦٠٦).

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٠٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٢/ ١٨٩).

(٥) غريب القرآن(ص٤١١).

قُتِل له قتيل فلم يُدرِك بدمه، تقول منه: وَتَره يَتِره وَتْرًا وَتِرَة. ومنه قوله ﷺ: «**مَن فاتته صلاة العصر، فكأنما وُتِر أهلَه وماله**»(١)، أي: ذُهب بهما، وكذلك وَتَره حقَّه، أي: نَقَصه»(٢).

وورد وتر العمل في حديث النبي ﷺ، وهو أن أعرابيًّا سأله عن الهجرة، فقال: «**ويحك، إن شأن الهجرة شديد، فهل لك من إبل؟**». قال: نعم. قال: «**فهل تؤدي صدقتها؟**». قال: نعم. قال: «**فاعمل من وراء البحر؛ فإن الله لن يَتِرَك من عملك شيئًا**»(٣).

وهذا الوعد الحق من الله يَبعث السرور والبشارة في العباد، ويأخذ بالنفوس إلىٰ مراقي السمو والطُّمأنينة، بأن الله لا يضيع أجر مَن أَحْسَن عملًا، بل يجازي بلا نقص ولا هَضْم، ويتفضل علىٰ عباده بفضله وَجُوده.

◆ ◆ ◆

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب إثم مَن فاتته صلاة العصر، رقم (٥٢٢) (١/ ١١٥)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت العصر، رقم (٦٢٦) (١/ ٤٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب زكاة الإبل، برقم (١٤٥٢) (٢/ ١١٧) ومسلم، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة علىٰ الإسلام والجهاد والخير (٣/ ١٤٨٨).

الخَاتِمَة

بعد هذه الجولة بين ثنايا هذه السورة الكريمة، والوقوف مع الآيات التي تَحدَّثَتْ عن موضوع العمل، والاطلاع علىٰ تفسيرها وبيانها، أسجل هنا أهم النتائج:

١ – عِلم الله بأعمال عباده، ومجازاته عليها بما يتناسب مع صلاحها وفسادها، فمَن عَمِل صالحًا فله جزاء الحسنىٰ، ومَن عَمِل سيئة فلا يُجْزَىٰ الذين عملوا السيئات إلا بما كانوا يكسبون.

٢ – تزيين سوء العمل لفاعله جزاءً وفاقًا؛ لاتباعه هواه، وعدم الانقياد لطاعة الله.

٣– الحذر من محبطات العمل، وأعظمها ومبدؤها هو الكفر.

٤ – الجهاد في سبيل الله من أعظم ما يَحفظ للعبد أجره وعمله.

وأما التوصيات فهي:

١ – حث طلاب العلم– وخاصة طلاب الدراسات الشرعية– علىٰ تدبر القرآن؛ لاستنباط بديع أسراره.

٢ – دراسة الجوانب البلاغية في الآيات التي تحدثت عن وصف الحالة النفسية للمشركين عند ذكر القتال ومباشرته.

٣– دراسة موضوع التناسب بين آيات السورة؛ للوقوف علىٰ جوانب الوحدة الموضوعية لها.

ثَبتُ المصادرِ والمراجع

١ - «**الإتقان في علوم القرآن**»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المُتوفَّىٰ: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢ - «**أصول الإيمان**»، التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النَّجْدي (المُتوفَّىٰ: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الطبعة: الخامسة، (١٤٢٠هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٣- «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لُبنان.

٤ - «**إعراب القرآن**»، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المُرادي النَّحْوي (المُتوفَّىٰ: ٣٣٨هـ)، وَضَع حواشيه وعَلَّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢١ هـ)، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- «**الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القَدَرية الأشرار**»، العمراني، أبو الحسين يحيىٰ بن أبي الخير بن سالم العمراني، اليمني الشافعي (المُتوفَّىٰ: ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، الناشر: أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٦- «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» (**تفسير البيضاوي**)، البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٨هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧- «**بحر العلوم**»، السمرقندي، أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٨- «**بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**»، الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد، الكاساني الحنفي (المُتوفَّىٰ: ٥٨٧هـ) الطبعة: الثانية، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، الناشر: دار الكتب العلمية.

٩- «**البيان في عدّ آي القرآن**»، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، أبو عمرو الداني (المُتوفَّىٰ: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، الناشر: مركز المخطوطات والتراث- الكويت.

١٠- «**تاج العروس من جواهر القاموس**»، الزَّبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، المُلقَّب بـ(مرتضىٰ) الزَّبيدي (المُتوفَّىٰ: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١١- «**التحرير والتنوير**»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

١٢- «**تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**»، المِزّي، جمال الدين أبو الحَجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزّي (المُتوفَّىٰ: ٧٤٢هـ)، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، الطبعة: الثانية: (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، والدار القَيِّمة.

١٣- «**التسهيل لعلوم التنزيل**»، ابن جُزَيّ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جُزَيّ، الكلبي الغَرْنَاطي (المُتوفَّىٰ: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة: الأولىٰ(١٤١٦ هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت.

١٤- «**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**»، يحيىٰ بن سَلَّام بن أبي ثعلبة، التَّيْمي بالولاء، من تَيْم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المُتوفَّىٰ: ٢٠٠هـ)، قَدَّمَتْ له وحَقَّقَتْه: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع، عام النشر: (١٩٧٩م)، عدد الأجزاء: (١).

١٥- «**تفسير ابن أبي حاتم**» (**تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**)، الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة.

١٦- «**تفسير القرآن العزيز**»، أبو زَمَنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد المُرّي، الإلبيري، المعروف بـ(ابن أبي زَمَنِين) المالكي (المُتوفَّىٰ: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، الناشر: الفاروق الحديثة- مصر/ القاهرة.

١٧- «**تفسير القرآن العظيم**»، ابن كَثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كَثير، القرشي البصري ثم الدمشقي (المُتوفَّىٰ: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولىٰ

(١٤١٩ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.

١٨- «**تفسير القرآن**»، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

١٩- «**تفسير القرآن**»، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفىٰ مسلم محمد ، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٠هـ- ١٩٨٩م)، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٠- «**التفسير القرآني للقرآن**»، الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب (المُتوفَّىٰ: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

٢١- «**التفسير الكبير**»، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التيمي الرازي، المُلقَّب بـ(فخر الدين الرازي)، الطبعة: الثالثة، (١٤٢٠هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢- «**تفسير المراغي**»، المراغي، أحمد بن مصطفىٰ المراغي (المُتوفَّىٰ: ١٣٧١هـ)، الطبعة: الأولىٰ، (١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦م)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده، بمصر.

٢٣- «**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**»، الزحيلي، وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، الطبعة: الثانية، (١٤١٨ هـ)، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق.

٢٤- «**تفسير النَّسَفي**» (**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**) النَّسَفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النَّسَفي (المُتوفَّىٰ: ٧١٠هـ)، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م)، حققه وخَرَّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقَدَّم له: محيي الدين ديب، الناشر: دار الكَلِم الطيب، بيروت.

٢٥- «**التفسير الوسيط**»، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه له وقَرَّظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لُبنان.

٢٦- «**تفسير حدائق الرَّوْح والريحان في روابي علوم القرآن**»، الهَرَري، محمد الأمين بن عبد الله، العلوي، الهَرَري الشافعي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، إشراف ومراجعة:

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لُبنان.

٢٧- «**تفسير مجاهد**»، مجاهد، أبو الحَجاج مجاهد بن جبر، التابعي المكي القرشي المخزومي (المُتوفَّىٰ: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

٢٨- «**تهذيب اللغة**»، الهَرَوي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهَرُوي، أبو منصور (المُتوفَّىٰ: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولىٰ، (٢٠٠١م)، عدد الأجزاء: (٨)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٩- «**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**»،ابن المُلقِّن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، الشافعي المصري (المُتوفَّىٰ: ٨٠٤ هـ)، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا.

٣٠- «**التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**»، المُنَاوي، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الحدادي ثم المُنَاوي القاهري (المُتوفَّىٰ: ١٠٣١هـ)، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، الناشر: عالم الكتب، (٣٨) عبد الخالق ثروت-القاهرة.

٣١- «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المُتوفَّىٰ: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة: الأولىٰ (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م)، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٣٢- «**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) مؤسسة الرسالة.

٣٣- «**الجامع الصحيح**» (**صحيح البخاري**)، للبخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، البخاري الجُعْفي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، الطبعة: الثالثة، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

٣٤- «**الجامع لأحكام القرآن**» = «**تفسير القرطبي**»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (المُتوفَّىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، (١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.

٣٥- «**جمال القراء وكمال الإقراء**»، السَّخَاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، عَلَم الدين السَّخَاوي (المُتوفَّىٰ: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مَرْوان العطية - ود. محسن خرابة، الطبعة: الأولىٰ (١٤١٨ هـ- ١٩٩٧م)، الناشر: دار المأمون للتراث- دمشق - بيروت.

٣٦- «**الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذَكَرها العَلَّامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان**»، المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفىٰ بن عبد اللطيف المنياوي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م) الناشر: مكتبة ابن عباس، مصر.

٣٧- «**الحُجة في القراءات السبع**»، ابن خَالَوَيْهِ، الحسين بن أحمد بن خَالَوَيْهِ، أبو عبد الله (المُتوفَّىٰ: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب- جامعة الكويت، الطبعة: الرابعة، (١٤٠١ هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت.

٣٨- «**حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء**»، الأصفهاني، أبو نُعَيْم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الطبعة: الرابعة، (١٤٠٥هـ) الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت.

٣٩- «**الدر المنثور**»، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المُتوفَّىٰ: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٤٠- «**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**»، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، الخُسْرَوْجِردي الخُرَاساني، أبو بكر البيهقي (المُتوفَّىٰ: ٤٥٨هـ)، الطبعة: الأولىٰ(١٤٠٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٤١- «**زاد المسير في علم التفسير**»، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (المُتوفَّىٰ: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولىٰ (١٤٢٢هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت.

٤٢- «**الزيادة والإحسان في علوم القرآن**»، عَقِيلة، محمد بن أحمد بن سعيد، الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بـ(عقيلة) (المُتوفَّىٰ: ١١٥٠ هـ)، المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، وخالد عبد الكريم اللاحم)، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٧هـ)، الناشر: مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة- الإمارات.

٤٣- «**شرح النووي علىٰ مسلم**» (**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجاج**)، النووي، أبو زكريا

محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤٤- «**شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان» المعروف باسم كتاب «الإيمان الأوسط»**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دراسة وتحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، أصل الكتاب: أطروحة دكتوراه- قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، بجامعة أُم القُرىٰ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، عام النشر: (١٤٢٣هـ).

٤٥- «**شُعَب الإيمان**»، البيهقي،أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٦- «**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**»، الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري الفارابي (المُتوفَّىٰ: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: (٦). الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.

٤٧- «**صحيح مسلم**»، مسلم، أبو الحسين مسلم بن حَجاج القُشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لُبنان.

٤٨- «**غريب القرآن**»، ابن قُتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة، الدِّينَوَري (المُتوفَّىٰ: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٤٩- «**الفائق في غريب الحديث والأثر**»، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المُتوفَّىٰ: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية. الناشر: دار المعرفة - لُبنان.

٥٠- «**فتح الباري شرح صحيح البخاري**»، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، (١٣٧٩هـ)، رَقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العَلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥١- «**فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير**»، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٤هـ). الناشر: دار ابن كَثير،

دار الكَلِم الطيب، دمشق - بيروت.

٥٢- «**فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**»، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (المُتوفَّىٰ: ٥٩٧هـ)، الطبعة: الأولىٰ (١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧م)، دار النشر: دار البشائر، بيروت - لُبنان.

٥٣- «**كتاب العين**»، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تَميم، الفراهيدي البصري (المُتوفَّىٰ: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٥٤- «**الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**»، المعروف بـ«الكشاف» الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المُتوفَّىٰ: ٥٣٨هـ)، بيروت، الطبعة: الثالثة(١٤٠٧ هـ) الناشر: دار الكتاب العربي.

٥٥- «**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**»، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المُتوفَّىٰ: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولىٰ (١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م). الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لُبنان.

٥٦- «**الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية**»، الكَفَوي، أيوب بن موسىٰ، الحسيني الكَفَوي، أبو البقاء الحنفي (المُتوفَّىٰ: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٥٧- «**لباب التأويل في معاني التنزيل**»، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، المعروف بـ(الخازن)، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨- «**لسان العرب**»، ابن منظور، محمد بن مُكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور، الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفىٰ: ٧١١هـ)، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ الناشر: دار صادر - بيروت.

٥٩- «**لطائف الإشارات**» = «**تفسير القُشيري**»، القُشيري، عبد الكريم بن هَوَازن بن عبد الملك القُشيري (المُتوفَّىٰ: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الطبعة: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر.

٦٠- «**مُجمَل اللغة**»، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، القزويني الرازي، أبو الحسين (المُتوفَّىٰ: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة: الثانية(١٤٠٦هـ) دار النشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، (١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: (٢).

٦١- «**مجموع الفتاوىٰ**»، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحَرَّاني (المُتوفَّىٰ: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مَجْمَع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٦٢- «**محاسن التأويل**»، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، الحلاق القاسمي (المُتوفَّىٰ: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولىٰ(١٤١٨هـ). الناشر: دار الكتبالعلمية- بيروت.

٦٣- «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٢هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٤- «**المُحْكَم والمحيط الأعظم**»، ابن سِيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سِيده، المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م). دار الكتب العلمية.

٦٥- «**مختار الصحاح**»، الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، الحنفي الرازي (المُتوفَّىٰ: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.

٦٦- «**المستدرك علىٰ الصحيحين**»، الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعَيْم بن الحَكَم، الضبي الطَّهْمَاني النَّيْسَابوري، المعروف بـ(ابن البَيِّع) (المُتوفَّىٰ: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١١- ١٩٩٠م) الناشر: دار الكتب العلمية ، عدد الأجزاء: (٤).

٦٧- «**مسند أبي يعلىٰ**»، أبو يعلىٰ، أحمد بن علي بن المُثَنَّىٰ بن يحيىٰ بن عيسىٰ بن هلال، التميمي، الموصلي (المُتوفَّىٰ: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق.

٦٨- «**المسند**»، الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن

عبد المطلب بن عبد مَنَاف، المُطَّلِبي القرشي المكي (المُتوفَّىٰ: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لُبنان، صُحِّحَتْ هذه النسخة علىٰ النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية، والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: (١٤٠٠ هـ).

٦٩- «مَصَاعِد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السُّور» ويُسَمَّىٰ: **المقصد الأسمىٰ في مطابقة اسم كل سورة للمسمىٰ**» البِقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، البقاعي (المُتوفَّىٰ: ٨٨٥هـ)، الطبعة: الأولىٰ (١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧م)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٧٠- «**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**»، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المُتوفَّىٰ: ٨٥٢ هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قُدِّمَتْ لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

٧١- «**معالم التنزيل**»، البَغَوي ، محيي السُّنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخَرَّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٧٢- «**معاني القرآن**»، الأخفش، أبو الحسن المُجاشِعي بالولاء، البَلْخي ثم البصري، المعروف بـ(الأخفش الأوسط) (المُتوفَّىٰ: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدىٰ محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٧٣- «**معاني القرآن وإعرابه**»، الزَّجَّاج،أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزَّجَّاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) الناشر: عالم الكتب، بيروت.

٧٤- «**معجم الفروق اللُّغوية**»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران، العسكري (المُتوفَّىٰ: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٢هـ) الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بـ«قم».

٧٥- «**المعجم الكبير**»، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخْمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المُتوفَّىٰ: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة: الثانية، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٧٦- «**المعجم الوسيط**»، مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفىٰ/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٧٧- «**المفردات في غريب القرآن**»، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بـ(الراغبالأصفهاني) (المُتوفَّىٰ: ٥٠٢ هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولىٰ(١٤١٢ هـ) الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت.

٧٨- «**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجاج**»، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف، النووي (المُتوفَّىٰ: ٦٧٦هـ)، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ)، عدد الأجزاء: (١٨) في(٩) مجلدات، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٧٩- « **المهذب في علم أصول الفقه المُقارَن**» (تحرير لمسائله، ودراستها دراسة نظرية تطبيقية)، النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، الطبعة: الأولىٰ (١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م).

٨٠- «**الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن» المنسوب للزُّهْري**، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شِهَاب الزُّهْري (المُتوفَّىٰ: ١٢٤هـ)، رواية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلَمي (٤١٢هـ)، المحقق: حاتم صالح الضامن، الطبعة: الثالثة، (١٤١٨ هـ- ١٩٩٨م) الناشر: مؤسسة الرسالة.

٨١- «**الناسخ والمنسوخ**»، المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، البغدادي المقري (المُتوفَّىٰ: ٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٠٤هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٨٢- «**نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر**»، البِقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المُتوفَّىٰ: ٨٨٥ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨٣- «**النكت والعيون**»، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لُبنان.

٨٤- «**الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه**»، مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار، القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المُتوفَّىٰ: ٤٣٧ هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية، بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م)، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

٨٥- «**الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٥هـ)، الناشر: دار القلم والدار الشامية.

الموضوعات

مستخلص البحث ١٢٧

المقــدمــــة ١٣١

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ١٣٢

الدراسات السابقة ١٣٤

منهج البحث ١٣٤

التمهيد: دراسة بين يدي سورة محمد ﷺ ١٣٦

المطلب الأول: نزول السورة، وتسميتها، وما ورد في فضلها ١٣٦

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأحقاف) ١٤٢

المطلب الثالث: مقاصد السورة، وموضوعاتها ١٤٣

المبحث الأول: حديث سورة محمد ﷺ عن الأعمال ١٤٥

المطلب الأول: تعريف العمل وشرطا قبوله، ومواضع وروده في السورة وموضوعاته ١٤٥

أولًا: تعريف العمل ١٤٥

ورود العمل في السورة وموضوعاته ١٤٧

المطلب الثاني: عِلم الله بأعمال عباده ١٤٩

المطلب الثالث: المجازاة على العمل بما يتناسب مع صلاحه وفساده ١٥٠

المطلب الرابع: تزيين سوء العمل ١٥٢

المبحث الثاني: محبطات العمل من خلال سورة محمد ﷺ ١٥٤

المطلب الأول: الكفــر ١٥٧

المطلب الثاني: الصد عن سبيل الله ١٦٣

المطلب الثالث: كراهة ما أَنْزَل الله ١٦٦

المطلب الرابع: اتباع ما أَسْخَط الله ١٦٧

المطلب الخامس: كراهة رضوان الله ١٧٠

المطلب السادس: مُشاقَّة الرسول ﷺ بعد بيان الهدىٰ ١٧١
المبحث الثالث: موانع حبوط عمل المؤمن ١٧٣
المطلب الأول: الجهاد في سبيل الله ١٧٣
المطلب الثاني: الإيمان، وطاعة الله ورسوله ١٧٦
المطلب الثالث: عدم الوَهْن مع العدو ١٧٩
الخاتمة ١٨٣
ثبت المصادر والمراجع ١٨٤
الموضوعات ١٩٤

مجلة تدبر



مُلَابَسَاتُ النُّزُولِ وَأَثَرُهَا فِي التَّوْجِيهِ البَلَاغِيِّ لِآيَاتِ القُرْآنِ
سُورَةُ الجُمُعَةِ أُنْمُوذَجًا



د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ بْنُ عُمَرَ نَصِيف

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٧/١١
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٨/١٧
نشر في: ١٤٤٣/١/١

- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بأطروحة: «علم المعاني في تفسير روح البيان للبروسوي»
- كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة في قسم البلاغة والأدب.
- وحصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم البلاغة والأدب، بأطروحة: «شرح الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضري دراسة وتحقيقًا»

بعض النتاج العلمي:

١/ توظيف الدلالات الأصلية لاستخراج النكات البلاغية عند النورسي في تفسيره -النكرة والمعرفة أنموذجًا-.

٢/ تعقبات الآلوسي على توجيهات الرازي للمتشابه اللفظي في آيات الأمر بدخول القرية -عرض ومناقشة-.

٣/ علاقة مائة المعاني لابن الشحنة بتلخيص المفتاح للقزويني- دراسة في تأريخ البلاغة.

٤/ توظيف العلامة ابن عاشور لمصطلحات القافية في دراسة الفاصلة القرآنية.

٥/ المنهجية في علوم العربية.

٦/ زبدة البلاغة.

٧/ بطاقات التعريف لسور المصحف الشريف -في علوم القرآن-.

مجلة تدبر

مُستخلص البحث

يركز هذا البحث علىٰ ملابسات النزول التي تكتنف الآيات والسور القرآنية سعيًا إلىٰ إبراز أثر معرفة تلك الملابسات في التوجيه البلاغي لآيات القرآن الكريم، وقد اختار الباحث سورة الجمعة أنموذجا للتطبيق لاعتبارات من أهمها تنوع ملابسات هذه السورة ، وقد خرج بنكات متعددة لم يشر إليها السابقون مع إفادته مما كتبوه في إظهار بلاغة السورة الكريمة، كما خرج البحث بنتائج وتوصياتٍ لعلها تساعد علىٰ تطوير البحث البلاغي القرآني، والله الموفق.

الكلمات المفتاحية:

ملابسات – سورة الجمعة– التوجيه البلاغي– أسباب النزول–

The General Context of Revelation and Its Effect on the Rhetorical Analysis of the Quranic Verses

–The Sura of Al-Jum'ah as a Case Study-

Dr. Muhammad bin Abdulaziz bin Omar Naseef
Associate Professor at the Islamic University of Madinah

Abstract

This research focused on the general context of revelation for the verses and Suras of the Quran in an effort to highlight the effect of finding out about this context on the rhetorical analysis of the Quranic verses. The researcher chose the Sura of Al-Jum'ah as a case study for several considerations, the most important of which is its highly diverse context. He also came up with numerous nuanced points that previous scholars did not mention, although he depended on their works to demonstrate the rhetoric aspects of the Noble Sura. The research reached a number of findings and made several recommendations for improving the Quranic rhetorical research.

Keywords: Context, Sura, Al-Jum'ah, Rhetorical, Analysis, Reasons, Revelation,

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا الأمين، أما بعد:

فمن المعلوم أن البلاغة تَرجع إلىٰ مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، ولذلك كان من المهم لمن أراد أن يتذوق بلاغةَ الكلام أن يعرفَ الحالَ التي قيل فيها ذلك الكلام، وهذه المعرفة بدَورها تُعين علىٰ كشف أسرار الكلام وإدراك بلاغته، ومِن هنا كان مِن أهم المهمات للمعتني بدراسة بلاغة القرآن أن يعرف الملابِساتِ التي احتفت بنزول السورة أو الآيات، وهل نزلت بمكة أو بالمدينة؟ وفي أي مراحل العهد المكي أو المدني نزلت؟ وكيف كان حال الصحابة وقت نزولها؟ إلىٰ غير ذلك مما يعطي الباحثَ في بلاغة القرآن تصوُّرًا دقيقًا للحال التي نزلت فيها الآيات، وإن كثيرًا من الآيات القرآنية لا تظهر بلاغتُها علىٰ الوجه الأكمل إلا بمعرفة هذه الملابسات بدِقَّة، ومِن هنا كان هذا البحثُ ساعيًا إلىٰ إظهار أهمية العناية بمسألة ملابسات النزول مع إثبات ذلك عمليًّا عن طريق التطبيق علىٰ سورة كاملة من القرآن الكريم، وقد دفعني إلىٰ كتابة هذا البحث أمور، منها:

١/ قلةُ مَن اعتنىٰ بهذا الأمر من البلاغيِّين.

٢/ كثرةُ الخطأ في هذا الباب ممن تعرض له بسبب الاعتماد علىٰ أدلة غير قوية في معرفة هذه الملابسات(١).

(١) فبعض هذه الكتب يعتمد علىٰ الذوق في المقام الأول لمعرفة وقت النزول، بل قد ترُدُّ الروايات الصحيحة من أجل هذا الذوق، ومنهم من يعتمد علىٰ روايات فيها ضعف في السند أو نكارة في =

٣/ الفائدة العظيمة التي تتهيأ لدارس بلاغة القرآن إذا تنبَّه إلىٰ هذا الجانب الذي لم يُعطَ حقَّه مِن النظر، وهذا ما يسعىٰ البحثُ إلىٰ إظهاره.

وقد جاء البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة؛ ففي التمهيد بيَّنتُ المرادَ بملابِسات النزول كما بيَّنت أهميتها لدارس البلاغة القرآنية، كما بيَّنت سببَ اختياري للتطبيق علىٰ سورة الجمعة دون غيرها، وأشرت إلىٰ الدراسات السابقة، وفي المبحث الأول تحدثت عن ملابسات نزول سورة الجمعة، ثم كان المبحث الثاني في الأسرار البلاغية لسورة الجمعة في ضوء ملابسات نزولها، وقد قسمتُ هذا المبحث إلىٰ أربعة مطالب بِناءً علىٰ تقسيم السورة إلىٰ مقاطع، ثم كانت الخاتمة في أهم النتائج مع بعض التوصيات، والله أعلم.

وصلىٰ علىٰ نبينا وآله وصحبه وسلم

= المتن، وانظر في هذا الموضوع ومعرفة الخطوات العلمية الصحيحة للوصول إلىٰ ملابسات النزول كتابَ: «علم تأريخ نزول آيات القرآن وسوره».

التمهيد

«ملابسات النزول» مصطلح لم يكن -في حدود اطلاعي- معروفًا بهذا الاسم عند السابقين، وإن كان معناه حاضرًا في أذهانهم كما يدل عليه قول علي بن أبي طالب ﵁: «سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُ بِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ؟ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ؟»(١)، وقول ابن مسعود ﵁: «وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ؟ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ؟ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(٢).

وقد ظهر هذا المصطلح في عصرنا عند عدد من الباحثين، لكنه جاء في عَرض الكلام، ولم أجد من عرَّفه(٣)، لكنني مع ذلك وجدتني مضطرًّا إلىٰ استخدامه في بحثي لدقَّة تعبيره عن مرادي، مع كونه شاملًا يَعُمُّ أسبابَ النزول وزمانه ومكانه وغير ذلك مما سيتضح قريبًا عن طريق تعريف «ملابسات النزول» لغة واصطلاحًا.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات: (٢/ ٢٥٧)، وإسناده صحيح، انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن: (٣١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (١١٥) - (٢٤٦٣) بنحوه.

(٣) انظر علىٰ سبيل المثال: مفاتيح التعامل مع القرآن: (١٤١)، التحرير في أصول التفسير: (٣٠١).

«ملابسات النزول» لغة:

الملابِسات: جمع ملابِسة، وهي مشتق مِن (لابَس الأمر): خالطه[١]، أما النزول فهو في اللغة مصدر (نزَل): انحط من علو[٢].

«ملابسات النزول» اصطلاحًا:

المراد بالنزول هنا في سياق الدراسات القرآنية هو نزولُ القرآن الكريم من رب العالمين علىٰ قلب سيد المرسلين بواسطة جبريل الأمين -عليهما أفضل صلاة وأتم تسليم-؛ فـ: (ال) فيه للعهد العلمي.

وعليه يمكن أن يقال في تعريف «مُلابِسات النزول»: هو ما لابَس نزولَ السورة أو نزول بعضها من أمور، فالتقييد بـ: «أو بعضها» إخراجٌ لسور كثيرة لم تنزل دفعة واحدة؛ فيكون لبعضها ملابِسات تختلف عن ملابسات بعضها الآخر، والقيد: «من أمور» يشمل زمان النزول الدقيق كتحديد يوم النزول أو ساعته، كما يشمل المكان الذي نزلت فيه السورة؛ كأن يكون قد نزل في المسجد أو في الغار، كما يشمل الأحكام الفقهية التي شُرِعَتْ قريبًا من وقت النزول وإن لم تكن سببًا له، إلىٰ غير ذلك مما سيظهر -بإذن الله- في هذا البحث.

إنَّ معرفة «ملابِسات النزول» مهمَّةٌ للغاية لدارس البلاغة القرآنية؛ لأن البلاغةَ -كما مرَّ-ترجع إلىٰ مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال؛ فلابد لمن أراد أن يدرك بلاغةَ الكلام أو مطابقته لمقتضىٰ الحال أن يحيط علمًا بالحال التي قيل فيها الكلام[٣]، لذا كان من الضروري لدارس البلاغة القرآنية أن يعرف كل ما يُجَلِّي الحالَ التي

(١) القاموس المحيط (ل ب س)، تاج العروس (ل ب س).

(٢) تاج العروس (ن ز ل).

(٣) والحال في القرآن هو ما أطلقتُ عليه في هذا البحث «ملابِسات النزول».

نزلت فيها الآية أو السورة، ثم يوظِّف تلك المعرفة لاستخراج النكات البلاغية فيما يريد دراسته، وقد سَعيتُ لجعل البحث تطبيقًا علىٰ سورة كاملة من القرآن لإثبات أهمية معرفة الملابسات من جهة، ولإظهار غزارة المعاني القرآنية المبنية علىٰ معرفة هذه الملابسات من الجهة الأخرىٰ، وقد كان اختياري لسورة الجمعة لما يلي:

١/ ترجيح نزولها دفعة واحدة -كما سيأتي-، مما يجعل تحديد ملابسات نزولها أوثق من السور التي نزلت آياتُها متفرقة.

٢/ ارتباط آخرها بحدَث مهمٍّ ينعكس علىٰ فَهم السورة كلها كما سيظهر في ثنايا البحث.

٣/ كثرة ملابِسات نزولها مما يثري البحث.

والله -تعالىٰ- أسأل أن يعينني في الوصول إلىٰ ما سعيتُ إليه، وألا يكلني إلىٰ نفسي طرفةَ عين.

الدراسات السابقة:

لا شك أن الدراسات السابقة ذات الصلة بسورة الجمعة كثيرة ما بين أبحاثٍ قرآنية أو دراسات بلاغية، فضلًا عن التفاسير الكثيرة المَعنية بالبلاغة، لذلك آثرت الاكتفاء بالإشارة إلىٰ ما يتصل بحثي بشكل مباشر مما خصص سورة الجمعة بالدراسة من جهة بلاغية أو سياقية، أو عُنِيَ -ولو جزئيًّا- بـ«ملابسات النزول» من ناحية بلاغية، وقد وجدتُ في ذلك دراستين[١]:

(١) اكتفيت بهما لتقاطعها الظاهر مع بحثي، وإلا فالدراسات البلاغية عن السورة كثيرة، لكنَّ استقصاءها يطيل البحث دون فائدة.

١/ «وحدة النَّسق في سورة الجمعة»، إعداد الباحثيْن: د. محمد أحمد الجمل، ود. محمد رضا الحوري، الأستاذَين المساعدين بكلية الشريعة في جامعة اليرموك، وهي دراسة منشورة عُنيت ببيان وحدة موضوع سورة الجمعة بالنظر إلىٰ مقاطعها، ولم ترد فيها الإشارة إلىٰ «ملابسات النزول»، وإنما وردت إشارة قصيرة إلىٰ (تأريخ السورة) جاوزت الصفحة الواحدة بعدة أسطر، ولم يتم توظيفها بعد ذلك في شيء من البحث، والله أعلم.

٢/ «غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول»، تأليف الدكتور: محمد إبراهيم شادي، وهو كتاب مطبوع تكلم بلاغِيًّا عن الآيات التي صح فيها سبب نزول، وكان مما تعرض له آيات سورة الجمعة فحلَّلها في ضوء سبب النزول، لكن بحثه يختلف عن بحثي من عدة جهات:

١- اقتصر تحليله علىٰ آخر ثلاث آيات في السورة، بينما شمل هذا البحث تحليل السورة كاملة.

٢- اقتصرت دراسته علىٰ سبب النزول الصحيح المتعلق بالسورة، ولم يفد من «ملابسات النزول» مع صحتها وتعددها كما سيتبين في هذا البحث -بإذن الله-.

٣- كان تحليله موجزًا[١]، لم يقف مع كل كلمات الآيات التي تناولها، بينما حاولتُ الوقوفَ قدرَ الاستطاعة مع كل كلمة في السورة مع السعي إلىٰ ربطها بمقامات النزول.

وبهذا يتضح الفرق بين هذا البحث والدراسات السابقة، وبالله التوفيق، هو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) في صفحات قليلة، انظر: غرائب الإعجاز والنكات في مقامات أسباب النزول: (٤٣٢- ٤٣٥).

المبحث الأول:

ملابسات نزول سورة الجمعة

لابَس نزولَ هذه السورة عدةُ أمور؛ أُلخِّصُها في أربع نقاط:

أولًا: مدنية السورة:

هذه السورة مدنية، بل حُكي الاتفاق علىٰ ذلك، وحُكِم علىٰ من قال بمكِّيَّتها بالخطأ(١)، وللسور المدنية عمومًا حال خاصة، وهي حال إقامة الدولة الإسلامية، والمكلَّفون بهذه المهمة العظيمة -ويقودُهم سيدُ ولد آدم ﷺ- هم الصحابةُ الكرام الذين تربَّىٰ كثيرٌ منهم علىٰ القرآن في العهد المكِّي(٢) بما تحملُه الآياتُ المكية من ترسيخِ العقيدة، وذِكر الأصول الكلية لهذا الدِّين العظيم، فحالُهم -بما فيها من قوة إيمان، وتصورٍ لأصول هذا الدين، واستعدادٍ لإقامة دين الله في الأرض- تقتضي إنزالَ الأحكام الشرعية التفصيلية مع عدم غياب الخطاب الإيماني عنهم؛ خاصةً إن حصل من بعضهم -رضوان الله عليهم أجمعين- ما يحتاجون معه إلىٰ شيءٍ من

---

(١) انظر: المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلىٰ آخر سورة الناس، للدكتور: محمد بن عبد العزيز الفالح: (٤٠٤- ٤٠٦).

(٢) يدخل في هذا الأنصار، فقد جاءهم مصعب وابن أم مكتوم وكانا يُقرآنهما القرآن، كما ثبت في «صحيح البخاري» (٣٩٥٢)، (٤٩٤١)، وقال البراء بن عازب ﷺ في نهاية ذكره للقصة: «فَمَا جَاءَ [أي: رسول الله ﷺ] حَتَّىٰ قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا»، وفي لفظ: «فَمَا قَدِمَ حَتَّىٰ قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] فِي سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ».

التذكير بتلك المعاني الإيمانية، كما هو الحال في هذه السورة(١).

ثانيًا: تأريخ نزول السورة:

إن أقوىٰ ما يمكن أن يساعد علىٰ تحديد تأريخ دقيقٍ لنزول هذه السورة هو ما جاء في «الصحيحين» -وهذا لفظ البخاري- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّىٰ سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «**لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ -أَوْ رَجُلٌ- مِنْ هَؤُلَاءِ**»، ولفظ مسلم: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، **إِذْ نَزَلَتْ** عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ»(٢).

ومِن أوسع مَن تكلم علىٰ تأريخ نزول السورة اعتمادًا علىٰ هذا الحديث -فيما وقفتُ عليه- ابنُ عاشورٍ ﷺ، في مقدمة كلامه علىٰ سورة الجمعة، حيث قال: «... وَيَظْهَرُ أَنَّهَا نَزَلَتْ سَنَةَ سِتٍّ(٣) وَهِيَ سَنَةُ خَيْبَرَ(٤)، فَظَاهِرُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ آنِفًا- أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ؛ لِأَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ

---

(١) سيتضح هذا عند الحديث عن سبب نزول السورة.

(٢) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٣١) - (٢٥٤٦).

(٣) كون السورة نزلت بعد إسلام أبي هريرة يقتضي أنها نزلت بعد غزوة خيبر، ولا يلزم منه أنها نزلت في نفس العام، فقد تكون نزلت بعد ذلك، ولذلك فالقول أنها نزلت بين الحديبيةِ -وقد كانت خيبرُ تاليةً لها- وتبوكٍ أدقُّ، انظر: النظم الفني للقرآن: (٣١٤)، وهذا لا يؤثر في هذا البحث؛ إذ المهم أن الأحداث المذكورة نزلت قبل نزول السورة، والله أعلم.

(٤) بين أهل السير خلافٌ في كون خيبر في السنة السادسة أو السابعة، وهو خلاف مرده في الحقيقة إلىٰ اصطلاح عد السنوات الهجرية، انظر تحرير ذلك في: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم العمري: (٣٦٤).

أَسْلَمَ يَوْمَ خَيْبَرَ(١). وَظَاهِرُهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَتَكُونُ قَضِيَّةُ وُرُودِ الْعِيرِ مِنَ الشَّامِ هِيَ سَبَبَ نُزُولِ السُّورَةِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ.

وَكَانَ فَرْضُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مُتَقَدِّمًا عَلَىٰ وَقت نزُول هَذِه السُّورَةِ، فَإِن النبي ﷺ فَرَضَهَا فِي خُطْبَةٍ خَطَبَ بِهَا لِلنَّاسِ، وَصَلَّاهَا فِي أَوَّلِ يَوْم جُمُعَةٍ بَعْدَ يَوْم الْهِجْرَةِ فِي دَارٍ لِبَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَثَبَتَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ صَلَّوْهَا قَبْلَ قُدُوم رَسُول الله ﷺ الْمَدِينَةَ كَمَا سَيَأْتِي. فَكَانَ فَرْضُهَا ثَابِتًا بِالسُّنَّةِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الْجُمُعَة: ٩] وَرَدَ مَوْرِدَ التَّأْكِيدِ لِحُضُورِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَتَرْكِ الْبَيْعِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الِانْصِرَافِ عِنْدَ الصَّلَاةِ قَبْلَ تَمَامِهَا، كَمَا سَيَأْتِي... وَظَاهِرُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ أُنْزِلَتْ دفْعَةً وَاحِدَةً غَيْرَ مُنَجَّمَةٍ»(٢).

وبناءً علىٰ هذا تكون السورة كلها قد نزلت بعد خيبر(٣)، وعندما تُذكر خيبر

(١) انظر في إسلامه وهجرته عامَ خيبر: الاستيعاب: (٢/ ٤٧٥)، أسد الغابة: (٢/ ٢٨)، الإصابة: (٤/ ٣١٦).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٥)، وممن قال بنزولها دفعة واحدة محمد عزة دروزة في تفسيره المعتني كثيرًا بتأريخ نزول السور وملابساتها، انظر: التفسير الحديث: (٧/ ٣٣١)، وانظر خلافًا حول نزولها دفعة واحدة في: فتح الباري: (٨/ ٦٤٢)، والرد عليه في: عمدة القاري: (١٩/ ٢٣٥)، وقد سِرتُ علىٰ ظاهر الرواية معتمدًا كلام العيني، وابن عاشور، ودروزة مع كون قرائن السياق والنظم متناسبة معه، وعلىٰ القول الآخر بأنها لم تنزل دفعة واحدة وأن آخرها نازلٌ قبل أولها يظل التناسب بين آياتها ظاهرًا، ويكون نزول أولها المتأخر زمانيًّا متناسبًا مع ما ذكر في هذا البحث من ملابسات، وصالحًا للتذكير بالخطأ السابق زمانيًّا والذي نزل لأجله آخر السورة، والله أعلم.

(٣) خلافًا لمن جعلها في وقت قوة اليهود في المدينة غافلًا عن تأريخ إسلام أبي هريرة، انظر: التفسير الحديث: (٧/ ٣٢٨، ٣٣١).

نستحضر أمورًا متعددة احتفَّت بها؛ فمن ذلك:

١- ظهور غدر اليهود بجلاء قبل الغزوة، بل كان ذلك الغدر من أسبابها، كما أن محاولة قتل النبي ﷺ بشاة مسمومة وقعت: «لما فُتحت خيبر»(١).

٢- عظمة الانتصار في خيبر، وكثرة الغنائم، وسهولة الحصول عليها، بل قد ذُكر أنها من أكثر الغزوات غنائم(٢)، وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: «ما شبعنا حتىٰ فُتحت خيبر»(٣)، وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا: الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ»(٤).

٣- وقعت خيبر بعد الحديبية، أي: بعد الصلح والاستقرار للمسلمين، وهو صلح حوىٰ في طيَّاته نِعمًا كبيرة علىٰ المسلمين.

٤- احتفَّت بالغزوة أحكام شرعية متعددة؛ فمن تلك الأحكام(٥):

تحريم ربا الفضل، وتحريم المُتعة، وتحريم الحُمر الأهلية، ولعل هذا يشعر أن الدين اقترب من الاكتمال، وزادت المِنَّة علىٰ المؤمنين به.

٥- قدوم مهاجري الحبشة إلىٰ المدينة(٦)، وهذا الحدَث -بما فيه من اجتماع شَمْل المسلمين وزيادة قُوَّتِهِمْ في المدينة- يُعدُّ حدَثًا سعيدًا جدًّا، بل قد ورد أن

---

(١) البخاري (٣١٦٩)، (٥٧٧٧)، ومسلم (٤٥) (٢١٩٠)، وانظر: سيرة ابن هشام: (٣/ ٣٦٧).

(٢) تنظر: السيرة النبوية، لابن هشام: (٣/ ٣٨٠ -٣٨٣)، والسيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم العمري: (١/ ٣١٨).

(٣) البخاري: (٤٢٤٣).

(٤) البخاري: (٤٢٤٢).

(٥) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام: (٣/ ٦٠ -٦١).

(٦) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام: (٤/ ٥ فما بعدها).

النبي ﷺ قال: «ما أدري أنا بقدوم جعفرَ أسر، أو بفتح خيبر؟»(١).

٦- إرسال الرسائل إلىٰ الملوك(٢)، وهو مما يؤذن باستقرار دولة الإسلام وانتشار الدين وقوته.

٧- الوقْع الكبير لخيبر علىٰ قلوب القبائل التي لم تكن أسلمت بعد(٣)، وكان خاتمة ذلك ما حدث بعد خيبر بسنتين تقريبًا من وفود القبائل علىٰ رسول الله ﷺ(٤).

وبالجملة؛ فإن كلَّ ما تلا الحديبيةَ -ومنه غزوة خيبر- حتىٰ وفاة النبي ﷺ كان مِصداقًا للآية الكريمة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقد كان لهذه الملابسات المتعددة أثره في نظم السورة والكلام عليها بلاغيًّا، وهو أهم ما يسعىٰ هذا البحث إلىٰ إظهاره.

◆ ثالثًا: ترتيب نزول السورة بين السور:

مما يُستأنس به في تأريخ نزول السورة ما ورد أنها التاسعة بعد المائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد(٥) ﷺ، حيث نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن(٦)،

---

(١) انظر في تخريجه مطولًا والميل إلىٰ ثبوته: السلسلة الصحيحة (٢٦٥٧).

(٢) وهو حدث قريب زمانيًّا من خيبر وإن لم يكن مرتبطًا بها بشكل مباشر، انظر: الطبقات الكبرىٰ، لابن سعد: (١/ ١٩٨)، والسيرة النبوية، لابن هشام: (٤/ ٢٦٢).

(٣) تنظر: السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة: (٤٣٤).

(٤) انظر تفصيل الكلام في ذلك في: السيرة النبوية الصحيحة: (٦٠٥ فما بعدها).

(٥) جابر بن زيد الأزدي مولاهم البصري، تابعي شهير، انظر ترجمته في: الطبقات الكبرىٰ: (٧/ ١٣٣ فما بعدها)، وفيه: « لَوْ نَزَلَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عِنْدَ قَوْلِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ لَأَوْسَعَهُمْ عَمَّا فِي كِتَابِ اللهِ عِلْمًا».

(٦) انظر البيان في عد آي القرآن، للداني: (١٣٥ فما بعدها)، وهذه الرواية مما اختلف في ثبوتها مع =

فهذا يؤيد ما سبق من ترجيح تأخر نزولها(١)؛ إذ لم ينزل بعدها حسب هذه الرواية إلا سور قليلة جدًّا.

◆ رابعًا: سبب نزول السورة:

ثبت عن جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ(٢) تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّىٰ مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾»(٣)، مما يدل أن آخر السورة نزل لتصحيح خطأ صدر من الصحابة، مع ملاحظة طبيعة هذا الخطأ مِن كونه مِن أهل فضل وسابقة -رضوان الله عليهم أجمعين-، وكونه غير متعمَّد من جهة ثانية، كما أنهم لم يُعرفوا بمثله ولم يتكرر منهم(٤).

ومع أن السبب الوارد يتعلق بنزول آخر آيات السورة إلا أن ما سبق من نزولها

= وجود مخالفات متعددة فيها لما هو أصح منها، وقد حسنها بشاهدها بعض الباحثين، انظر: المكي والمدني -دراسة تأصيلية نقدية من أول القرآن الكريم إلىٰ نهاية سورة الإسراء- للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد: (١/ ٢٧٣)، ولهذا الخلاف في ثبوتها لم أعتمدها وإنما ذكرتها استئناسًا، هذا وقد وقع خلل واضطراب في عد السور وفق هذه الرواية في كتب التفسير التي اهتمت بترتيب نزول السور، لكن البحث وموضوعه لا يتّسعان لبيان ما حدث عندهم من خلل.

(١) انظر ما سبق قريبًا في هذا البحث من الحديث عن تأريخ نزول السورة (ص: ٢٠٨ فما بعدها).

(٢) جاء أن الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي، وقيل: إن ذلك قبل أن يُسلم، مما يقوي القول بأن آخر السورة نزل مبكرًا، لكن روايات كون ذلك قبل إسلامه لم تثبت، انظر في الإشارة إلىٰ ضعفها: تفسير ابن كثير: (٧/ ٢٧٩)، وانظر إلىٰ ما ورد في ذلك من مرويات في: الدر المنثور: (٨/ ١٦٥- ١٦٦)، موسوعة التفسير بالمأثور: (٢١/ ٦٤٩- ٦٥٠).

(٣) البخاري: (٩٣٦)، ومسلم (٣٧) (٨٦٣).

(٤) أما ما روي من تكرار الحادثة فلم يثبت، انظر ما سيأتي في البحث (ص: ٢٥٢ هامش ٤).

دفعة واحدة بعد خيبر يعين علىٰ تأريخ تقريبي لنزول السورة كلها، مع ملاحظة أن «الغرض الأول من السورة التحريضُ علىٰ شهود الجمعة، والنهي عن الأشغال التي تشغل عن شهودها، وزجر فريق من المسلمين انصرفوا عن صلاة الجمعة حرصًا علىٰ الابتياع من عيرٍ وردت المدينة وقت حضورهم لصلاة الجمعة»(١)، والله أعلم.

◆ ◆ ◆

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٦)، ويلاحظ أن ابن عاشور ﷺ عبَّر بالزجر، والتعبير بالعتاب اللطيف أليق بنظم آيات السورة، خاصة آخر آية فيها، انظر ما سيأتي من التنبيه علىٰ ذلك: (٢٥٢هامش ٣، ٢٥٤ هامش ١).

المبحث الثاني:

الأسرار البلاغية لسورة الجمعة في ضوء ملابسات نزولها

بعد أن عرفنا مدنيَّة السورة، وتأخُّر نزولها في العهد المدني بعد غزوة خيبر، وأنها نزلت دفعة واحدة لسبب معيَّن -وهو ما وقع من الانفضاض إلىٰ العير- فقد آنَ الأوان للشروع في المقصود مِن هذا البحث مِن التحليل البلاغي للآيات المبني علىٰ تلك الملابسات(١)، وقد رأيتُ تقسيمَ التحليل البلاغي للسورة إلىٰ أربعة مطالب مبنية علىٰ الموضوعات الجزئية لآيات السورة الكريمة؛ لأن ذلك أدعىٰ لاستحضار المقام الخاص بكل موضوع، فكانت المطالب علىٰ النحو الآتي:

المطلب الأول: براعة الافتتاح.

المطلب الثاني: الامتنان ببعثة سيد الأنام ﷺ.

المطلب الثالث: التعريض باليهود.

المطلب الرابع: أحكام صلاة الجمعة، والتنبيه علىٰ ما وقع فيها.

◆ ◆ ◆

(١) تمتلئ كتب التفسير البلاغي بتحليلات قيمة نفيسة لآيات سورة الجمعة، لكن هذا البحث ينصبُّ إلىٰ تلك التحليلات المبنية علىٰ ملابسات النزول، لذلك أعرضت عن جُلِّ تلك التحليلات مع قيمتها، واكتفيت بما يخدم البحث ويثريه.

المطلب الأول:
براعة الافتتاح

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾.

في افتتاح السورة بالتسبيح براعة استهلال؛ لأن مقصودَها -كما مرَّ- هو التحذير من التخلف عن صلاة الجمعة والأمر بترك ما يشغل عنها في وقت أدائها[1]، كما أن مِن أعظم مقاصد يوم الجمعة ذِكر الله -والتسبيحُ مِن الذِّكر-؛ فقد قال تعالىٰ في آخر هذه السورة الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فسمىٰ الخطبةَ ذِكرًا لله[2]، وقال في آخر السورة أيضًا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾. فالذكر مطلوب كذلك بعد الفراغ من الصلاة، وما الأمر بالإكثار من الصلاة علىٰ النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها، ولا غيرها مِن السنن الواردة في هذا اليوم العظيم - إلا دليل علىٰ أهمية الذِّكر فيه[3]، وهذا كله يتناسب مع افتتاحها بالتسبيح، ومما ينبغي أن يلاحَظ مع كل هذا أن السورة مدنيَّة تربِّي الأمة علىٰ معالي الأمور، وتجدِّد الإيمانَ مع عنايتها بالأحكام، وقد بدأت قبل الأحكام بما يجدِّد الإيمان لمَا سبقت الإشارة إليه من سبب نزول آخرها[4].

(١) انظر ما سبق: (٢١٣).

(٢) سيأتي مزيد بيان لسر هذا التعبير في موضعه من البحث -بإذن الله-.

(٣) انظر للتوسع فيما يستحب من الذِّكر يوم الجمعة: زاد المعاد: (١/ ٣٦٣ فما بعدها).

(٤) انظر ما سبق: (٢١٢).

ثم إن التسبيح بما فيه من معنىٰ التنزيه والبُعد[1] أنسب بالمقام من الحمد -مثلًا-، خاصةً أن من مقامات التسبيح التعجب من الأحداث الغريبة، ولا شك أن ما حدث ونزلت بسببه السورة حدثٌ غريب بالنظر إلىٰ عامة أحوال الصحابة من المسارعة إلىٰ الخيرات، والتفاني في طاعة الله ورسوله ﷺ، وكأن التسبيح يُنزه الله ﷻ عن كل نقصٍ يوهمه ذلك الذي حدث، فإذا أخذنا بقول من يقول: إن أصل التسبيح «المَرُّ السريع في عبادة الله»[2] زاد ظهور مناسبة الكلمة للمقام؛ وكأن فيها تذكيرًا لمن تباطأ عن العبادة وانشغل عن الخطبة بأن الكائنات مسرِعة في عبادة الله.

وقد عُبِّر عن التسبيح بالفعل المضارع الدال علىٰ التجدد الاستمراري، وهذا مناسب أتمَّ المناسبة لحال الصحابة الذين انفضوا إلىٰ العِير وتركوا الخُطبة؛ فكأن الآية تشير لهم أنهم إن انشغلوا وتوقفوا عن الذكر والتسبيح فهناك ما لا ينشغل، بل تسبيحُه متكرر متجدِّد، ثم إن الفعل المضارع -كذلك- بما فيه من استحضار الصورة يعِين علىٰ رؤية هذه الكائنات وهي تسبح الله، لتكون هذه الصورة الحاضرة في مقابلة الذين انفضوا إلىٰ التجارة وتركوا النبي ﷺ قائمًا يذَكِّر بالله الملك القدوس العزيز الحكيم.

واللام الداخلة علىٰ لفظ الجلالة مؤكِّدة للتسبيح؛ إذ الفعل (سبَّح) يتعدىٰ بنفسه[3]، وهذا التوكيد مناسب لحال مَن غفل عن هذه الحقيقة العظيمة؛ فهو من باب تنزيل غير المنكِر منزلة المتردِّد، مع كون هذا الحدث غريبًا من شأنه أن يؤكد.

وقد جاء لفظ الجلالة: (الله) دون غيره من أسماء الله وصفاته، وهو أكثر أسماء الله الواردة في القرآن، وهو أدل الأسماء عليه سبحانه، ومما يجعله الأليق هنا أنه

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (س ب ح).

(٢) المفردات في ألفاظ القرآن: (س ب ح)، واستبعد ابن عاشور هذا القول: (١/ ٤٠٥).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٧/ ٣٥٧).

سيوصف أو يبْدَل منه -كما سيأتي-.

وأما مَن صدَر منه التسبيح فقد جاء التعبير عنه بـ: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فالتعريف بالموصول (ما) غُلِّبَ فيه غيرُ العقلاء على العقلاء، وهذا التغليب يحمل في طيَّاته عتابًا للصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين-؛ فقد توقفوا عن التسبيح بينما ظلت بقية المخلوقات بما فيها غير العقلاء -وهي أول ما يدخل في اللفظ- تسبِّح ربَّها تسبيحًا متكررًا متجددًا(١).

وتقديم السماوات على الأرض جاء على الأصل الكثير(٢)؛ لأنها أعظم في خلقها، مع كون تسبيح أهلها أعظم وأكثر وأدوم: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]؛ ففيها عتاب من هذه الجهة أكبر.

وتكرير الاسم الموصول في قوله: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أدل على تسبيح أهل الأرض، وهو تكريرٌ مناسِب لكون الذين تركوا الذِّكر والتسبيحَ مِن أهل الأرض.

وقد أُتبعَ(٣) اسم الله بعدة أسماء له -سبحانه- لم تجتمع بهذا الترتيب إلا في هذه السورة، وقد وقع الجمع بينها مناسبًا للمقام أشد المناسبة، يقول العلامة ابن عاشور: «ومناسبة الجمع بين هذه الصفات هنا أن: العظيم(٤) لا يَنصرف عن

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٦)، وقد لاحظ معنى التجدد الاستمراري البقاعي: نظم الدرر: (٧/ ٥٩١)، لكنه لم يربطه بملابسات النزول خلافًا لابن عاشور.

(٢) ينظر: البرهان، للزركشي: (٣/ ٢٥٧).

(٣) على سبيل الوصفية أو البدلية لكن القول بالبدلية ضعيف، انظر: الدر المصون: (١٠/ ٣٢٥)، وفيه ذِكر لقراءات أخرى لكنها شاذة، فلم أشأ إطالة البحث بذكرها.

(٤) كذا قال، ولو عبر بالمَلِك لكان أنسب؛ ليوافق لفظ الآية.

مجلسه مَن كان عنده إلا عند انفضاض مجلسه أو إيذانه بانصرافهم، و﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾: المنزَّه عن النقص، وهو يُرغب في حضرته، و﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: يعتز الملتفون حوله، فمفارقتهم حضرته تفريط في العزة، كذلك ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ إذا فارق أحد حضرته فاته في كل آنٍ شيء من الحكمة كما فات الذين انفضوا إلىٰ العير ما خطَب به النبي ﷺ؛ إذ تركوه قائمًا في الخطبة»(١).

ثم إن في هذا الإتباع لاسم الله بهذه الأسماء الأربعة تقريرًا وترسيخًا لتسبيح الكائنات له ﷻ، أما علىٰ القول بالوصفية فللمدح لله بصفات تزيد مِن عتاب مَن انفض عن بيتِ مَن هذه صفاتُه، وأما علىٰ البدلية فلِما فيها مِن نيَّة تكرار العامل، وهو تقرير وترسيخ يناسب ما وقع من غفلة وتركٍ للخطبة، كما سبقت الإشارة إليه مرارًا.

وتأمل في الترتيب(٢) لهذه الصفات: فالناس يحرصون علىٰ مجلس المَلِك؛ فكيف إذا كان قدُّوسًا مُنزَّهًا عن النقص؟! فكيف إذا كان عزيزًا؟! فهذا مع الحرص علىٰ مجلسه -خاصة إذا كان في بيته- يُخاف منه ويحتمىٰ بجنابه، فكيف إذا كان

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨ / ٢٠٧)، وهو صريح منه في ربط الآية الأولىٰ من السورة بسبب النزول الوارد في آخرها، ومثل هذه الإشارات الرابطة بين أول سورة الجمعة وآخرها قليلة فيما وقفت عليه من كلام المفسرين، بل لم أكد أجِدُ شيئًا منها عند غير ابن عاشور، فكثر لذلك نقلي عنه مقارنةً بغيره من المفسرين.

(٢) الترتيب: تقديم شيء علىٰ آخر لنكتة، وهو معدود في المحسنات البديعية، ينظر: حاشية المنياوي علىٰ حلية اللب المصون: (١٣٨)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: (٢/ ٣٢٨- ٣٢٩)، وانظر معنىٰ آخر للترتيب في: خزانة الحموي: (٤/ ٦٠-٦٢)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: (٢/ ١٢٢-١٢٣)، والظاهر أن الترتيب أعم من الترقي الذي سيأتي ذكره بعد أسطر، وكذا من التدلي الآتي (ص: ٧٧).

فوق ذلك كلِّه حكيمًا؟! وكأن هذه الصفات بهذا الترتيب زادت من الإشعار بالخطأ وتدرجت في العتاب؛ ففيه ما يسمىٰ عند البلاغيين الترقِّي(١)، وهو ترقٍ مناسب للمقام؛ إذ به يزداد التنبيه علىٰ الخطأ بالتدرج؛ فيزيد معه العتابُ شيئًا فشيئًا.

ولم يَعطف بين هذه الأسماء الجليلة بالواو، بل جاء بها علىٰ الأصل المطَّرد مِن أن صفات الله تأتي متواليةً دون عاطف(٢)؛ فدلت بهذا التوالي علىٰ الوحدانية والعظمة باجتماع هذه الصفات في ذاتٍ واحدةٍ هي التي تُسَبَّحُ، واجتماع هذه الصفات معًا أشد في الذَّم علىٰ مَن انصرف في آخر السورة، والله أعلم.

ولعلك تَلمح -مع كل ما سبق- أن هذه الصفات بما يحمله كلٌّ منها مِن معنىٰ لتؤكِّد استحقاق تسبيح الكائنات، وحتميَّته لله -تعالىٰ-؛ مما يزيد مِن عتاب المنصرفين عن ذِكر الله المُشار إليهم آخرَ السورة؛ فالمَلِك ينبغي أن يعظَّم ويسبَّح، والقدُّوس منزَّه عن النقائص -والتسبيح التنزيه-، والعزيز منزَّه عن أن يغلبه أحد، والحكيم منزَّه عن أيِّ خلل فيما شرعه أو أمر به.

كما يمكن أن نَلمح مناسبةَ هذه الأسماء الجليلة مع ما احتفَّ بالنزول مما مضىٰ ذِكْره مِن اكتمال الدِّين بأحكامه الشرعية المختلفة، فإنه دالٌّ علىٰ تمام مُلك الله وتقديسه عن النقص وعزَّته في أحكامه المُحكَمة المشتملة علىٰ الحِكمة.

ثم إن في الختم باسم الله الحكيم مع ما فيه مِن مناسباتٍ معنوية -كما سبق بيانه- مناسبةً لفظيةً؛ حيث جاءت الفاصلةُ متَّسقةً مع ما وَلِيَها من فواصل السورة،

---

(١) الترقي هو: أن يذكر معنىٰ ثم يردف بما هو أبلغ منه، ينظر: التبيان للطيبي: (٤٩١- ٤٩٣)، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها: (٢/ ١٤٠- ١٤١).

(٢) انظر: قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين: (٣٣) نقلًا عن البرهان لابن الزملكاني: (٢٣٨).

وفاصلةُ هذه السورة الكريمة تتراوح بين الميم والنون المسبوقتين بحرفي المد: الواو والياء، وهي فاصلة هادئة لا تجد فيها قوَّةَ التوبيخ الذي تجده في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٨٨ -٩٠]، ولا يخفى الفَرْق بين قول الكافرين الشنيع وبين ما حدَث من بعض الصحابة خطأً، فناسَبَتْ كلُّ فاصلة موضعَها(١).

◆ ◆ ◆

(١) لم أشأ إطالة البحث بذكر ما يتعلق بالفاصلة في ختام كل آية من آيات السورة الكريمة؛ فاكتفيت بهذه الوقفة، خاصة أن السورة متقاربة الفواصل كما هو ظاهر.

المطلب الثاني:
الامتنانُ ببعثة سيد الأنام ﷺ

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢ -٤].

جاءت هذه الآيات الثلاث تذكيرًا للمؤمنين بنعمة الله عليهم ببعثة رسول الله ﷺ فيهم، وبيانًا «لشدَّة حاجتهم لنبيٍّ يرشدهم»(١)، وهذا التذكير والامتنان مناسب جدًّا لمُلابِسات السورة؛ فكون السورة مدنيَّةً متأخرةً بعد خيبر وما تلاها من نِعمٍ حسِّيةٍ كالشِّبَع، ومعنويةٍ كاكتمال الأحكام = يناسب ذلك الامتنان؛ إذ قد تمَّت المِنَّةُ أو قاربت علىٰ التمام، والخطأ الذي وقع فيه مَن انصرف عن الخطبة يناسبه التذكير بالنِّعم كذلك.

وأول ما يسترعي الانتباه عند تحليل آيات هذا المطلب، هو ما فيها من حسن التخلص؛ حيث ذكرت أربعة أسماء في ختام الآية الأولىٰ: ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، ثم جاء قولُه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ الآيةَ متناسبًا مع تلك الأسماء أشدَّ المناسبة، قال ابنُ عاشور في وجه اتصال الآيتين: «اسْتِئْنَافٌ بياني ناشئ عَنْ إِجْرَاءِ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا عَلَىٰ اسْمِ الْجَلَالَةِ؛ إِذْ يَتَسَاءَلُ السَّامِعُ عَنْ وَجْهِ تَخْصِيصِ تِلْكَ الصِّفَاتِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَكَانَ الْحَالُ مُقْتَضِيًا أَنْ يُبَيَّنَ شَيْءٌ عَظِيمٌ مِنْ تَعَلُّقِ تِلْكَ الصِّفَاتِ بِأَحْوَالِ خَلْقِهِ تَعَالَىٰ؛ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا يُطَهِّرُ نُفُوسَهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ؛ فصِفة الْمَلِكِ تَعَلَّقَتْ بِأَنْ يُدَبِّرَ أَمْرَ عباده وَيصلح

(١) تفسير البيضاوي: (٩/ ١٧٢).

شؤونهم[1]، وصفة الْقُدُّوسِ تعلَّقت بأَنْ يُزَكِّيَ نُفُوسَهُمْ[2]، وصفة الْعَزِيزِ اقْتَضَتْ أَنْ يُلْحِقَ الْأُمِّيِّينَ مِنْ عِبَادِهِ بِمَرَاتِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ ذِلَّةِ الضَّلَالِ فَيَنَالُوا عِزَّةَ الْعِلْمِ وَشَرَفَهُ[3]، وَصِفَةُ الْحَكِيمِ اقْتَضَتْ أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الْحِكْمَةَ وَالشَّرِيعَةَ[4]»[5]، وبهذا يظهر الاتصال القوي بين الآيات، وكأن المَطلعَ -مع ما سبق فيه مِن براعة الاستهلال- مهِّد لما جاء بعده.

ثم إننا إذا مضينا في النظر إلىٰ الآيات لإظهار عَلاقتها بملابِسات نزولها نجد الله تعالىٰ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾؛ فافتتح الآيةَ بالضمير العائد إلىٰ الله المَلك القدوس العزيز الحكيم المذكور في افتتاح السورة، وقد حصل بهذا التوكيد والتقرير المناسِب لمقامِ عدم التذكر للنعمة والذهول عنها عند وقوع الخطأ، مع أن النعمة ظاهرة قد أوشكت علىٰ الاكتمال كما مضت الإشارة إليه قريبًا، وقد جاء الخبر اسمًا موصولًا؛ فأشعرت المَوصولية أن مضمون الصلة معهود[6] مُشتهر عند السامعين[7]، والصحابة ﵃ كانوا يعيشون آثار تلك البعثة،

---

(١) كأنه ناظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، ويمكن أن يكون ناظرًا لبقية ما ذكر في الآية أيضًا.

(٢) وهذا ناظر إلىٰ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾.

(٣) وهذا ناظر إلىٰ: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾، و﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

(٤) وهذا ناظر إلىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

(٥) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٧)، وانظر توجيهًا آخر في تبصير المنان وتيسير الرحمن = تفسير المهايمي: (٢/ ٣٤١).

(٦) انظر في دلالته علىٰ العهدية: معاني النحو: (١/ ١٢٣- ١٢٤).

(٧) انظر في كون التعبير بالصلة يفيد أن مضمون الصلة مشهورٌ عند السامعين: التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٦٤)، وأصل المسألة في: دلائل الإعجاز: (٢٠٠).

بل ويقطفون ثمارَها، فكان ينبغي لهم ألا يغفلوا عن مُسدي تلك النعمة العظيمة، ويلاحَظ أن التعبير جاء بـ(الذي) دون (مَن) و(ما)، وهذا كثير في القرآن في حديث الله عن نفسه، والسر في ذلك -والله أعلم- أن ﴿ٱلَّذِى﴾ أكثرُ تحديدًا وتخصيصًا مِن (مَن)، و(ما)؛ لأنها أعرف منهما، مع اختصاصها بالمفردِ وبذوي العِلم دونهما[1]، وهذا التخصيص والإفراد هو المناسب لمقام التذكير بتفرد الله بنعمة بعث الرسول في الأميين، وقد جاء هذا التوكيد للمؤمنين الذين لا ينكرون هذه الحقيقةَ، بل هي جزء من عقيدتهم؛ لكنهم نُزِّلوا منزلةَ المنكِرين لظهور أمارات الإنكار عليهم بانفضاضهم إلىٰ ما انفضوا إليه، وقد جاءت صلة الموصول فِعلية ماضويَّة، فأفادت بفعليتها المفيدة للحدوث التذكيرَ بأن البعثة قد وقعت بعد فترة سبقتها كان الأميُّون فيها جهَّالًا، كما أشعرت بماضويتها المفيدة التقييد بالزمن الماضي بأن هذه البعثة قد تمَّت ووقعت، هذا مع أن آثارها مستمرة، كما سيأتي عند سرِّ التعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَتْلُوا۟﴾ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾.

ومما زاد المِنَّة جِلاءً والتعريضَ قوةً = ما في مادة البعث من معنىٰ الإثارة، التي تشعر أنهم كانوا في فترة ركود، وانعدام حركة[2]، ويبدو مِن التأمُّل في أصل مادة البعث أنَّ فيه نوع مفاجأة، مع أن في التعبير بـ:(بعث... رسولًا) تفننًا أثرىٰ النصَّ بما يناسب مقام الامتنان، حيث حصل التصريح بنعمتَي البعث والرسالة معًا، كما

(١) انظر: معاني النحو: (١/ ١٣٧- ١٤٠).

(٢) قال ابن فارس: «(بعث) الباء والعين والثاء أصلٌ واحد، وهو الإثارة»، مقاييس اللغة (بعث)، وجاء في نظم الدرر: «قال الحرالي: من البعث وهو الاستثارة من غيب وخفاء، أشده البعث من القبور، ودونه البعث من النوم»، نظم الدرر: (١/ ١٣٧)، وانظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: (١/ ١١١)، ففيه مزيد بيان لمعنىٰ الإثارة، والإنهاض، والدفع نحو عمل شيء، وفي الفروق اللغوية: (٢٩٩) ما يدل أن البعث أعم من الإرسال، والله أعلم.

يلاحظ أن الكلام جاء بأسلوب الغَيبة: ﴿فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ دون الخطاب: (فيكم)؛ إذ المقام مقام تعريض -بالنظر لآخر السورة-، فناسب الغَيبة دون الخطاب، وقد هيَّأ أسلوب الغَيبة لذِكر الأميين فلفَت الانتباه إلىٰ أنهم كانوا بعيدين عن التعلم، فالمِنَّة عليهم أكبر؛ إذ هم «أحوج إلىٰ الرسول؛ سيَّما وقد تغيَّرت المِلل السابقة»(١)، وفيه كذلك إشارة إلىٰ اليهود الآتي ذِكرهم قريبًا، وتذكير للصحابة ﷺ بأنهم كانوا في نظر اليهود مجرَّد (أميين)؛ وإذا بهم قد بعث الله فيهم رسولًا.

وتعريف الأميين: إما أن يكون للعهد العِلمي(٢)؛ وعليه ففيه استحضار لحالهم المعهودة في الجاهلية -وهذا يزيد المنَّة عليهم-، أو يكون لاستغراق أفراد الجنس -والامتنان فيه ظاهرٌ بكون البعثة شاملة لهم-، وأما حرف الجر (في) فيدل علىٰ وجوده فيهم إبَّانَ بعثته، وهذا مناسب للامتنان، لكنه مع ذلك يحوي في طيَّاته إشارة إلىٰ أنه غير مختص بهم، بخلاف ما لو عبَّر بـ(إلىٰ)(٣)، وفي هذا تعريض بأنهم إن تولوا عن قبول تحمُّل الأمانة فهناك مَن يتحملها غيرهم، وهو متناسب مع قوله بعدُ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾، كما أنه ناظرٌ إلىٰ الحادثة التي نزل لأجلها آخر السورة، ولعل في معنىٰ الظرفية ما يُشعر أنه بُعث وسطهم وقد أحاطوا به وخبروا أمرَه؛ فكان ذلك عونًا لهم علىٰ معرفة صدقه -وهذا امتنان آخر-، وفي تقديم الجار والمجرور: ﴿فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ علىٰ المفعول: ﴿رَسُولٗا﴾ ما يُشعر بأهمية هذا القيد؛ إذ يُذكِّر بحالهم

(١) تفسير المهايمي: (٢/ ٣٤١).

(٢) العهد العلمي عند البلاغيين: هو ما كان معلومًا عند المخاطَب سواء كان حاضرًا أم غير حاضر شريطةَ ألا يتقدم له ذكر صريح ولا كنائي، واصطلاحات البلاغيين في هذا الباب تختلف عن اصطلاحات النحاة، فليتنبه إلىٰ هذا، انظر: حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني: (١/ ٣٢٠)، وقارن بالمفصل في تفسير القرآن: (١٩٥٥) حيث مشىٰ علىٰ اصطلاح النحاة.

(٣) انظر: نظم الدرر: (٧/ ٥٩٢).

قبل الإسلام مما يزيد من الامتنان، وقد نكَّر المفعول ﴿رَسُولًا﴾ فناسب -بدلالته علىٰ التعظيم والتفخيم- الامتنانَ الذي يهدف إلىٰ التعريض.

وتقييد المفعول بالوصف ﴿مِنْهُمْ﴾ ناسب المقام بزيادة الامتنان؛ «... فإن كون الرسول منهم وكتابه بلُغتِهم هو أعون علىٰ تلقِّي الإرشاد منه؛ إذ ينطلق بلسانهم وبحملهم علىٰ ما يُصلح أخلاقهم ليكونوا حملةَ هذا الدِّين إلىٰ غيرهم»(١).

ثم إنه -سبحانه- أتبع وصفَه الرسولَ بأنه منهم بثلاثة أوصاف أخرىٰ؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، فأفاد هذا التقييد بالوصف تحديد ثلاث مَهام لرسول الله ﷺ:

١/ تلاوة الآيات.

٢/ التزكية.

٣/ تعليم الكتاب -وهو القرآن -، وتعليم الحِكمة -التي هي السُّنة علىٰ المشهور(٢)-.

وهي صفات تزيد المِنَّةَ علىٰ الأميين، وقد أفادت صيغة المضارع في الأفعال الثلاثة تَكرار حدوثها، وهذا مع زيادته للامتنان يُشعِرُ بأنهم ما زالوا محتاجين للتربية النبوية، بدليل هذا الذي حدث ونزلت لأجله السورة، كما أن في المضارع من تصوير هذه المهامِّ واستحضار صورتها ما يجعلها حيَّةً ماثِلةً أمام المخاطَبين، وتصورها يُعِين علىٰ استشعار المنَّة بها، ولعلها تذكِّرهم -أيضًا- بالأحوال العظيمة التي كان النبي ﷺ مُتلبِّسًا بها أو ببعضها عندما انفضوا عن الخُطبة.

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٨).

(٢) وقيل: هي المعرفة بالدين والفقه فيه، ولا منافاة بين القولين، تفسير ابن كثير: (١/ ٦٤٥).

كما أن في وصف الرسول الأمي ﷺ بالتلاوة وتعليم الكتاب والحِكمة وتزكية النفوس مزيدَ امتنان؛ لأن هذه المنَّة لم تكن في الحُسبان، فهم أميُّون، والمبعوث فيهم أميٌّ، فكيف وقع منه ﷺ هذا كلُّه[(١)]؟!

وقد جاءت هذه الصفات علىٰ ترتيبٍ مطابِق للواقع؛ فقد بدأ بالتلاوةِ؛ وهي أول مراحل تبليغ الدعوة، وثنَّىٰ بالتزكية؛ وهي تطهيرٌ مِن الشرك ابتداءً، ومِن الأعمال والطِّباع والسَّيئة بعد ذلك، وختم بتعليم الكتاب والحِكمة[(٢)]، ومع كون هذا الترتيب مطابقًا للواقع إلا أنه كذلك تدرجٌ مِن المنَّة الأعم إلىٰ الأخص كما هو ظاهر، فهو من الترقِّي[(٣)]، وبه زاد الامتنان الذي جاءت الآيات لأجله كما تقدم مرارًا.

ومع أنَّ الترتيب المذكور مطابِق للواقع لكن يمكن أن يقال بالنظر إلىٰ ما مرَّ من «ملابسات النزول» أن التزكية في هذا المقام أهم من التعليم من جهتين[(٤)]:

الأولىٰ: أن ما حدث ونزلت من أجله السورة أمرٌ يحتاج إلىٰ التزكية أكثرَ مِن احتياجه للعِلم، وقد رأينا السورة كلَّها تبدأ بالتزكية؛ حيث بدأت بتسبيح الكائنات، ثم التذكير بمِنَّة البعثة، ثم التحذير من حال اليهود -وكل هذا أقرب إلىٰ التزكية-، إلىٰ أن ختمت السورة بأحكام الجمعة.

الثانية: أن الهدف الأسمىٰ من صلاة الجمعة التزكية؛ وإن كان العلم مقصودًا

---

(١) قارن بالتحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٠٩).

(٣) سبق تعريفه: (٢١٩).

(٤) للعلماء في توجيه ترتيب الآية عن طريق مقارنتها بالآيات المشابهة لها كلامٌ طويل خارج عن حدود البحث، انظر علىٰ سبيل المثال: ملاك التأويل: (١/ ٩١- ٩٣).

فيها أيضًا، يقول ابنُ القيم -ضِمن ذكره لخصائص الجمعة-: «إِنَّ فِيهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الثَّنَاءُ عَلَىٰ اللهِ وَتَمْجِيدُهِ، وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ بِالرِّسَالَةِ، وَتَذْكِيرُ الْعِبَادِ بِأَيَّامِهِ، وَتَحْذِيرُهِمْ مِنْ بَأْسِهِ وَنِقْمَتِهِ، وَوَصِيَّتُهُمْ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ جِنَانِهِ، وَنَهْيُهُمْ عَمَّا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ سُخْطِهِ وَنَارِهِ، فَهَذَا هُوَ مَقْصُودُ الْخُطْبَةِ وَالِاجْتِمَاعِ لَهَا»[(١)]؛ فلعله لذلك -والله أعلم- قُدِّمت التزكيةُ التي هي مَقصود الخُطبة، خاصَّةً أن الخُطبة هي التي نزلت مِن أجلها السُّورةُ.

ثم إن تقديمَ الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بما فيه من اهتمام وعناية بهم، وإضافةَ الآيات إليه سبحانه بما فيها من تشريف زادت من إظهار المِنَّة المناسب للمقام.

ومما زاد الامتنان، وجاء التعبير فيه واضحًا صريحًا -وكأن شدة التعريض قد بدأت تزيد معه في الآيات- التتميمُ[(٢)] في قوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾، فقد جاءت الجملة الحالية[(٣)] مذكِّرةً بالحالة التي كانوا عليها قبل البعثة، وأُكِّدت الجملةُ بـ: (إنْ) المخففَّة مِن الثقيلة، واللام الفارقة؛ تنزيلًا لهم منزلة المتردِّد؛ لأن تصرفاتهم تشبه تصرفاته، كما جاء الفعل الناسخ (كان) فأشعر برسوخهم في الضلال في الجاهلية، مع ما في الظرفية المجازية باستعارة الحرف: ﴿فِى﴾ من الإشعار بإحاطة الضلال بهم من كل جانب، وتنكير ﴿ضَلَٰلٍ﴾ من التعظيم لذلك الضلال وأنه لا يدرَك كنهُه، ووصفه بـ: ﴿مُّبِينٍ﴾ من زيادةٍ لتصوير الحالة، وهذا أنسب للامتنان؛ لأن مع الامتنان في الآية شوبًا من العتاب، وقد أتي بالجار والمجرور ﴿مِن قَبْلُ﴾ فحصل بذلك التذكيرُ بالحالة التي كانوا عليها، وتقديمها علىٰ متعلقها: ﴿ضَلَٰلٍ﴾ زاد من إظهارها والاهتمام بها والتنبيه عليها حتىٰ لا ينسوا

(١) زاد المعاد: (١/ ٣٨٦)، وانظر المرجع نفسه: (١/ ٤٠٩).

(٢) التتميم هو: أن يؤتىٰ في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة، تلخيص المفتاح: (٢٣١).

(٣) تدخل في الفضلة المذكورة في تعريف التتميم الجملة الحالية، انظر: شروح التلخيص: (٣/ ٣٥٢).

ما كانوا عليه قبلُ وما صاروا إليه بعدُ.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾، وفي هذا مزيد تعريض يشعر بشيء من التحذير إن لم تُشكَرْ نعمةُ الله علىٰ الأميين ببعثة النبي ﷺ؛ إذ المختار في الآية علىٰ ما رجَّح الطبري أن المعني بها: «... كلُّ لاحِقٍ لَحِق بالذين كانوا صَحِبوا النبيَّ ﷺ في إسلامهم مِن أيِّ الأجناس؛ لأن الله عز وجل عمَّ بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ كلَّ لاحقٍ بهم مِن آخرين، ولم يخصِّص منهم نوعًا دون نوع، فكلُّ لاحِقٍ بهم فهو من الآخَرين الذين لم يكونوا في عِداد الأوَّلين الذين كان رسولُ الله ﷺ يتلو عليهم آياتِ الله»[(١)]؛ فبعثةُ رسول الله ﷺ وشرفُ اتباع دِينه ليس أمرًا خاصًّا بالصحابة؛ ففيه مع الامتنان بانتشار الدِّين تذكيرٌ بوجود آخَرين ينالون هذا الشرف، وهذا مناسب تمامَ المناسبة لإرسال الرسائل إلىٰ الملوك لدعوتهم للإسلام، ومجيء الوفود للمبايعةِ والدخولِ في هذا الدين[(٢)]، وهما حدَثان أُشير إليهما مِن قبل في «ملابسات النزول»، ومما زاد هذا الأمرَ قوَّةً أن أَسند علىٰ سبيل المجاز العقلي تعليمَ هؤلاء الآخرين إلىٰ الرسول ﷺ، رغم أنه لا يباشر ذلك مع كلِّ أحد ممن عاصره؛ فضلًا عن غيرهم ممن يأتي بعده[(٣)]، وقد يكون في هذا تنبيهٌ لهم أن عليهم عند سماع الخطبة الاهتمام بتحملها لنقلها لمن بعدهم، وهذا يتناسب مع ما سبقت الإشارة إليه مِن أن القرآن المدني يهيِّئ الأمة لحَمْل الأمانة وإقامة دولة الإسلام[(٤)].

وقد جاءت الآية في نَظم بَديع يقويِّ هذه المناسبة، فقد جاء التعبير بـ:

---

(١) تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٣١).

(٢) ينظر ما سبق حول هذه الأحداث: (٢١١).

(٣) انظر: الكشاف: (١٥/ ٤٠٣).

(٤) انظر: (٣١) في الكلام علىٰ مدنية السورة.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ فأدَّىٰ بمادَّته مع تنكيره إلىٰ إبهامٍ يدعو إلىٰ التساؤل عن هؤلاء القوم، والاشتياق إلىٰ معرفتهم، ولعل ذلك هو الذي دعا أبا هريرة ﷺ أن يسأل عنهم في الحديث الماضي ذِكرُه في الملابسات، حيث قَالَ: «مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟»[(١)]، وقد زاد التحذير قوةً بمجيء ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ بصيغة جمع المذكر السالم الموضوع لذوي العِلم، فهُم جَمْعٌ مِن جهةٍ، عقلاءُ مِن جهةٍ أخرىٰ، كما كان لوصفهم بأنهم ﴿مِنْهُمْ﴾ أثرُه في ذلك التحذير؛ إذ هو مذكِّر بأن مَن دخل الإسلام صار كالمسلمين بل صار منهم[(٢)]، وإنما يكون التفاضل بعد ذلك بالتقوىٰ؛ فكأن فيه تحذيرًا من التباطؤ عن الخير، وفي ﴿لَمَّا﴾ بما فيها من نفي الوقوع مع توقُّع حدوثه قريبًا[(٣)]، مع ما في التعبير باللحاق[(٤)] من تصوير المستجيبين لدعوة نبينا الكريم -عليه أفضل صلاة وأتم تسليم-، وكأنهم يتسابقون في الاستجابة، فهناك سابقون -وهم الصحابة ﷺ-، وهناك لاحِقون، ومع كل هذا التناسب مع ذَينك الحَدَثَيْن[(٥)] إلا أن اللحاق يناسب التعريض بما حصل من ترك للخُطبة؛ لأنه يشعر الصحابةَ أن آخرين سيلحقون بهم قريبًا، بل سيصيرون منهم.

وأما ختْمُ الآية بقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيلاحَظ أنه تكريرٌ لاسمين كريمين من أسماء الله وَرَدَا في افتتاح السورة، فهو من باب رد العَجُز علىٰ الصَّدْر[(٦)]،

---

(١) مضىٰ تخريجه (ص: ٢٠٨)، ومع صحة هذا الحديث إلا أن الطبري وغيره حملوا الآية علىٰ العموم -كما مر قبل أسطر-.

(٢) علىٰ اختلاف بين المفسرين في تحديد معاد الضمير في (منهم)، انظر: زاد المسير: (٨/ ٢٠).

(٣) انظر: مغني اللبيب: (٣٥٤- ٣٥٥).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ل ح ق).

(٥) إرسال الرسائل للملوك، واستقبال الوفود.

(٦) من أحسن تعريفاته وأوسعها: رد أعجاز الكلام علىٰ ما تقدمها، البديع، لابن المعتز: (١٤٠)، =

وهو يؤكِّد شدةَ اتصال الافتتاح بهذا المقطع، مع كون الاسمين الكريمين مناسبَين أشدَّ المناسبة لِما في الآية من التعريض؛ فالله عزيزٌ لا يحتاج لأحد، حكيمٌ في مجيء آخَرين بعد الأميين، وهو مع ذلك عزيزٌ ينصر دينَه بمَن شاء، حكيمٌ في تدبيره ذلك، ويمكن أن نلاحظَ -أيضًا- في الاسمين الكريمين المناسبةَ لحال اليهود المعترضين على بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين من العرب الأميين، والناقضين للعهد الذين ذاقوا بسبب نقصهم الهوان والذل، فهو عزيز ظهرت عزته في إعزازه لرسول الله ﷺ ومَن تَبِعه، كما ظهرت فيما وقع لليهود من هزائمَ في خيبر وغيرها، حكيم فيما صنعه به وبهم -سبحانه-.

ثم قال -سبحانه-: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾.

هذا ختام الامتنان، وفيه خلاصة ما قبله؛ فكأنه تذكير قبل الانتقال، وهذا مِن أنسب ما يكون بالمقام؛ إذ ليس الامتنان إلا تمهيدًا وتوطئةً لما سيأتي مِن عِتاب؛ فكان مِن المناسب أن تُذكر خلاصتُه لتَرسخ في النفوس قبل الانتقال إلى ما بعدها، وقد جاءت ألفاظ الآية مُعِينة على تحقيق أهداف المَقطع؛ فاسم الإشارة بحسِّيَّته صوَّر النعمةَ ظاهرةً مشاهَدة يشار إليها باليد فتتميز أكمل تمييز، مع ما فيه من البُعد الذي يرفعها فينزلها أعلى منزلة، وفي الوقت نفسِه يُشعِر بأنها بعيدة المَنال لا ينالها الإنسان بجهده، بل هي محض امتنان، والفضل في اللغة: «الزيادة والخير»(١)، فلما أضيف الفضلُ إلى الله زادت خيريَّتُه وعلَتْ مكانته، وإضافته إلى لفظ الجلالة

= وقد وافق المفسرون البلاغيون ظاهر عبارة متقدمي البلاغيين كابن المعتز وغيره، انظر: معجم المصطلحات البلاغية: (٢/ ٢٢٨ فما بعدها) تحت مصطلح (التصدير)، والملاحظ أن ابن المعتز بعد أن عرف رد العجُز على الصدر هذا التعريف العام قسمه ثلاثة أقسام تجعله قريبًا مما حده به القزويني، والمسألة تحتاج إلى مزيد بحث وتحرير.

(١) مقاييس اللغة (ف ض ل).

﴿ٱللَّهِ﴾ دون الكريم -مثلًا- يذكِّر أن الذي تفضَّل هو مَن جمَع صفات الجمال والكمال والجلال، وأن فضله وإنْ كان عن رحمة وكرم إلا أنه -أيضًا- عن عزَّة وحكمة... إلىٰ غير ذلك مما يمكن أن يُستحضر من صفات الله -عز وجل- المناسِبة للمقام.

وقد جاء الفعل ﴿يُؤۡتِيهِ﴾ مضارِعًا فأشعر بقرينة الامتنان بتجددِ واستمرار هذا الإيتاء؛ مما يجعل الفضل غير مختصٍّ بأحد، وهذا يناسب التعريض الذي استفيد من قوله قبل ذلك: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، كما يناسب إرسالَ الرسل للملوك دعوةً لهم، ويناسب قدومَ الوفود، وإذا أخذنا بما قاله أبو هلال العسكري في الفَرق بين المشيئة والإرادة من أن: «الْإِرَادَة تكون لما يتراخىٰ وقته وَلما لا يتراخىٰ، والمشيئة لِما لم يتراخَ»[(١)] فسنجد التعبير بالمشيئة أليقَ في مقام الإشعار بقرب هذا الإيتاء، وفيه مزيد امتنان من جهةٍ أخرىٰ لَمَحها البقاعي عندما قال في تفسير الآية الكريمة: «﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ بحوله وقوته؛ بأنْ يُهيِّئَه له ولو كان أبعدَ الناس منه»[(٢)]، والذي يظهر أنه أخذ هذا المعنىٰ مما قرره في سورة الكوثر من أن «الإيتاء أصله الإحضار وإن اشتهر في معنىٰ الإعطاء»[(٣)]، مع أنه لاحَظ كذلك -فيما يبدو- العمومَ الذي دل عليه ﴿مَن﴾، ويمكن أن يلاحَظ في: ﴿مَن﴾ أمرٌ آخر لا يتعارض مع ما سبق، وهو اختصاصُها بالعاقل، وفي هذا إشارة إلىٰ أنَّ هذا الفضل إنما يناله أولو الألباب.

---

(١) الفروق اللغوية: (١٤٢).

(٢) نظم الدرر: (٧/ ٥٩٥).

(٣) نظم الدرر: (٨/ ٥٤٧)، وكأنه أخذه من الكشاف: (١٣/ ٦٠٣)، وفي الفرق بين الإيتاء والإعطاء آراء متعددة وخلاف طويل، انظر علىٰ سبيل المثال: البرهان: (٤/ ٨٥)، والإتقان: (٤/ ١٣٠٨- ١٣٠٩)، وتاج العروس: (أ ت ى).

ثم جاءت الجملة الأخيرة: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فزادت الامتنانَ؛ إذ إنَّ قولَه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار زاد الأمر جِلاءً، وجعل الجملةَ مستقلةً برأسها لا تحتاج إلىٰ ما قبلها، وقوله: ﴿ذُو﴾ قريب مِن معنىٰ (صاحب)، لكن (ذو) أبلغ، وأدل علىٰ الشرف(١)؛ فهو الأبلغ في مقام الامتنان والتذكير بشدة الحاجة إلىٰ نبي؛ إذ كلما كان المتفضل أشرفَ كان الامتنانُ أعظمَ، وقد وصف الفضل بأنه ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ فزادت المنَّة في آخر كلمة من هذا المقطع، مع ما فيه من مراعاة الفاصلة، والله أعلم.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ١١٠٤).

المطلب الثالث:

التعريض بالكلام عن اليهود

بعد أن عَظُم في الآيات السابقة الامتنان، وظهرت شدة الحاجة إلىٰ بعثة المصطفىٰ من عدنان ﷺ انتقل الحديثُ عن اليهود ومع اليهود، ولعل أهمَّ أغراض هذا الانتقال هو التنبيه علىٰ أن المِنَّة والتشريف، يتبعهما عمَل وتكليف، وأن هذه المنَّة قد تؤول إلىٰ ضدها إذا لم يؤدَّ حقُّها، مع ما فيه من مناسبةٍ للعهد المدني الذي نزلت فيه السورة، حيث يُربىٰ المؤمنون علىٰ الحذر من التقصير في الأمانة العظيمة التي كلَّفهم الله بها، ولابد عند تحليل هذه الآيات من تذكُّر الحال التي كان عليها اليهود وقتَ نزولها، فقد سقطت خيبر وأُجلي اليهودُ، وقلَّ نفوذُهمْ ووجودهم في المدينة النبوية، وظهر غدرُهم كما مر[1].

قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾.

إذا وقفنا مع هذه الآيات مستحضرين ما سبق نلاحظ بجِلاءٍ كيف ذمَّت الآيات اليهودَ بما يتناسب مع الحالة البئيسة التي انحدروا إليها، وفي ضمن ذلك التحذير لهذه الأمة عمومًا، وللمنصرفين عن الخطبة التي ستأتي الإشارة إليهم في آخر السورة خصوصًا؛ فقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ﴾ يدل علىٰ أن اليهود صاروا مثلًا،

(١) انظر ما سبق في ملابسات النزول: (٢٠٩- ٢١٠).

مما يُشعر بشُهرة حالهم وافتضاح أمرهم -وهذا متَّسِق تمامًا مع حالهم وقت النزول-، كما أنه يشعر أنه ينبغي أخْذ العبرة من حالهم -وهذا يناسب التحذير للمؤمنين، والتعريض بالمنصرفين-، «وكل مَن لم يعمل بعلمه فهذا مَثلُه»[(١)]، وقد عبَّر عن اليهود بالموصولية في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ بما في الموصول من الإشارة إلىٰ الاشتهار بالصلة، مما يُذكِّر بانكشاف أمرهم وافتضاح حالهم للمسلمين، وبما في الصلة من الإشعار بالمسؤولية التي وضعت علىٰ ظهورهم، وهي مناسبة جدًّا للانتقال من الامتنان السابق علىٰ المؤمنين إلىٰ الإشعار بأن مع المنة حِملًا ومسؤولية.

والتعبيرُ المجازي بـ: (حُمِّل) عن: (كُلِّفَ) استعارةٌ تصريحية تصوِّر هؤلاء القوم وكأنهم يحملون التوراة علىٰ ظهورهم[(٢)]، وهذا يقرب حالهم من الحسِّ، ويقربهم كذلك من صورة الحمار الذي سيذكر وهو يحمل فوق ظهره الأسفار، وبناء الفعل (حمِّل) للمفعول زاد في ذمهم؛ إذ «العلم -ولا سيما الربَّاني- يجب أن يُفرح به ويرغب فيه من أيِّ موصل كان»[(٣)]، مع أنه أبعدهم بعدم التصريح بالفاعل عن مقام التلقي المباشر عن الرب «صيانة لاسمه الشريف عن أن يذكر عند العصيان»[(٤)].

والتوراة: «اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ أَصْلُهُ (طُورَا) بِمَعْنَىٰ الْهُدَىٰ... فَلَمَّا دَخَلَ هَذَا الِاسْمُ إِلَىٰ الْعَرَبِيَّةِ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ لَامَ التَّعْرِيفِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَىٰ الْأَوْصَافِ وَالنَّكِرَاتِ لِتَصِيرَ

---

(١) الكشاف: (١٥/ ٤٠٥).

(٢) ويرىٰ الشهاب أن هذا الإطلاق شائع يلحق بالحقيقة: حاشية الشهاب: (٩/ ١٧٣).

(٣) نظم الدرر: (٧/ ٥٩٥).

(٤) المصدر نفسه مع الصفحة نفسها.

أَعْلَامًا بِالْغَلَبَةِ: مِثْلُ الْعَقَبَةِ...»(١)، ولاشك أن ذِكره بهذا الاسم أشد ذمًّا لهم؛ إذ قد حمِّلوا الهدىٰ فلم يحملوه، وبملاحظة أن لام التعريف دخلت هنا لتكون التوراة عَلَمًا بالغلبة(٢) علىٰ هذا الكتاب الذي أنزله الله علىٰ موسىٰ ﷺ، فإن التعبير به أشد صراحة، وهو إلىٰ الذهن أسرع(٣)، وهو لليهود الذين جاء الكلام في ذمِّهم بعد افتضاح حالهم أوجع، وحرف العطف (ثم) يدل علىٰ أن عدم الحمل لم يكن مقارِنًا لوقت التحميل، وكأنه يحذِّر من التراخي في حمل الأمانة مع مرور الوقت، ثم جاء تمثيلهم بالحمار الذي «يوصف بالذِّلة والهوان، كما يوصف بالجهل والبلادة»(٤)، وكلها صفات متحققة في اليهود عمومًا، لكنها ألصق بهم بعد ما مضت الإشارة إليه في «ملابسات النزول» -خصوصًا-، ويمكن أن يضاف هنا أن الحمار زاد خبثًا في تصور كل مسلم؛ إذ حرمت الحمر الأهلية في خيبر كما مضىٰ في «ملابسات النزول» كذلك(٥)، و(ال) في الحمار للعهد الذهني عند البلاغيين(٦)؛ فهي أَولىٰ من النكرة؛

(١) التحرير والتنوير: (٣/ ١٤٨)، وهناك من يرىٰ أن لها أصلًا عربيًّا من أوريت الزناد، انظر علىٰ سبيل المثال: تهذيب اللغة (ورىٰ)، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (٢/ ٧٣٤)، وعلىٰ هذا القول يظل الذم لهم ظاهرا أيضًا.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٣/ ١٤٨).

(٣) انظر: معاني النحو: (١/ ٨٥).

(٤) الزهر والأكم في الأمثال والحكم: (٣/ ١٤)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ح م ر)، وتفسير الآلوسي: (٢٨/ ٩٥).

(٥) انظر ما سبق: (٢١٠).

(٦) تفسير الآلوسي: (٢٨/ ٩٥)، وقيدته بالبلاغيين لأن لام العهد الذهني عندهم هي المشار بها للحقيقة في ضمن فرد مبهم، وهي تختلف عن لام العهد الذهني عند النحاة، انظر: حاشية الدسوقي: (١/ ٣٢١).

لإحضارها الجنس بصفته التي عُرف بها، فتكون أسرع في الذم وأصرح[(١)].

ثم إن الحديث عنهم بأسلوب الغَيبة يناسب غَيبتهم وقد تَركوا المدينة[(٢)]، ولم تكتفِ الآيةُ بتمثيلهم بالحمار، بل قيد بحالة حمله أسفارًا، والأسفار جمع سِفْر، و«السفر: الكتاب الذي يُسفر عن الحقائق»[(٣)]؛ فالتعبير بالأسفار أشد في ذمهم؛ إذ هي كتب مُسفِرة عن الحقائق، مع ما في التنكير من التفخيم[(٤)] الذي يزيد الذم، ولكنهم مع كل هذا كمثل الحمار يحمل أسفارًا، فلا يرىٰ إلا ثقلها علىٰ ظهره؛ فكان هذا التشبيه التمثيلي بما فيه من تقريب حالهم المعقولة بحال محسوسة مشاهدة معروفة في غاية التقبيح لحالهم التي صاروا إليها، وفيه مع ذلك غاية التحذير لغيرهم من أن يُسلَك سبيلهم، ففيه نظرٌ إلىٰ التعريض الذي ارتبط بآخر السورة.

ثم قال تعالىٰ في مزيد من البيان لقبح فعالهم، والتحذير للمؤمنين من حالهم: ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بما في (بئس) مِن إظهار الذم لهم، وبما في الإظهار في مقام الإضمار بالاسم الموصول من إظهارِ اشتهارهم بهذه الصلة، والدلالةِ علىٰ أن مَن لم يتحمل الأمانة مكذِّب بآيات الله، وفي هذا تحذير شديد وحثٌّ علىٰ أخذ الكتاب بقوة وعدم التفريط في الأمانة، وكل هذا متناسب أتم التناسب مع مقصود السورة وسبب نزولها.

ثم قال عز مِن قائل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فأظهر في مقام الإضمار،

---

(١) انظر: المطول: (١/ ٢٦٨- ٢٦٩)، ومعاني النحو: (١/ ١١٧-١١٨).

(٢) خلافًا لما جاء في سورة البقرة حيث نودوا نداء مباشرًا؛ إذ كانوا حاضرين مستقرين في المدينة.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (س ف ر)، وانظر: الفروق اللغوية: (٣٢٦).

(٤) ينظر: تفسير الآلوسي: (٢٨/ ٩٥).

فصارت الجملة غير مفتقرة إلىٰ ما قبلها، مصرِّحةً بلفظ الجلالة، وفيه من التحذير من جلاله -سبحانه- ما لا يخفىٰ، وقال: ﴿لَا﴾ فأتىٰ بالأداة الأعم الأشمل(١)، ثم أشعر بعلة ضلالهم وهي الظلم، والظلم: «وضع الشيء غير موضعه تعدِّيًا»(٢)، ومَن جاءه دين الله ووحيه فلم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فلا شك أنه قد ظلم، ثم لاحِظ دخول النفي علىٰ المضارع؛ إذ به عم النفي الأزمنة كلها(٣)؛ فالله لا يهديهم أبدًا، ومع ذلك فإنه لم يعلق الحكم بالظالمين، وإنما قال: ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فجعل هؤلاء القوم راسخين في هذا الوصف(٤)، ونبَّه ضِمنًا أن من يقع منهم الظلم دون أن يرسخ فيهم لا ينالون هذا الوعيد.

ثم اقترب الخطاب من اليهود لكن دون أن يصل إلىٰ التصريح المباشر -فهُم أقل من ذلك بعد ما وقع ما وقع منهم في خيبر وغيرها- حيثُ أُمِرَ النبي ﷺ بالكلام معهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ وأُمر أن يناديهم بوصفٍ لم ينادَوا بمثله في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾، أي: «تَابُوا»(٥)، وجاء عند الراغب: «قال بعضهم: يَهُودُ في الأصل مِن قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكان اسمَ مدح، ثم صار

---

(١) انظر ما سيأتي قريبًا: (٢٣٩) هامش (٣).

(٢) مقاييس اللغة (ظ ل م).

(٣) انظر ما سيأتي قريبًا: (٢٣٩) هامش (٣).

(٤) نبَّه ابن عاشور غير مرة أن «إِجْرَاءَ الْوَصْفِ عَلَىٰ لَفْظِ قَوْمٍ يُومِئُ إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ سَجِيَّةٌ فِيهِمْ، وَمِنْ مُكَمِّلَاتِ قَوْمِيَّتِهِمْ، فَإِنَّ لِلْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ خَصَائِصَ تُمَيِّزُهَا وَتَشْتَهِرُ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]، وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ»، التحرير والتنوير: (٢/ ٨٩)، وانظر علىٰ سبيل المثال: التحرير والتنوير: (٦/ ٢٦٧)، (٩/ ٨٢).

(٥) تفسير الطبري: (٢/ ٣٢).

بعد نسخ شريعتهم لازمًا لهم وإن لم يكن فيه معنىٰ المدح...»[(١)]، فعلىٰ هذا الوجه في التسمية يكون في الإتيان به في هذه الآية تعريضٌ بهم[(٢)] حيث لم يلتزموا بما ادَّعوه من توبة وإنابة، بل كان حالهم وقت نزول الآيات علىٰ الضد من ذلك.

ثم قال لهم سبحانه: ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾ فجاء الرد علىٰ دعواهم ولايةَ الله كاشفًا بطلانها أشد الكشف بما يتناسب مع حالهم التي انكشفت والتي سبقت الإشارة إليها مرارًا؛ فقد جعلت دعواهم مجرد زعم، و«الزَّعْمُ: حكاية قول يكون مظِنَّة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كلِّ موضع ذُمَّ القائلون به»[(٣)]، بل علقت بأداة الشرط ﴿إِن﴾ فصوَّرت زعمهم الذي وقع في صورة ما لا يكون إلا علىٰ سبيل الفرض والتقدير، وكأن المعنىٰ: لم يبق لزعمكم واقع يؤيده، فحقُّه ألَّا يكون وأن يُقتلع من أصله[(٤)]، وقد جاء فعل الشرط ﴿زَعَمۡتُمۡ﴾ ماضيًا فأكَّد تحقق وقوع الزعم، ثم أتىٰ بالكلام مؤكِّدًا فقال: ﴿أَنَّكُمۡ﴾ مما يشعر بتمسكهم بقولهم الذي ما هو إلا مجرد زعم، وقال: ﴿أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ بما تحمله هذه النسبة من افتخارٍ باطل يكذِّبه جواب الشرط؛ فهو أشد في إظهار بُعدِ زعمهم ودعواهم عن الحقيقة، ثم تمَّم[(٥)] فأطنب بقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ فزاد في بيان بطلان دعواهم؛ إذ لم يكتفوا بأنهم أولياء لله، بل جعلوا ذلك كأنه أمر انفردوا

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (هود)، وانظر احتمالًا آخر في سبب تسميتهم في: التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٥).

(٢) وقد أشار إليه في الكشاف، وأوضحه الطيبي أتم إيضاح، انظر: الكشاف: (١٥/ ٤١١)، فتوح الغيب: (١٥/ ٤١١- ٤١٢)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ز ع م).

(٤) قارن بحاشية الشهاب: (٩/ ١٧٣- ١٧٤).

(٥) مضىٰ تعريف التتميم من قبل: (٢٢٧).

به عن سائر الناس(١)، وتعريف ﴿ٱلنَّاسِ﴾ للاستغراق الحقيقي(٢)؛ فكل الناس بلا استثناء -في زعمهم- دونهم في المنزلة، محرومون من ولاية الله لهم؛ فهذا أدل علىٰ شدة بطلان زعمهم، ثم علق الشرط بأمرهم أمرَ تعجيز لهم بأن يتمنوا أمرًا يعارض كلَّ آمالَهم وهو الموت -الذي فروا منه في خيبر وأثبتوا أنهم أقلُّ مِن أن يعرِّضوا أنفسَهم لخطر مواجهته-، وفي التعبير بـ(إنْ) في قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ تشكيكٌ في صدقهم كما لا يخفىٰ، كيف وما نزلت السورة إلا وقد ظهر كذبهم وخداعهم؟!

ثم قال تعالىٰ مؤكِّدًا لِما سبق وزيادةً في كشف حالهم البئيسة وأفعالهم الخسيسة: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولا شك أن افتضاح حالهم بعد خيبر يناسبه عموم الأزمان الذي تختلف به (لا) عن (لن)(٣)، والتعبير بالمضارع جعل النفي متجددًا، كيف لا وأفعالهم السيئة متجددة متكررة؟! وجاء الإطناب بالتتميم(٤) في قوله: ﴿أَبَدًۢا﴾ فزاد الجزم بنفي وقوع ذلك منهم،

(١) انظر المفصل في تفسير القرآن: (١٩٥٦).

(٢) المفصل في تفسير القرآن: (١٩٥٦).

(٣) انظر التفريق بينهما مفصلًا في: معاني النحو: (٣/ ٣٦٨)، مع ملاحظة وجود فروق أخرىٰ لم أشأ الإشارة إليها لطول الخلاف فيها، وليس المقام مقام تحريرها، كما أن هذه الآية مع التي قبلها تشبه آيتي سورة البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾، لكن المقارنة بينها تُخرج البحث عن مقصوده، وهذا ليس الموضع الوحيد في السورة الذي يحتاج إلىٰ مقارنة، وستأتي الإشارة في توصيات البحث إلىٰ حاجة آيات المتشابه اللفظي في سورة الجمعة إلىٰ دراسة مستقلة بالنظر إلىٰ ملابسات النزول.

(٤) مضىٰ تعريف التتميم من قبل: (٢٢٧).

كما أن الباء في ﴿بِمَا﴾ بدلالتها علىٰ السببية أظهرت المانع الحقيقي لهم من ذلك التمني، وهو أفعالهم التي ذاعت وفشت ودلَّت علىٰ شدة خبثهم، ثم إن الاسم الموصول (ما) في قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما فيه من إبهام وشمول يذكِّرُ -في هذه السورة خصوصًا- بأحداث سابقة كثيرة ظاهرةٍ وخفية أساءوا فيها أيّما إساءةٍ، فصار تمنِّي الموت معها غير متصور منهم أصلًا، وكأن استعارة التقديم للعمل[(١)] زاد من تصويره محسوسًا مشاهَدًا، مع بيانه لعلة كرههم الموت؛ فقد قدموا لما بعد موتهم ما لا يمكن أن يتمنوا لقاءه، كما أن التعبير عنهم بالأيدي علىٰ طريقة المجاز المرسَل الذي عَلاقته الجزئية[(٢)]؛ لأن الأيدي هي أكثر الجوارح عملاً - مناسبٌ في هذا السياق للتذكير بتحريفات كتبوها بأيديهم، وبمحاولات متعددة اقترفتها تلك الأيدي لقتل رسول الله ﷺ[(٣)]، وجاء جمع (الأيدي) مناسبًا للحديث عن الجماعة، ولعله مع ذلك يشير إلىٰ تعاضد تلك الأيدي علىٰ المكر والكيد.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، ففي ذكر لفظ الجلالة إظهار في مقام الإضمار، وبه صارت الجملة غيرَ مفتقرة إلىٰ ما قبلها مصرِّحةً بلفظ الجلالة، وفيه من التحذير من جلاله -سبحانه- ما لا يخفىٰ، ثم أخبر عن نفسه -سبحانه- بأنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في صيغة (فَعيل) مِن الدلالة علىٰ سَعة العلم، وبما في العِلم من التعلق بالأمور الظاهرة؛ خلافًا للخِبْرة المتعلقة بالأمور الخفية[(٤)]، وهو عليم خبير سبحانه، لكن الحديث هنا عن قوم ظهَر ظلمُهم، بل قد غَدَوا مثَلًا يُضرب، فكان

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٨).

(٢) يقارن بالتحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٨) حيث لم يربط بملابسات النزول.

(٣) حدث ذلك أكثر من مرة، انظر علىٰ سبيل المثال: صحيح البخاري: (٣١٦٩)، وصحيح مسلم (٤٥) - (٢١٩٠)، وسيرة ابن هشام: (٣/ ٢١٠)، ٣٦٧).

(٤) انظر: المقصد الأسنىٰ: (١٠٣)، والفروق اللغوية: (١٠٨).

اسم (العليم) بالمقام أنسب، ثم علَّق العلم بالظالمين، فأظهر في مقام الإضمار، وأكَّد هذه الصفة الظاهرة فيهم والتي ذُكرت في الآية الخامسة قريبًا، وكأن في هذا التكرار والإظهار تحذيرًا من الظلم الذي يدخل فيه الانصراف عن الخُطبة وترْكِ الرسول ﷺ قائمًا يخطب؛ إذ الظلم وضعُ الشي في غير موضعه تعدِّيًا[(١)].

ثم أمر النبي ﷺ بالكلام معهم ولم يخاطَبوا مباشرةً -للنُّكتة التي سبقت قريبًا في الآية الخامسة- فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾، لكن أسلوب الحديث معهم مِن قِبلِ النبي ﷺ كان إنشاءً طلبيًّا في الآية السابقة، وجاء في هذه الآية خبرًا مؤكدًا؛ فبعد أن أمروا هناك بتمني الموت فلم يستجيبوا -وأنَّىٰ لهم الاستجابة؟!- أُخبروا هنا بأن هذا الذي رفضوا تمنِّيه لابد أن يقع، فقال تعالىٰ مُعلِّمًا نبيَّه ﷺ ما يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾، وهي حقيقةٌ يؤمن بها اليهود وغيرهم، لكنها أكِّدت بـ(إنَّ) والجملةِ الاسمية تنزيلًا لهم منزلةَ المنكِرين؛ إذ تصرفاتهم تشبه تصرفات المنكرين، وفيه مزيد لومٍ لهم إذ غابت عنهم البدَهيَّات، مع أنهم الذين حمِّلوا التوراة، وقد أظهر الموت في مقام الإضمار لأهميته، وهو الذي يشغل ذهنهم ويفرون منه، مع أن هذا الإظهار جعل الجملة مستقلة تصلح للاستشهاد بها وحدها، كما قُدِّم ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ كذلك تعجيلًا لهم بما يخيفهم، ثم تمَّم الكلام وأطنب[(٢)] بوصف الموت بأنه ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾؛ فجاء وصفًا مناسبًا لواقعهم بما في ﴿ٱلَّذِى﴾ من الخصوصية والتحديد اللَّذيْن يشعران أن الموت ماثِلٌ أمام أعينهم؛ مما يدل علىٰ شدة جزعهم وتكالبهم علىٰ الدنيا، وبما في المضارع من الدلالة علىٰ تَكرار ذلك منهم، وقد كانوا -كما تشهد أحداث السيرة النبوية- يفرُّون من الموت مرةً بعد أخرىٰ في كل حادثة يُنازلون فيها المسلمين، مع ما في الموصول

(١) مضىٰ توثيقه قريبًا: (٢٣٧).

(٢) مضىٰ تعريف التتميم من قبل: (٢٢٧).

من تنبيههم علىٰ خطئهم في فرارهم(١)، وفي قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ جاءت الفاء فربطت ملاقاةَ الموت بالفرار منه كما يربط الشرط وجزاؤه(٢)، وفيها مع ذلك إشارة إلىٰ سرعة لحاق الموت بهم(٣)، وتكررت (إنَّ) فزادت الأمر توكيدًا، وكأن كل هذه المؤكِّدات تُشعر بشدة حرص اليهود علىٰ الحياة حتىٰ نزَّلوا منزلةً بعيدة في الإنكار احتاجوا معها إلىٰ كل هذه المؤكِّدات.

ومِن العجيب في الآية هذا التصوير للموت الذي سيلقونه عن طريق الاستعارة التمثيلية، فقد شبَّهت حالتهم مع الموت بمن يهرب من شخص فإذا به يلاقيه أمامه، وكأنهم في عالم أوهامهم لا يرون الموت ويظنون أنهم قادرون علىٰ الإفلات منه، فتأتي الآية لتريهم الموت في صورة حيَّة محسوسة، فهُم في حرصهم علىٰ البُعد عن أسباب الموت رغم أن الموت سيصيبهم ولابد، وقد استعير الفرار لشدة الحذر(٤) فأشعر بالمباعدة بسرعة(٥)، وجاء الفعل مضارعًا فدل علىٰ التكرار، وقد يلمح في استعارة الملاقاة هنا معنىٰ المفاجأة(٦)، وهذا يناسب الغفلة التي استولت عليهم، فلم يعُدْ لقاء الموت متصورًا عندهم، ويلاحظ أنه عبر عن فرارهم بالفعل ﴿تَفِرُّونَ﴾، وعن ملاقاة الموت لهم بالاسم ﴿مُلَٰقِيكُمۡ﴾ فإن كان فرارهم متكررًا إلا أن الموت ثابت لا مناص منه ولا مَحيد عنه.

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٩).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي: (٩/ ١٧٤)، حاشية الشهاب: الموضع نفسه.

(٤) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٩).

(٥) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فرر – فرفر).

(٦) لأن: الملاقاة مقابلة الشيء، ومصادفته معًا، وقد تطلق علىٰ أحد المعنيين دون الآخر، مفردات ألفاظ القرآن (لقىٰ).

وبعد هذا التخويف المناسب لهذه القلوب الغافلة الفارَّة من الموت قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ﴾ فزاد الأمر تهويلًا ﴿تُرَدُّونَ﴾ فأشعر بناء الفعل لِما لم يسمَّ فاعله إلىٰ أن الذي سيردهم معلوم لا يشاركه في ذلك الرد أحد، ولا يدفع أمره مخلوق، وأن الأمر فوق طاقتهم واختياره وأنهم في تلك الحالة مسيرون لا مخيرون، فلِمَ الفرارُ إذن؟!

و﴿إِلَىٰ﴾ بدلالتها علىٰ الانتهاء تشعر أن فرارهم المتكرر لم يكن له معنىٰ، بل كان عبثًا؛ إذ لابد لهم من هذه النهاية، ولا يخفىٰ ما في التعبير بـ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ من الإشعار أن كل ما فعلوه مع سيد ولد آدم ﷺ سرًّا وجهرًا لا يخفىٰ علىٰ من سيردون إليه، ثم بيَّن سبحانه ما سيحصل لهم عند لقاء عالِم الغيب والشهادة بيانًا متناسبًا مع كل ما سبق من تخويف فقال: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما في الفاء من الدلالة علىٰ سرعة وقوع الأمر، وما في الإنباء من الإشعار بعِظم الخبر[1]، وأيُّ أمر أعظم من تحديد المصير الأخير؟! وبما في: (ما) من الدلالة علىٰ الشمول لأعمالهم كلها، ودخول ﴿كُنتُمْ﴾ من الدلالة علىٰ الرسوخ في هذه الأعمال، خاصة مع الفعل المضارع ﴿تَعْمَلُونَ﴾ المفيد للتكرار المنبئ عن الكثرة، فلخص كل تاريخهم البغيض الطويل، تلخيصًا يشعرهم بمرارة ذلك اللقاء.

وهكذا ختم الكلام مع اليهود بتذكيرهم بنهاية الطريق الذي اختاروه بعد أن حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها، وفي هذا الكلام الذي خوطب به اليهود وقد بَعُدُوا عن المدينة أكبَرُ عظة للمسلمين كي لا يسلكوا نفس الطريق، بل فيه تهيئة لهم لتلقي أوامر الله المتعلقة بيوم الجمعة، وهنا توجَّه الخطاب إليهم كما سيتبين بالمطلب الرابع.

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن: (نبأ).

المطلب الرابع:
أحكام صلاة الجمعة، والتنبيه على ما وقع فيها

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١﴾.

هنا بدأ الشروع في المقصود من تنبيه الصحابة علىٰ ما حدث من خطأ كان سببًا لنزول آخر السورة، و«هَذِهِ الْآيَاتُ هِيَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّورَةِ، وَمَا قَبْلَهَا مُقَدِّمَاتٌ وَتَوْطِئَاتٌ لَهَا»[1]، ومع ذلك فإن الآيتين الأُوليين من هذا المقطع بمثابة تمهيد للآية الأخيرة، وقد اجتمع في هذا التمهيد ثلاثة أمور هي: تعظيم أمر صلاة الجمعة وتفخيمها، والحث علىٰ الاهتمام بها، والإشارة إلىٰ تخفيفها علىٰ المكلَّفين ويُسرها، وكلُّ الأمور الثلاثة مناسبٌ للعتاب علىٰ الحادثة التي وقعت، فالخَلل وقع في أمرٍ يستحق التعظيم فلا يليق التهاون به، وقد حثَّ الله المؤمنين علىٰ العناية به، وهذا يضاد ما حدث من انصراف، وهو مع عظمته والحث عليه ميسَّرٌ ليس فيه مشقة علىٰ العباد، فالتقصير فيه أحق بالعتاب، مع ملاحظة أن هذه الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه العبادة العظيمة تناسب العهد المدني بل هي من خصائصه الكبرىٰ، وقد ظهر هذا كله في نظم الآيتين التاسعة والعاشرة جليًّا؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾.

(١) التحرير: (٢٨/ ٢١٩)، وانظر: نظم الدرر: (٧/ ٥٩٩).

فقد بدأ بالنداء، وهو طلب للإقبال، مما يشعر بأهمية ما بعده، وجاء بالأداة التي هي أمُّ الباب (يا) مما يمكن معه دخول كل من يتأتىٰ خطابه ويصلح نداؤه؛ فيدخل الطائعون المقيمون علىٰ الطاعة الذين لم ينصرفوا عن الخطبة تنشيطًا لهم وحثًّا علىٰ الثبات، ويدخل الذين انصرفوا إيقاظًا لهم وحثًّا علىٰ التدارك، ويدخل غيرهم من المؤمنين علىٰ اختلاف أحوالهم[١]، «وعلىٰ القول المشهور[٢] أنها للبعيد فإنه يزيد من إظهار عظمة المنادي -سبحانه-، وعظمةِ ما نودي لأجله[٣]، مع ما قد يكون فيه من حثٍّ علىٰ الاستجابة؛ إذ المخاطَبون بعيدون يحتاجون إلىٰ التزكّي ليحصل لهم القرب[٤]، كما أنَّ في (أيُّها) إبهامًا مشوِّقًا لما بعدها، ومرسِّخًا له بعد البيان، وقد جاء الإيضاح بالصفة التي تستلزم الامتثال -وهي الإيمان-، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بصلته التي جاءت فعلًا ماضيًا يشعر بمجرد وقوع الحدث، فيناسب هذا الخطاب العام، بخلاف التعبير بالوصف فإنه يدل علىٰ التمكن في الإيمان، مع أن في الصلة كذلك تعليلًا للأمر بالسعي وهو الإيمان، وهو هنا كالمقابل للصلتين السابقتين: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ و﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾[٥].

ثم قال -سبحانه-: ﴿إِذَا﴾ مما يدل أن هذا الأمر متكرر الحدوث، وهذا متسقٌّ مع ما مر من عمومات تُشعر بعموم هذا التكليف، فلابد من امتثال كل من يشمله الخطاب في جميع الأحوال، وقد بني الفعل للمفعول في قوله: ﴿نُودِيَ﴾ فعمَّ

(١) انظر في هذا: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: (١٥٩).

(٢) انظر في ترجيح هذا القول: الأدوات البلاغية في القرآن الكريم: (٨٤ فما بعدها).

(٣) انظر المرجع نفسه: (٩٧، ١١٣).

(٤) ينظر: نظم الدرر: (٧/ ٥٩٩).

(٥) ينظر: فتوح الغيب: (١٥/ ٤١١).

كل منادٍ[(١)]، وهذا فيه إشارة إلىٰ أن شأن مَن آمن أن يجيب المنادي للصلاة بغضِّ النظر عن ذات المنادي؛ إذ الصلاة قد اكتسبت مكانتها من ذاتها؛ لأنها صلة بين العبد وربه، والنداء المقصود في الآية هو النداء عند قعود الإمام للخُطبة[(٢)]، وفي إدخال الخطبة في مسمىٰ الصلاة إشارة إلىٰ أنها بديلة عن الركعتين اللتين تنقص بهما الجمعة عن الظهر[(٣)]، وهو يعظم من أمر الخطبة بلا شك، وفيه -أيضًا- إشعار بأن انفضاضهم الآتي ذِكرُه في الآية الأخيرة من السورة كان انصرافًا عما هو في حُكم الصلاة، وقد جاءت اللام في ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾ للتعليل[(٤)]؛ فالنداء سببه حضور وقت الصلاة، والنداء لا يكون إلا لعظيمٍ، ففيه إشارة إلىٰ تعظيم هذه الصلاة، والإتيان بـ: ﴿مِن﴾ يُشعر بأن الصلاة جزء من اليوم لا تستغرقه، وهذا تخفيف وتيسير لهذه العبادة؛ إذ لا تستغرق اليوم كله[(٥)].

و﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ يُذَكِّرُ بالنظر إلىٰ أصل التسمية إلىٰ معانٍ متعددة عظيمة تعظم من شأن هذه الصلاة ولا شك، وقد لخص جملةً منها ابنُ كثير فقال: «إِنَّمَا سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً؛ لِأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجَمْعِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً بِالْمَعَابِدِ الْكِبَارِ، وَفِيهِ كَمُلَ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ السَّادِسُ من الستة التي خلق الله فيها السموات وَالْأَرْضَ، وَفِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا

---

(١) نظم الدرر: (٧/ ٥٩٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٣٧)، زاد المسير: (٨/ ٢٢

(٣) إمعان النظر في نظام الآي والسور: (١٦٢-١٦٣)، وانظر: المغني، لابن قدامة: (٢/ ٢٢٥).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٦).

(٥) علىٰ القول بأن (من) تبعيضية، وقيل: إنها بمعنىٰ (في)، ينظر: نظم الدرر: (٧/ ٥٩٩)، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٦).

إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ كَمَا ثَبَتَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ»(١).

وقد لَمَح البقاعي من ذكر ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ تناسبًا مع ما سبق من ذكر اليهود فقال: «أي اليوم الذي عرض علىٰ من قبلنا فأَبَوْهُ فكانوا كمَثَل الحمار يحمل أسفارًا، وادَّخره الله لنا ووفقنا لقبوله»(٢)، والتعريف بالألف واللام في ﴿ٱلۡجُمُعَةِ﴾ للعهد العلمي؛ مما يُشعر أنهم كانوا يعرفون الجمعة بهذا الاسم قبل نزول الآيات(٣)، وقوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ جواب الشرط وهو المقصود بالكلام، والأمر بالسعي -علىٰ الخلاف في المراد به هنا(٤)- مُشعِر بالحث علىٰ الجدِّ والاجتهاد في إجابة النداء لهذه العبادة العظيمة، وقد قال قتادة في تفسير السعي: «أن تسعىٰ بقلبك وعملك»(٥)، وفي ﴿إِلَىٰ﴾ بما فيها من الدلالة علىٰ الانتهاء إشارة إلىٰ الهدف والغاية وهي الوصول إلىٰ ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، وفي قوله: ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ إظهار في مقام الإضمار نبَّه إلىٰ مقصود صلاة الجمعة، وأهم ما فيها وهو الذكر، ومع الخلاف في تحديد المراد بالذِّكر هنا هل هو الصلاة أم الخطبة(٦) فإنه «لاَ شَكَّ أَنَّ الإِمَامَ إِذَا خَرَجَ ابْتَدَأَ بِالْخُطْبَةِ فَكَانَتِ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٧/ ٢٧٤- ٢٧٥)، وانظر: زاد المسير: (٨/ ٢٢- ٢٣).

(٢) نظم الدرر: (٧/ ٥٩٩)، ولعله اقتبسه من إشارة الزمخشري الموجزة إلىٰ التعريض باليهود في ذكر الجمعة، ينظر: الكشاف: (١٥/ ٤١١).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢١٩-٢٢٠)، خلافًا للمفصل في تفسير القرآن: (١٩٥٨) حيث جعلها للاستغراق العرفي، وانظر في مشروعية الجمعة قبل نزول الآيات بل وقبل نزول السورة ما سبق: (٢٠٩).

(٤) ينظر: زاد المسير: (٨/ ٢٣)، وقد قال الطبري: «وأصل السعي في هذا الموضع العمل»، تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٣٧).

(٥) تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٣٧).

(٦) زاد المسير: (٨/ ٢٣)، واقتصر الطبري علىٰ القول بأنها الخطبة، تفسير الطبري: (٢٢/ ٦٤٢).

الْخُطْبَةُ مِنَ الذِّكْرِ»[(١)]، وما أحسنَ وأخصر قولَ البقاعي هنا: «أي الخطبة والصلاة المذكِّرة بالمَلك الأعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك»[(٢)]! وإذا استحضرنا صفات الله المذكورة في مطلع السورة ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ عَظُم شأن الخطبة والصلاة في قلوبنا جدًّا.

ثم نصَّ علىٰ مسألةٍ مفهومة من الكلام السابق فقال: ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ إذ تركْ البيع مفهوم من السعي إلىٰ الصلاة، والتنصيص علىٰ ترك البيع لكثرة الانشغال به مع أن فيه نظرًا إلىٰ سبب نزول السورة[(٣)]، ولعل الأليق بمقام الحثِّ علىٰ الاهتمام بالجمعة قولُ من قال: إن تخصيصه «لِما فيه من إغراء؛ فالقدرة علىٰ ترك البيع عند النداء يجعل القدرة علىٰ غيره أيسر»[(٤)]، والتعبير بالفعل (ذَرُوا) دون (اتْرُكوا) يُشعر بقلة الاكتراث بهذا البيع المتروك؛ لأن ما يسعىٰ إليه المصلِّي أعظمُ بكثير، وعدم الاكتراث فيه جانبٌ قلبي يتناسب أشد المناسبة مع السعي الذي أساسه القلوب، وكِلا الأمرين يتعاضد في انصراف القلب عن كل شاغل عن هذه الصلاة العظمىٰ[(٥)].

والتعريف في ﴿ٱلۡبَيۡعَ﴾ يحتمل العهد العلمي، فهو مذكِّر بالبيع وما له من مكانة وحضور في القلوب، كما يحتمل استغراق الأفراد[(٦)]؛ فهو مُشعر بأن البيع بجميع

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٥- ٢٢٦).

(٢) نظم الدرر: (٧/ ٦٠٠)، وهو نظر لطيف منه إلىٰ حادثة الانصراف.

(٣) الكشاف: (١٥/ ٤١٧)، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٦).

(٤) غرائب الإعجاز: (٤٣٣).

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (وذر)، وقد لمح البقاعي نكتة أخرىٰ مع اعتماده علىٰ نفس المعنىٰ لـ: ﴿وَذَرُواْ﴾، انظر: نظم الدرر: (٧/ ٦٠١)، بينما يرىٰ د/ محمد حسن جبل أن (ذروا) بمعنىٰ (اتركوا) بلا فرق، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (١/ ٤٦٦- ٤٦٧).

(٦) اقتصر علىٰ الثاني في التفسير المفصل: (١٩٥٨).

أشكاله وأنواعه -ومهما كان في الظاهر مُربحًا- يظل دون مستوىٰ أن يكترث به إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، ولعل التشريك بالواو بين الأمرين: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ ﴿وَذَرُواْ﴾ يشعر أنهما مطلوبان معًا، فلا يكفي أن تسعىٰ ظاهرًا إلىٰ ذكر الله حتىٰ تذر بقلبك وقالبك البيع.

ثم زاد الأمر تفخيمًا بأن جاء الكلام علىٰ طريقة الاستئناف البياني -شبه كمال الاتصال-، وكأن سائلًا سأل: لماذا أسعىٰ إلىٰ ذكر الله وأذر البيع؟ فأجيب: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، وهذا يشعر بأن الكلام السابق يجعل النفوس المؤمنة تتطلع إلىٰ ما بعده، وترغب في معرفة علته، وقد افتتح الجواب باسم الإشارة الدال أن الخيرية لصلاة الجمعة ظاهرة يُشار إليها إشارةَ المحسوس، وأنها محل العناية، مع ما في إشارة البُعد من الإشعار بأن المأمور به في الآية له منزلة عالية لا يرتقي إليها كل أحد، وقوله: ﴿خَيۡرٞ﴾ اسم تفضيل، ولم يذكر المفضل، وكأنه أقل مِن أن يذكر، وزاد الإشعار بالفضل مع الامتنان فقال: ﴿لَّكُمۡ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بما تحمله ﴿إِن﴾ في هذا المقام من التشكيك يُشعر بأن هذه الخيرية خفيت علىٰ بعض المخاطَبين، وعلىٰ هذا يحمل تعريضًا بالمنصرفين وكأنهم لم يدركوا تلك الخيرية، والتعبير بالعلم دون المعرفة، يشعر أن تلك الخيرية مما لا يدرَك بمجرد المعرفة التي لا تكون إلا حضورية بدَهية، بل يحتاج إلىٰ علم يدرك بداهة أحيانًا، ويحصل بالاكتساب في أحيانٍ أخرىٰ(١)، مع ما في المضارع من الدلالة علىٰ التجدد التي قد تفيد هنا أن إدراك الخيرية يزداد ويتجدد بما يعلمه المسلم من فضائل هذه العبادة وما يؤديه منها، وقد حذف مفعول ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ فاحتمل التقديرَ وعدمَه(٢)، فعلىٰ التقدير يكون العتاب ألطفَ لكون العِلم الذي فاتهم هو ما يتعلق بفضل صلاة

(١) انظر: العلم والفقه والمعرفة فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم: (٢١- ٢٢).

(٢) تفسير البيضاوي: (٩/ ١٧٦).

الجمعة، بخلاف القول بعدم التقدير فإنه يكون من باب تنزيل المتعدي منزلة اللازم، فيكون العِلم مفقودًا منهم بالكلية، وهذا أشد في الذم؛ فلعل الأول بالنظر إلىٰ عموم أسلوب السورة وما فيه من التلطف بالعتاب أولىٰ(١).

ثم جاءت الآية التالية لتبين الحُكم بعد أن تُقضىٰ الصلاة، وفيه مزيد إشعار بيُسر هذه العبادة الجليلة؛ فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾، يقول ابن عاشور رحمه الله: «وَإِنَّمَا أُعْقِبَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَنَّ لَهُمْ سَعَةً مِنَ النَّهَارِ يَجْعَلُونَهَا لِلْبَيْعِ وَنَحْوِهِ مِنِ ابْتِغَاءِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ، فَلَا يَأْخُذُوا ذَلِكَ مِنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ»(٢)، وهذا يؤكِّد أن في الآية تيسيرًا علىٰ المكلَّفين، وهذا ما يدل عليه نظم الآية بجِلاء، بما في أداة الشرط ﴿إِذَا﴾ من الإشعار بتكرر الحدوث، وهذا يخفف من ثقل الصلاة والعجلة إلىٰ اللهو والتجارة، فالصلاة لابد أن تُقضىٰ ويُفرغ منها، وبما في بناء الفعل للمفعول من الإشعار بسهولة الأمر، وقوله: ﴿ٱلصَّلَوٰةُ﴾ لطيف للغاية؛ فقد كان الأمر بالسعي إلىٰ ذكر الله، لكن الذي قُضي وتم هو الصلاة فقط، أما الذِّكر فمستمرٌّ كما سيأتي الأمر به قريبًا، وأما قوله -سبحانه-: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ فظاهره الأمر المقتضي للوجوب، والمقصود به هنا الإباحة، لكن تصويرها في صورة الأمر أعطاها أهمية وقوة، والتعبير بالانتشار بما في مادته من الدلالة علىٰ التصرف(٣)، وما في صيغة (الافتعال) من الدلالة علىٰ الاجتهاد والتكلف(٤) = مزيدُ حثٍّ علىٰ هذا الأمر، مما يحقق توازنًا بين السعي

---

(١) قارن بحاشية الشهاب: (٩/ ١٦٩، ١٧٦).

(٢) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٧).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (نشر).

(٤) انظر: نظم الدرر: (٧/ ٦٠١).

إلىٰ الصلاة والانتشار في الأرض، وقد زاد هذا الحث قوة بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بما في ظرفيةِ حرف الجر (في) مِن الإشارة إلىٰ الدخول في أعماق الأرض، وبما في (ال) الاستغراقية من الشمول، وكل هذا يشعر بأن ما حَرُمَ وقت الصلاة قد أبيح وصار بإمكان الإنسان أن ينتفع به.

وأما قوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ فهو من الإطناب بعطف الخاص علىٰ العام، مما يشعر بأهمية هذا الخاص، خاصة وأن النفوس نُهيت عنه عند النداء نهيًا خاصًّا في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾؛ إذ المقصودُ بفضل الله هنا البيعُ نفسه، وهذا يُشعر بإحدىٰ فوائد صلاة الجمعة -والطاعة عمومًا-، وهو أن البركة تحل في البيع إذا امتثل العبد أمرَ الله، والإتيان بـ: (مِن) التبعيضية أرشدَ للقصد في الطلب، وهو متناسق تمامًا مع العتاب الآتي علىٰ الانفضاض لأجل اللهو والتجارة، ثم عطف علىٰ هذين الأمرين الدنيويين أمرًا دينيًّا قد يغفل عنه المسلم بعد الجمعة فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾، ففيه «احْتِرَاسٌ مِنَ الِانْصِبَابِ فِي أَشْغَالِ الدُّنْيَا انْصِبَابًا يُنْسِي ذِكْرَ اللهِ، أَوْ يَشْغَلُ عَنِ الصَّلَوَاتِ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ فِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ الله تَعَالَىٰ»[1]، وقد أطنب وتمَّم الأمر بالذِّكر بقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ مما يشعر بالحاجة الماسَّة إليه بحيث لا يكفي القليل منه، ولعله مع ذلك يشعر أن التقصير في هذا العمل قد يفضي إلىٰ ما ستأتي الإشارة إليه مما وقع من خلل، مع ما أفاده حرف الترجي (لعل) من جعل القلب بين الرجاء في القبولِ والخوف من الرد[2]، وما في الفلاح من الظفر بالمطلوب من مناسبةٍ للتجارة التي سيذكر الانفضاض إليها قريبًا.

---

(١) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٧).

(٢) باعتبار أن هذا الترجي ناظر إلىٰ المخاطب لا إلىٰ المتكلم، ينظر: نظم الدرر: (٧/ ٦٠٢).

وأخيرًا، وفي ختام السورة قال المولىٰ عز وجل في إشارة لطيفة يسيرة لما حدث في الجيل الأول والأكمل، وهي إشارة تحمل في طيَّاتها «الدعوة إلىٰ التعجب من أمرهم وإيمانهم»[1]، و«... أنَّ مَن فعل هذا ينبغي أن يصحح إيمانه»[2]، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾، وفي الآية من لطف العتاب، ما يأخذ بالألباب؛ فعدم المواجهة واستخدام أسلوب الغَيبة أليق هنا وأرق من المواجهة بالخطاب[3]، و(إذا) هنا قد تشعر أن رؤية التجارة أمر مجزوم بوقوعه؛ فلابد من وجود هذه الشواغل الدنيوية، لكن لا ينبغي الالتفات إليها في هذا المقام العظيم[4]، والرؤية هنا علىٰ القول أنها بصرية رغم أنهم لا يرون اللهو والتجارة من باب أنه عِلمٌ كالرؤية؛ إذ إنهم سمعوا الصوت فانفضوا إليه، وهو أشد في العتاب من جعلها عِلميَّة؛ لأنه يجعلهم من شدة رغبتهم في ذلك الغائب جعلوه كالحاضر، فكأنهم لم يمتثلوا للأمرين: السابق

---

(١) غرائب الإعجاز: (٤٣٣- ٤٣٤).

(٢) غرائب الإعجاز: (٤٣٤).

(٣) يرىٰ الطاهر ابن عاشور ﷺ أن هذا الالتفات يشعر بالإعراض عنهم توبيخًا، ينظر التحرير: (٢٨ / ٢٢٧-٢٢٨) ولعل ما ذكرته أليق لسببين: الأول: أن الخطأ كان عابرًا غير مقصود فيناسبه التلطف أكثر من التوبيخ، الثاني: أن أسلوب السورة قائم من مطلعها علىٰ التعريض وعدم المواجهة، والله أعلىٰ وأعلم.

(٤) في دلالة (إذا) هنا خلاف طويل ما بين جعلها ظرفًا للزمان المضي مجردًا عن معنىٰ الشرط؛ لأن هذا الانفضاض مضىٰ، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٩)، أو جعلها علىٰ بابها -وهو بعيد-، أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط: (٤٠٥- ٤٠٧)، وقد قيل: إن الحادثة تكررت، لكن لم يثبت ذلك بإسناد مرضي، انظر: تفسير ابن كثير -وأشار إلىٰ ضعفه بقوله: «زعم»-: (٧/ ٢٧٩)، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٨)، الاستيعاب في معرفة الأسباب -وهو الذي بين ضعفه-: (٣/ ٤٠٩- ٤١٠)، موسوعة التفسير بالمأثور: (٢١/ ١٤٩).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ ﴿وَذَرُواْ﴾ تمامَ الامتثال[1]، و﴿تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا﴾ نكرتان في سياق الشرط فتفيد العموم، وهذا العموم متناسب مع العتاب ومع (إذا)، وقد تقدمت التجارة على اللهو من باب التدلي[2] من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، وهو الأليق هنا؛ لأنه في بيان الخطأ، ولا شك أن الانفضاض إلىٰ اللهو أشد بُعدًا عن الصواب، «وَلَعَلَّ التَّقْسِيمَ الَّذِي أَفَادَتْهُ ﴿أَوۡ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوۡ لَهۡوًا﴾ تَقْسِيمٌ لِأَحْوَالِ الْمُنْفَضِّينَ؛ إِذْ يَكُونُ بَعْضُهُمْ مِنْ ذَوِي الْعَائِلَاتِ خَرَجُوا لِيَمْتَارُوا لِأَهْلِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ مِنَ الشَّبَابِ لَا هِمَّةَ لَهُمْ فِي الْمِيرَةِ وَلَكِنْ أَحَبُّوا حُضُورَ اللَّهو»[3]؛ فعليه يُعدُّ مِن المناسبة للحادثة التي نزلت فيها الآية.

وقوله: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ بما في مادته من الدلالة علىٰ الكسر والتفريق[4] يزيد من العتاب؛ إذ يذكِّر بالأثر السيئ لما صدَر، وهو كالمقابل ليوم الجمعة الدال علىٰ الاجتماع، كما يشعر بصيغة (الانفعال) بالمبالغة التي تزيد من العتاب؛ إذ تدل علىٰ الحرص الذي وقع منهم -رضوان الله عليهم أجمعين-[5]، كما أن حرف الجر أشعر بأن المُنفضَّ إليه كان هدفًا لا مجرد سببٍ، وهذا يزيد العتاب كذلك، أما تأنيث الضمير وعَوده علىٰ التجارة دون اللهو فلأن التجارة هي الأهم[6]، وهذا أخف في العتاب فيما يبدو، وقد صرح بعدها في قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾ بفداحة الخطأ،

(١) انظر الخلاف فيها في: حاشية الجمل: (٤/ ٣٤٥)، والتفسير المفصل: (١٩٥٩).

(٢) التدلي: أن يذكر الأعلىٰ أولًا ثم الأدنىٰ لنكتة، شرح عقود الجمان، للسيوطي: (٢/ ١٤٥)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: (٢/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٩).

(٤) انظر: نظم الدرر: (٧/ ٦٠٢)، والمعجم الاشتقاقي: (فضض - فضفض).

(٥) أما معنىٰ المطاوعة فالغالب عدم مراعاته في هذه اللفظة، انظر: التحرير: (٢٨/ ٢٢٩).

(٦) ينظر علىٰ سبيل المثال في النقاش في ذلك: الكشاف: (١٥/ ٤٢٠)، فتوح الغيب: (١٥/ ٤٢٠ -٤٢١)، التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٧).

فإذا استحضرنا ما في مطلع السورة مِن الامتنان ببعثته ﷺ فيهم، واستحضرنا مهامَّه التي كان يقوم به زاد العتاب إيلامًا، لكنه عتابٌ يمس القلوب مسًّا رقيقًا بكل ما اكتنفه وسبقه من بداية السورة(١).

وبعد وصف ما حدث بهذه الكلمات الموجزة المُحكَمة توجَّه الخطاب إليهم، لكنه صدر بـ﴿قُلْ﴾ وكأنهم في هذه اللحظة ليسوا أهلًا للخطاب المباشر وقد انفضوا عن ساحة الحضور، وقد أشعر التعبير عنهم بالغائب في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟﴾ بذلك، لكن العبارة هنا كانت أظهر، خاصة أنها تتناسب مع خطاب اليهود السابق في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾(٢)، والملاحظ أن ما أُمر النبي صلىٰ الله عليه بتبليغه لهم كان ظاهرًا معلومًا لديهم، لكنهم أُخبروا به لِما صدَر منهم مخالفًا لاعتقادهم من باب تنزيل العالِم منزلةَ الجاهل، ولم يأت الكلام مؤكَّدًا لأنه مجرد خطأ عابر لا يصل بهم إلىٰ أن ينزَّلوا منزلةَ المنكِر، وهو من لطيف العتاب لهم -أيضًا-، وفي قوله: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ بما فيها من إبهام الموصول وشموله إشعارٌ بخفاء أجر الجمعة وسعته(٣)، مع ما في الإضافة إلىٰ لفظ الجلالة من تعظيم ظاهر، وقد بينتِ الأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة عِظَمَ فضل هذا اليوم عمومًا، والخطبة والصلاة -خصوصًا-(٤)، ورغم أن قوله -سبحانه-: ﴿خَيْرٌ﴾ بما فيه من الدلالة علىٰ التفضيل كافٍ في الدلالة علىٰ الخيرية إلا أن التصريح بالمفضول هنا في قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ زاد العتاب ونبَّه علىٰ الخطأ مرة أخرىٰ مع تغيير في ترتيب

(١) ومنهم من يراه تفظيعًا للموقف، انظر: التحرير والتنوير: (٢٨/ ٢٢٩)، ولكن التأمل في السورة كلها يجعله أقرب إلىٰ العتاب اللطيف مع ما فيه من تنبيه وإيلام، والله أعلم.

(٢) انظر ما سبق: (٢٤١).

(٣) انظر: غرائب الإعجاز: (٤٣٤).

(٤) ينظر ذلك مبسوطًا -علىٰ سبيل المثال- في: زاد المعاد: (١/ ٣٥٣).

الكلام، حيث قدَّم التجارة هناك لما سبق(١)، وأخرها هنا علىٰ أسلوب الترقي(٢)؛ إذ اللهو أقل شأنًا من التجارة وأبعد عن الوهم أن تكون له الخيرية(٣).

ثم ختمت الآية الكريمة، والسورة العظيمة بجملة جامعة نافعة، فقال ربنا: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فكان فيها حُسن اختتام بما في العطف الذي أشعر بإضافة معنىٰ جديد، والإظهار في مقام الإضمار الذي فخَّم الكلام وأعطاه استقلالًا عما قبله ليجري مجرىٰ الأمثال(٤)، مع التصريح بكونه -سبحانه-: ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ بما فيه تعليق من القلوب بالله حُسن اختتام مع كونه مناسبًا جدًّا لسبب نزول السورة -خصوصًا-، ولآيات السورة -عمومًا-؛ فخير الرازقين هو الذي ينبغي أن يُطلَب الرزق منه -دنيويًّا كان الرزق أو دينيًّا(٥)-، ولا يُلتفت إلىٰ غيره عندما يأتي العباد يوم الجمعة إلىٰ بيته، وخير الرازقين هو الذي عُرِّف في مطلع السورة في قوله: ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾، وخير الرازقين ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾، وهذا أعظم رزق رُزقته البشرية جمعاء، وخير الرازقين هو الذي ينبغي أن تسعىٰ القلوب إلىٰ مرضاته إذا سمعت النداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، والله أعلىٰ وأعلم.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

---

(١) انظر ما سبق: (٢٥٣).

(٢) مضىٰ تعريفه: (٢١٩).

(٣) وفي حاشية الشهاب (٩/ ١٧٧): «لأنه أقوىٰ مذمة فناسب تقديمه في مقام الذم»، ولا أراه صوابًا؛ إذ المقام ليس للذم، بل لبيان الفضل، مع أنه لو كان للذم لكان الأليق الترقي من المذموم إلىٰ الأشد ذمًّا، والله أعلم.

(٤) ينظر: غرائب الإعجاز: (٤٣٥).

(٥) ينظر: غرائب الإعجاز: (٤٣٤).

الخَاتِمَة

بهذا تم ما أردت كتابتَه في هذا البحث المتواضع، أسأل الله أن يجعله نافعًا لي، ولكل من يطلع عليه، وأحب أن أسجل بعض ما توصلت إليه من نتائج، وهي:

١/ وجود بعضِ عنايةٍ عند عدد من المفسرين وغيرهم بـ«ملابسات النزول»، لكن دون توظيف ظاهر لها لاستخراج النِّكات البلاغية -غالبًا-.

٢/ لم تَجِدْ «ملابساتُ النزول» عنايتها في التوجيه البلاغي لآيات القرآن الكريم، وهذا ظاهر للناظر في هذا البحث؛ فرغم جودة التحليلات البلاغية لسورة الجمعة في الكتب والدراسات السابقة -وقد نقلتُ عنها، وانتفعتُ كثيرًا بها- إلا أنها كانت في الغالب لا تلحظ هذا الجانب المهم مع ارتباطه الظاهر بمقتضىٰ الحال الذي هو أساس البلاغة.

٣/ إمكانية استخراج نكات جديدة لم يُشِر إليها السابقون، وإضافات لطيفة علىٰ ما ذكروه، وهذا ما يمثل -بفضل الله- الإضافة التي قدَّمها هذا البحث.

٤/ وجود حاجة ماسَّة إلىٰ دراسات مماثلة لسائر سور القرآن الكريم، مما يُثري البحثَ البلاغي القرآني ويجدده.

ومن هنا يمكن أن تُستنتج توصيات البحث، وهي:

١/ إقامة عدد من الدراسات علىٰ الكتب التي اهتمت بـ«ملابسات النزول»، وأذكر منها علىٰ سبيل المثال: «التحرير والتنوير» لابن عاشور، و«التفسير الحديث» لمحمد عزة دروزة.

٢/ ضرورة تكاتف أقسام السُّنة والسيرة والتفسير من جهة، والبلاغة من جهةٍ للخروج بأعمال علمية رَصينة تخدم هذا الجانب وتجليه، خاصة أن كثيرًا من السور طال نزولها وتنوعت ملابساتها وكثرت المرويات المتعلقة بها مما يحتاج إلىٰ تعاون بين تلك الأقسام وقسم البلاغة.

٣/ إقامة دراسات بلاغية لكل سورة من سور القرآن تبني تحليلها علىٰ «ملابسات النزول»، وهذا في الحقيقة فرع وتكميل لما ذُكر في النقطة السابقة.

٤/ الحاجة إلىٰ دراسة آيات المتشابه اللفظي في سورة الجمعة دراسةً تعتمد في توجيهها علىٰ «ملابسات النزول»[١].

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

(١) ينظر ما سبق: (٢٣٩) هامش (٣).

ثَبْتُ المَصادِرِ والمَراجِع

١ .الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف: ١٤٢٤هـ.

٢ .الأدوات البلاغية في القرآن الكريم، أد/ ظافر بن غرمان العمري، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.

٣ .الاستيعاب في معرفة الأسباب، سليم الهلالي - محمد آل نصر، دار ابن الجوزي: الدمام، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٥هـ.

٤ .الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥ .أسد الغابة، عز الدين بن الأثير، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦ .أسرار تقييد المسند بأدوات الشرط (إن - إذا - لو)، محمود موسىٰ إبراهيم حمدان، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر - كلية اللغة العربية - قسم البلاغة والنقد: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٧ .إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر - فرع القاهرة.

٨ .الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٥هـ.

٩ .إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله أسد سبحاني، دار عمار: الأردن - عمان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل - مطبوع مع حاشية الشهاب -، ناصر الدين البيضاوي، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١. البديع، ابن المعتز العباسي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: بيروت -لبنان.

١٣. البيان في عدِّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث: الكويت، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية - دون بيانات الطباعة.

١٥. تبصير الرحمن وتيسير المنان، علي المهايمي، عالَم الكتب، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦١. التبيان في البيان، الطيبي، تحقيق ودراسة: د/ عبد الستار حسين زموط، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٧. التحرير في أصول التفسير، د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان - دون بيانات الطباعة.

١٩. تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

٢٠. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

٢١. التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثاني: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٢٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار ابن الجوزي: الدمام، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣١هـ.

٢٤. تفسير المهايمي = تبصير الرحمن وتيسير المنان.

٥٢. تلخيص المفتاح، ضبطه وشرحه الأديب الكبير: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي: لبنان – بيروت .

٢٦. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ٢٠٠١م.

٢٧. الجامع الصحيح = صحيح البخاري، أبو عبد الله البخاري، خدمة: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار المنهاج: بيروت، دار طوق النجاة: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٩هـ.

٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د/ عبد الله التركي، دار عالم الكتب: الرياض، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٢٩. حاشية الجمل = الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.

٣٠. حاشية الدسوقي علىٰ مختصر المعاني – ضمن شروح التلخيص –، محمد الدسوقي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٣١. حاشية الشهاب = عناية القاضي وكفاية الراضي.

٣٢. حاشية مخلوف المنياوي علىٰ حلية اللب المصون للدمنهوري علىٰ منظومة الجوهر المكنون، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ – ١٩٨٣م.

٣٣. حلية اللب المصون، أحمد الدمنهوري، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٧هـ-١٩٨٣م.

٣٤. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق: د/ كوكب دياب، دار صادر: بيروت – لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٢٥– ٢٠٠٥م.

٣٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر: بيروت.

٣٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني: القاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة: ١٤١٣– ١٩٩٢ .

٣٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، دار الفكر للنشر والتوزيع.

٣٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة: بيروت – مكتبة المنار

الإسلامية: الكويت، الطبعة السابعة والعشرون: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٩. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الفكر: بيروت -لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٠. زهر الأكم في الأمثال والحكم، نور الدين اليوسي، تحقيق: د/ محمد حجي، د/ محمد الأخضر، الناشر: الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤٢. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان.

٤٣. السيرة النبوية الصحيحة، د/ أكرم ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان: الرياض، الطبعة السابعة: ١٤٣٤-٢٠١٣م.

٤٤. السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة، محمد إبراهيم شقرة، مكتبة المعارف، ١٤١٨هـ.

٤٥. شرح عقود الجمان في المعاني والبيان -بهامش شرح عقود الجمان للمرشدي-، جلال الدين السيوطي، البابي الحلبي، الطبعة الثانية: ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

٤٦. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث: القاهرة، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧٤. الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٨. علم تأريخ نزول آيات القرآن ومصادره، د/ أحمد خالد شكري، وأ/ عمران سميح نزال، جمعية المحافظة علىٰ القرآن الكريم: الأردن - عمان، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٩. العلم والفقه والمعرفة فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، د/ محمود موسىٰ حمدان، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٥١. عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين الخفاجي، ضبطه، وخرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٥٢. غرائب الإيجاز والنكات في مقامات أسباب النزول، د/ محمد إبراهيم شادي – دار اليقين: مصر – المنصورة، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٩ – ٢٠٠٨م.

٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة: بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٤. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين – حقق الجزء المتعلق بالبحث: د/ لطفي بن محمد الزُّغير، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٥٥. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر – الجمل –، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسىٰ البابي الحلبي.

٦٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية: لبنان، تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة: ١٤٢١ – ٢٠٠٠م.

٥٧. قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين، محمد بن علي الصامل، دار كنوز إشبيليا: الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٨هـ – ٢٠١٧م.

٥٨. الكشاف – مطبوع مع فتوح الغيب –، الزمخشري، تحقيق: مجموعة من الباحثين – حقق الجزء المتعلق بالبحث: د/ لطفي بن محمد الزُّغير، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٥٩. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٦٠. المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد العزيز بن محمد السالم، وأحمد بن صالح السديس، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ: ١٤٤١هـ – ٢٠١٩م.

٦١. معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: عمان – الأردن، الطبعة الأولىٰ: ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م.

٦٢. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د/ محمد حسن جبل، قدم لهذه الطبعة، وضبطها وعلق على بعض مسائلها: عبد الكريم محمد جبل، مركز المربي، الطبعة الرابعة: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، الاستشارات التربوية والتعليمية.

٦٣. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/ أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٤. المغني، ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٦٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار اللباب: تركيا، الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٦٦. مفاتيح للتعامل مع القرآن، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم: دمشق بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٦٧. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم: دمشق- الدار الشامية: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٨. المفصل في تفسير القرآن الكريم -تحقيق وتعليق على تفسير الجلالين-، فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.

٦٩. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٧٠. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله يوسف الجديع، مركز البحوث الإسلامية: ليدز - بريطانيا، توزيع مؤسسة الريان: بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧١. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي - قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٢. المكي والمدني -دراسة تأصيلية نقدية من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة الإسراء-، عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان: الدمام، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٣. المكي والمدني من السور والآيات من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس،

د/ محمد بن عبد العزيز الفالح، دار التدمرية: الرياض، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٧٤. ملاك التأويل، أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د/ محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية: بيروت: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٧٥. موسوعة التفسير بالمأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرف العلمي: أد/ مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي: جدة - دار ابن حزم: بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م.

٧٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت -لبنان، الطبعة الأولىٰ: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧٧. النظم الفني للقرآن، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب -دون أي معلومات لمكان وسنة الطباعة-.

٧٨. وحدة النسق في سورة الجمعة، د/ محمد أحمد الجمل، د/ محمد رضا الحوري، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١١م.

الموضوعات

مستخلص البحث ١٩٩

المقدمة ٢٠١

التمهيد ٢٠٣

«ملابسات النزول» لغة ٢٠٤

«ملابسات النزول» اصطلاحًا ٢٠٤

الدراسات السابقة ٢٠٥

المبحث الأول: ملابسات نزول سورة الجمعة ٢٠٧

أولًا: مدنية السورة ٢٠٧

ثانيًا: تأريخ نزول السورة ٢٠٨

ثالثًا: ترتيب نزول السورة بين السور ٢١١

رابعًا: سبب نزول السورة ٢١٢

المبحث الثاني: الأسرار البلاغية لسورة الجمعة في ضوء ملابسات نزولها ٢١٤

المطلب الأول: براعة الافتتاح ٢١٥

المطلب الثاني: الامتنانُ ببعثة سيد الأنام ﷺ ٢٢١

المطلب الثالث: التعريض بالكلام عن اليهود ٢٣٣

المطلب الرابع: أحكام صلاة الجمعة، والتنبيه على ما وقع فيها ٢٤٤

الخاتمة ٢٥٦

ثبت المصادر والمراجع ٢٥٨

الموضوعات ٢٦٥

مجلة تدبر

مجلة تدبر

رَفْعُ الوَهْمِ وَتَصْحِيحُ الفَهْمِ بِالفِعْلِ «حَسِبَ» وَتَصَارِيفِهِ فِي القُرْآنِ

د. خلود محمد أمين محمود الحواري

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات القرآنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

قدم للنشر في: ١٤٤١/١١/١٦
قبل للنشر في: ١٤٤١/١٢/٢٩
نشر في: ١٤٤٣/١/١

- حصلت على درجة الماجستير في التّفسير وعلوم القرآن من الجامعة الأردنيّة في عَمّان في الأردن بأطروحة (الجوانب البلاغيّة للجُموع القرآنيّة)
- حصلت على درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن من جامعة اليرموك في إربد في الأردن بأطروحة (أسلوبا التّأكيد والحذف من أساليب القرآن وفنونه البليغة في البرهان للزركشيّ، دراسة ونقد)

البريد الالكتروني: khulud5576@yahoo.com

بعض النتاج العلمي:

- تعدد أبنية المصادر في القرآن دراسة بلاغية سورة محمد (ﷺ) نموذجا.
- تنقيح القول في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.
- قصة زكريا ﵇ في القرآن (دراسة موضوعية).
- أقوال المفسرين في معنىٰ الاستثناء في آيتي هود ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ دراسة وتقويم.
- الانتصار للقرآن في الإعلام بين الواقع والمأمول (الفضائيات السعودية نموذجا).
- رفع الارتياب بتحقيق الجواب عن إسقاط ومدافعة آي الكتاب للرجم.
- بناء الشخصية المحسنة في القصص القرآني. يوسف ﵇ نموذجا
- محمد شحرور وقراءاته المعاصرة للقصص القرآني خلق آدم واصطفاؤه أنموذجًا. (عرض ونقد).

مُسْتَخْلَصُ البَحْث

قصدت الدّراسة إلىٰ استنباط أساليب القرآن وأدواته في رفع الوهم وتصحيح الفهم، ومعرفة دلالة (حسب) ودوره في ذلك في الاستعمال القرآني، ودراسة المفاهيم المرجوحة المبنية علىٰ حسبانٍ باطل ونظرٍ عقليٍّ قاصر توهمه أصحابه، وبيان دفعها وبطلانها تأصيلًا لسديد الفهم، وقائدًا لتقويم السلوك.

وقد بلغت ثلاثة عشر مفهومًا، من مهمات العقيدة والسلوك، في أربعة وثلاثين موضعًا بـ(حسب) وتصاريفه.

وسلكت الدّراسة لتحقيق ذلك المنهج الاستقرائي في تتبع آيات يستنبط منها أساليب تصحيح الفهم، وآيات فعل (حسب) القلبي وتصاريفه، ثم تصنيفها في مفهوم جامع ينتظمها، وكذلك تتبع آيات أخرىٰ تدفع الوهم ذاته، وتحقق الفهم بغير (حسب) وإثباتها في الهامش؛ بيانًا وإثراء، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل الشواهد، وتدبرها، وبيان صاحب الحسبان المتوهم، ومتعلقه، وجوابه.

وقد خلصت الدراسة إلىٰ نتائج أهمها:

- تنوع أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الوهم وتحقيق الفهم، وإزالة ما قد يشوش علىٰ الحقيقة أو يزين الباطل.

- أنّ (حسب) القلبي منقول من (حسب) الحسي، فكأن صاحب الحسبان أجرىٰ عملية حساب وتدقيق ونظر عقلي، أثمرت تصوره وحسبانه.

- إفادة (حسب) اعتقاد الرجحان مقتربًا من الجزم ومترددًا إلىٰ اليقين؛ فهو

يقين مبني علىٰ أمارات العلم والنظر، مشوب بالشك، يحكم فيه الحاسب لأحد النقيضين، من غير أن يخطر الآخر بباله.

- مراعاة الاستعمال القرآني تلك الدلالة الدقيقة للفعل (حسب) في التنبيه علىٰ أوهام تصورها أصحابها بعد نظر عقليٍّ فاسد وتأملٍ أعمىٰ، أفضىٰ بهم إلىٰ مفاهيم خاطئة، وتصورات باطلة، فكان (حسب) داعٍ إلىٰ تصحيح تلك المفاهيم الدعيّة علىٰ العلم والحساب الدقيق.

وانقدحت عنها توصيات أهمها: دراسة أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الأوهام وتصحيح الأفهام؛ دراسة شاملة محكمة في أطروحة علمية.

كلمات مفتاحية: حسب، تصحيح المفاهيم في القرآن، رفع الوهم.

Dispelling and Correcting Misconceptions by Using the Arabic Triliteral Verb "ḥasiba, to think" and its Different Tense-related Conjugations in the Quran

Prepared by:

Dr. Kholoud Muhammad Amin Mahmoud Al-Hawwari

Associate Professor of Tafsir and Quranic Sciences at the Department of Quranic Studies, College of Arts and Humanities, Taibah University, Al- Madinah Al-Munawwarah, the Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The aim of the study is to deduce the tools and methods employed by the Noble Quran in dispelling and correcting misconceptions, explore the semantic denotations of the Arabic triliteral verb "ḥasiba" (to think, assume)" and its role in the Quranic usage. The study also examines the impactful concepts based on false allegations and deviant perspectives adopted by some individuals and refutes them while providing a foundation for sound conceptions and a guideline for the rectification of behaviour. These misconceptions total thirteen ones about creed and behaviour, contained in fourteen places where the Arabic triliteral verb "ḥasiba" and its various conjugations are used.

The study used the inductive approach to dealing with the Quranic verses from which the tools and methods of correcting misconceptions can be derived in addition to the verses in which the Arabic triliteral verb "ḥasiba" and its conjugations are used and categorized them into a comprehensive systematic concept. The same approach is used for addressing other Quranic verses dispelling and correcting

same misconceptions without using the triliteral verb "ḥasiba", and those particular verses are detailed in the footnotes. The study used the analytical deductive approach for analyzing evidences and identifying those who hold misconceptions and their responses.

◆ **The study reached some findings as follows:**

- The Noble Quran used different tools and methods to refute and correct misconceptions and all that can confuse truth or normalize falsehoods.
- The verb "ḥasiba" is borrowed from its abstract meaning to a concrete one as if a holder of a misconception goes through a process of accounting and reasoning, which results in his perceptions and assumptions.

The verb "ḥasiba" connotes a dominant and quasi-certain belief. It denotes a belief that is based on knowledge and consideration but questionable. The assumer espouses one of the two extremes without taking the other into his account

- The Noble Quran uses carefully the nuanced denotation of the verb "|ḥasiba" to expose illusions by people who were involved in invalid reasoning and blind reflection, which led them to misconceptions and false beliefs. The usage of the verb "ḥasiba" is intended to correct these misconceptions that have nothing to do with proper knowledge and careful consideration.

The study concluded with some recommendations, the most important of which is that the methods and tools used by the Noble Quran for dispelling and correcting misconceptions should be incorporated into a thorough scholarly treatise.

Keywords: Hasiba - correcting the misconceptions in the Quran-dispelling illusions

المُقَدِّمَة

الحمد لله؛ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجًا، قيّمًا، هدىٰ للمتقين، منارًا يرشد السائرين إلىٰ صراطٍ مستقيم، ومحجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ الهادي الأمين؛ محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، ومن اهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم دعوات الكتاب الكريم وسمو أهدافه هداية الناس إلىٰ الطريق القويم، وإرشادهم إلىٰ ما فيه عصمتهم من الزيغ والزلل؛ حتىٰ يعبدوا الله علىٰ بصيرة، ومن وسائل ذلك تصحيح المفاهيم والتصورات، وترسيخ الثوابت في مجال الاعتقاد والسلوك علىٰ حد سواء، بدفع الأوهام التي قد تعرض للسائر في هذا الطريق، فتحيد به عنه، أو تنال غيره ممن يحيطون به فيحذرها، ويعصم من الوقوع فيها.

وقد تنوعت أساليب القرآن العظيم وأدواته في دفع الأوهام المرجوحة؛ المتحصلة دون سبب موضوع للعلم(١)، وتحقيق الأفهام الثاقبة؛ المبنية علىٰ صريح العلم وقوة الدليل، وإزالة ما قد يشوش علىٰ الحقيقة أو يزين الباطل، حيث رصد القرآن واقع هذه الظنون المرجوحة أو الأوهام؛ فأجاب عنها وأبطلها، فهي مفاهيم جلّاها القرآن كاشفًا لدائها، وصححها جوابًا كافيًا ودواءً شافيًا.

ومن تلك الأساليب استخدام الفعل (حسب) وتصاريفه؛ وهو من أفعال الرجحان، التي هي من أفعال القلوب، حيث نبه (حسب) علىٰ أوهام تصورها أصحابها، بعد نظرٍ عقليٍّ فاسد وتأملٍ أعمىٰ، حدا بهم إلىٰ اليقين، وتمكن في

(١) ينظر في تعريف الوهم: الكليات ص٩٣٤.

أنفسهم، مفضيًا بهم إلىٰ اعتقاد بطلان الحق وأحقية الباطل، فكانت (حسب) داعية إلىٰ تصحيح تلك المفاهيم الدعيّة علىٰ العلم والحساب الدقيق.

ومن هنا برزت أهمية الدراسة، في جمع تلك المفاهيم، ودراستها؛ ببيان صاحب الحسبان، ومتعلقه، وجوابه، وبيان التوجيهات الربانية في إبطاله وتسديد الفهم؛ طريقًا لتقويم السلوك، وبيان عظمة الكتاب الكريم، وإعجازه في شفائه للقلوب من داء الجهل والوهم.

◆ مشكلة الدراسة:

تتركز مشكلة الدراسة في السؤال التالي: كيف رفع القرآن الوهم وصحح الفهم بـ(حسب) وتصاريفه؟

ويتفرَّع عن هذا السؤال عدَّة أسئلة هي: ما أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الأوهام وتصحيح الأفهام التي يمكن استنباطها من السياق القرآني؟ ما معنىٰ (حسب)، وما دلالته علىٰ الترجيح؟ وما أثره في التنبيه علىٰ الوهم ودفعه وتصحيح الفهم في القرآن؟ وما المفاهيم المصححة بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن، وما أثر ذلك في بناء السلوك القويم؟

◆ أهداف الدراسة:

- استنباط ما يمكن أن يكون أسلوبًا للقرآن العظيم في رفع الأوهام وتصحيح الأفهام.

- معرفة دلالة حسب وأثره في رفع الوهم وتصحيح الفهم في الاستعمال القرآني.

- دراسة المفاهيم المرجوحة المبنية علىٰ حسبانٍ باطل ونظرٍ عقلي قاصر توهمه أصحابه، وبيان دفعها وبطلانها تأصيلًا لسديد الفهم وقائدًا لتقويم السلوك.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ من تناول أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الوهم وتحقيق الفهم، فضلًا عن دراسة اختصت بأسلوب استخدام (حسب)، وهو محل دراستي.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي؛ لتتبع آيات يستنبط منها أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الوهم وتحقيق الفهم، وتتبع آيات فعل (حسب) الذي هو من أفعال الرجحان، والذي يبرز دوره في تصحيح المفاهيم(١)، ثم تصنيفها في مفهوم جامع ينتظمها، وكذلك تتبع آيات أخرىٰ تردُّ الوهمَ ذاته وتحقق الفهم بغير (حسب)، وأثبته في الهامش بيانًا وإثراء.

ثم المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل الشواهد وتدبرها، وبيان صاحب الحسبان المتوهم، ومتعلقه، وجوابه، بالدليل والبرهان.

خطة البحث:

وقد طمح البحث إلىٰ بيان دور حسب وتصاريفه في رفع الوهم وتحقيق الفهم في القرآن **وفق المخطط الآتي:**

المبحث الأول: أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن، والتصحيح بـ (حسب).

المطلب الأول: أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن.

المطلب الثاني: تصحيح المفاهيم بـ(حسب) في القرآن.

(١) فاستبعدت تلك التي لا تمثل مفهومًا واضحًا أو تتعلق بحسبان للحدث لا للمفهوم؛ فخرج قوله تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾[الأحزاب: ٢٠]. وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

المبحث الثاني: المفاهيم المصححة بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن.

المفهوم الأول: تحقق الإيمان بلا تكليف، واستحقاق النصر والتمكين والجنة والنعيم بلا تمحيص.

المفهوم الثاني: مفازة المسيئين من العذاب، وإمهالهم خير لهم، وإمدادهم بالنعم إكرام ومزية.

المفهوم الثالث: منفعة الكافر بعمله ومجازته عليه.

المفهوم الرابع: وجود الأولياء ونصرتهم من دون الله.

المفهوم الخامس: انتفاء غاية الخلق واستبعاد البعث.

المفهوم السادس: انقطاع حياة الشهداء وفوات نعيمهم بعد الموت.

المفهوم السابع: كنز المال غنيمة لصاحبه، وطريق خلوده.

المفهوم الثامن: تماثل الضدين، والمساواة بين المحسن والمسيء.

المفهوم التاسع: خفاء الباطن على الله.

المفهوم العاشر: اعتبار الظاهر دون تنقيب.

المفهوم الحادي عشر: عدم مؤاخذة المتشبع بما لم يعط.

المفهوم الثاني عشر: تمحض المصائب للشر.

المفهوم الثالث عشر: ترك المؤاخذة بقول اللسان.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول:

أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن، والتصحيح بـ(حسب)

المطلب الأول:

أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن

تنوعت أساليب القرآن العظيم وأدواته في دفع الأوهام المرجوحة، وتحقيق الأفهام الثاقبة؛ المبنية علىٰ صريح العلم وقوة الدليل، وإزالة ما قد يشوش علىٰ الحقيقة أو يزين الباطل.

وقد نبه القرآن علىٰ هذه الظنون المرجوحة أو الأوهام، فأجاب عنها وأبطلها تحديدًا، بعد عرضها وبيانها، فهي مفاهيم جلّاها القرآن ثم صحّحها، وأصّلها معتقدات راسخة في هذا الدين.

ومما يتأمل من ذلك استخدام الأساليب الآتية:

أولًا: الاستفهام الإنكاري

تنبيهًا للوهم، ودعوة صريحة لتصحيح الفهم، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]. فأسهم الاستفهام في دفع وهم المشركين استواء الأعمال واتحاد مراتبها عند الله - كاستواء أعمالهم في السدانة والخدمة للبيت الحرام، مع الإيمان بالله والجهاد في سبيله - وحقق فهم علو شأن الإيمان، ونصرة هذا الدين، علىٰ تلك الأعمال.

وقوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠] فنبه الاستفهام علىٰ دفع منكرٍ اعتقده العرب؛ وهو أن الملائكة بنات الله، وأنهم اصطفوا بالبنين مكرمة علىٰ خالقهم قولًا إدًّا وبهتانا مبينا، تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

◆ ثانيًا: النفي والاستدراك بـ(لكن)

لينبه علىٰ الوهم المرجوح بما في حيز النفي، ويصحح الفهم استدراكًا بعد (لكن):

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فنبه النفي إلىٰ رفع المفهوم المتوهم المجزأ للبر، وتقييده بالقبلة التي تفاخر أهل الكتاب بتوليها، وأجيب استدراكًا بعد لكن بحقيقة البر الشاملة لأركان الدين، قال الزمخشري: «فقيل: ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال»(١).

وقوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦ – ٦٧]. فجاء النفي لبيان انتفاء تلبس هود ﷺ بأي شائبة من هذه الصفة الشنعاء التي اعتقدوا وجودها فيه؛ مع اتهامهم له بالكذب، وأجابهم بما يقطع أملًا في توهمها، قال أبو السعود: «﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه

(١) الكشاف، للزمخشري (١/ ٢١٨).

من كونه في الغاية القصوىٰ من الرشد، والأناة، والصدق، والأمانة، فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتمًا، كأنه قيل: ليس بي شيء مما نسبتموني إليه، ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق، ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك»[(١)].

◆ ثالثًا: (كلّا)

ردعًا موقظًا للمخطئ في توهمه بتصحيح الفهم بعد (كلّا)، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٧ – ٧٩]. فنبهت (كلّا) علىٰ أن إمهال الكافر استدراجٌ له، لا كما توهم أن إمداده بالمال والولد وسائر النعم دليل رضىٰ وإكرام. قال الزمخشري: «﴿كَلَّآ﴾ ردع وتنبيه علىٰ الخطأ، أي: هو مخطئ فيما يصوره لنفسه، ويتمناه؛ فليرتدع عنه»[(٢)].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٤ – ١٥]. حيث أسهمت (كلّا) في تحقيق الفهم، وشدّ عضد الكليم عليه السلام ثقة بالله، قال القرطبي: «أي: كلّا، لن يقتلوك. فهو ردع وزجر عن هذا الظن. وأمر بالثقة بالله تعالىٰ، أي: ثق بالله، وانزجر عن خوفك منهم؛ فإنهم لا يقدرون علىٰ قتلك»[(٣)].

◆ رابعًا: (بل)

إبطالًا وإضرابًا عما هو مظنون موهوم، وتحقيقًا للفهم بما هو في حيزها، من

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٣/ ٢٣٨).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٣/ ٤٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٩٢).

ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، حيث استخدمت في رد قولٍ منطوقٍ باللسان، لمن توهم بقلبه انقطاع حياة الشهداء، وفوات تنعمهم بعد الموت، بإثبات حياة الشهداء وتحليهم بخصائص الأحياء، والنعيم المقيم، وإن لم يدركها الأحياء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. فأتت (بل) إضرابًا عن الوهم المزعوم المنبه عليه، وهو قولهم في حق الملائكة أنهم بنات الله - وبنحو ذلك في حق عزير وعيسىٰ عليه السلام - قال ابن عطية: «فجاءت هذه الآية رادة علىٰ جميعهم، منبهة عليهم، ثم نزه تعالىٰ نفسه عن مقالة الكفرة، وأضرب عن مقالهم، ونص ما هو الأمر في نفسه بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، وهذه عبارة تشمل الملائكة وعزيرًا وعيسىٰ »(١).

خامسًا: (بلى) بمعنى بل:

وتأتي حرف جواب وإبطال - يبطل الموهوم، ويحقق الفهم - كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]. حيث أجاب يقينهم بنفي البعث بدلالة إقسامهم بما يقطع بحدوثه بـ(بلىٰ)، قال ابن عاشور: «وإنما أيقنوا بذلك، وأقسموا عليه؛ لأنهم توهموا أن سلامة الأجسام وعدم انخرامها شرط لقبولها الحياة، وقد رأوا أجساد الموتىٰ معرضة للاضمحلال، فكيف تعاد كما كانت..... و(بلىٰ) حرف لإبطال النفي في الخبر، وتأكيد حصول البعث بعد الموت، أي: بل يبعثهم الله»(٢).

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٧٩).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٤/ ١٥٣-١٥٤).

◆ سادسًا: (قل)

تنبيهًا لما بطل تصوره قبل (قل)، وتلقينًا للحجة في رده وتصحيح الفهم، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]. فتصدرت جواب ما زعمه اليهود والمنافقون من المفارقة بين النعمة والبلية؛ فعدُّوا الأولىٰ من الله ﷻ وأضافوا الثانية إلىٰ النبي ﷺ تطيرًا وتشاؤمًا[١]، قال أبو السعود: «فأمر النبي ﷺ بأن يرد زعمهم الباطل، ويرشدهم إلىٰ الحق، ويلقمهم الحجر؛ ببيان إسناد الكل إليه تعالىٰ..»[٢].

◆ سابعًا: أفعال الظن أو الرجحان

ولم يرد في القرآن منها سوىٰ (ظن)، و(زعم)، و(حسب)، فليس فيه (حجا) ولا (عد) ولا (هب) ولا (خال)[٣]، وقد ضربت هذه الأفعال بسهم كبير في التنبيه علىٰ رفع المتوهم وإبطاله، وتحقيق صحيح الفهم.

أ- ظن: ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣].

إذ نبه (ظن) إلىٰ مرجوح الفهم للكفار المجترئين علىٰ المعاصي، غير المستخفين من الله ومن الجوارح الشاهدة عليهم بإذنه؛ ظنًّا أن الله لا يعلم حالهم وخفيات أعمالهم، فكان ظنّهم وبالًا عليهم، مهلكًا لهم، مقررًا لخسارهم.

(١) التفسير البسيط، للواحدي (٦/ ٦١٢).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٩/ ٣١٩).

وفي هذا تحقيق لأفهام المؤمنين، وتحذير لهم، وعصمة من الوقوع في مثل حالهم، قال الزمخشري: «وفي هذا: تنبيه علىٰ أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه، ولا يزل عن ذهنه، أن عليه من الله عينًا كالئة، ورقيبًا مهيمنًا؛ حتىٰ يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشامًا، وأوفر تحفظًا وتصونًا منه مع الملأ، ولا يتبسط في سرّه؛ مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين»(١).

ب- زعم: ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]. وقوله: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾ [الكهف: ٤٨]، حيث سجل (زعم) وهمًا متمكنًا في نفوس الكفار في استبعاد البعث، وأجيب بوقوعه لا محالة؛ لزومًا لحسابهم جزاءً وفاقًا، وهو يسيرٌ علىٰ الله؛ فمن خلقهم أول مرة قادر علىٰ ما هو أهون، وهي الإعادة.

ج- حسب: وهو موضع الاستشهاد والتأمل والدراسة في هذا البحث، فأوثر بالبيان والتمثيل كما سيأتي.

---

(١) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٩٦).

المطلب الثاني:
تصحيح المفاهيم بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن

أولًا: التعريف بـ(حسب)

لـ(حسب) أصول أربعة كما قال ابن فارس(١).

الأول: من العد والإحصاء، حسب الشيء يحسبه حسبًا وحسبانًا، وهو متعد إلىٰ مفعول واحد(٢)، ومنه الحسبان المعنوي حيث يتعدىٰ حسب إلىٰ مفعولين، قال ابن فارس: «لأنه إذا قال حسبته كذا، فكأنه قال: هو في الذي أعده من الأمور الكائنة»(٣)، ومنه: الحسب، وهو مآثر الأفعال، وشريف الخصال: كالكرم، والشجاعة، ونحوها؛ ذلكم أن من يفتخر بها يعدها(٤)، ومنه: الاحتساب من قولهم: احتسب فلان ابنه، إذا مات كبيرًا؛ وذلك أن يعده في الأشياء المذخورة له عند الله تعالىٰ(٥).

الثاني: الكفاية، فتستعمل استعمال الصفات، كـ«مررت برجل حسبك من رجل»؛ أي: كافٍ لك عن غيره، وتستعمل استعمال الأسماء؛ نحو: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [المجادلة: ٨]. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾[الأنفال: ٦٢]. وبنحوه استخدام حسب مفردة بمنزلة (لا غير)(٦).

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٢٣٢)، لسان العرب، لابن منظور (١/ ٣١١).

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ٣١١).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٩).

(٦) ينظر: أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، لابن هشام (٣/ ١٣٨-١٣٩).

الثالث: الوسادة الصغيرة، هي حسبانة وجمعها حسبان. وقد حسّبت الرجل أُحسِّبه، إذا أجلسته عليها ووسدته إيّاها، ومنه السهم الصغير يرمىٰ به وهو حسبانة. ومنه قولهم: أصاب الأرض حسبان، أي جراد[1]. واستعمل فيما يرسل من عذاب وبلاء كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠][2].

الرابع: تغير لون الجلد، يقال: (أحسب الرجل) إذا ابيض جلده أو احمر من داء ففسدت بشرته، كأنه أبرص، وكذا إذا كان ذا شقرة. وتكون حسب لازمة[3].

والأصل المحتفىٰ به في هذا البحث هو الأول، وهو الحسبان الحسي الذي منه الحسبان المعنوي، وهو كون حسب من أفعال القلوب، وهي الأفعال التي تمثل تصورات فاعلها؛ فهي أمور تقع في النفس ومعانيها قائمة في القلب صادرة عنه، وتلك الأمور علم وظن وشك؛ فما قطع به من غير معارض فهو العلم. وإن وجد المعارض من دليل آخر وتردد النظر بينهما علىٰ سواء فهو شك. وإن رجح أحدهما، فالراجح ظن، والمرجوح وهم[4].

وتتعدىٰ هذه الأفعال إلىٰ مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر نحوُ: «ظننت زيدًا قائمًا» و«حسبت بكرًا منطلقًا» فلا يقتصر علىٰ أحد المفعولين؛ لأن بمجموعهما تتحقق الفائدة؛ فالأول معتمد البيان، والثاني معتمد الفائدة[5].

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٩).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/ ٣١٥).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٥٩)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان (٤/ ٢١٠١)، همع الهوامع، للسيوطي (١/ ٥٤٣)

(٤) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش (٤/ ٣١٨).

(٥) ينظر: المرجع نفسه (٤/ ٣٢٦).

وتنقسم أفعال القلوب إلىٰ قسمين:

الأول: أفعال دالة علىٰ اليقين، وهي: (رأىٰ)، و(علم)، و(وجد)، و(درىٰ)، و(تعلم).

الثاني: أفعال دالة علىٰ الرجحان وهي: (خال)، و(ظن)، و(حسب)، و(زعم)، و(عد)، و(حجا)، و(هب)[(١)].

وقد سماها بعض النحاة أفعال الشك أو الظن[(٢)]، ولعل إطلاق مصطلح (الرجحان) أصدق دلالة علىٰ هذه الأفعال من غيرها؛ لأن مصطلح (الرجحان) يدل علىٰ تغلب أحد الدليلين المتعارضين في أمر ورجوحه علىٰ الآخر، أما الشك: فهو تساوي الدليلين وعدم ترجح أحدهما، وأما الظن: فهو ترجح أحد الدليلين دون استبعاد احتمال الاخر، وهو إن طابق أحد هذه الأفعال وهو (ظن) إلا أنه لا يصدق علىٰ جميع أخواتها[(٣)].

ثانيًا: دلالة (حسب)

يظهر مما سبق أن الفعل حسب دال علىٰ الرجحان أو إرادة الاعتقاد الراجح[(٤)]، وقد رأىٰ بعض النحاة المتأخرين دلالته علىٰ اليقين، وإن نصوا علىٰ قلة ذلك[(٥)] استدلالاً بشاهدٍ شعري، وهو قول الشاعر[(٦)]:

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك (٢/ ٢٨-٢٩)، معاني النحو، فاضل السامرائي (٢/ ٦).

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه (١/ ٣٩-٤٠)، المقتضب، للمبرد (٣/ ٩٥)، شرح المفصل، لابن يعيش (٤/ ٥٥٥).

(٣) ينظر: دلالة أفعال اليقين والرجحان عند النحويين، لمصطفىٰ هاتف بريهي ص٤، ص١١.

(٤) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي (٢/ ٢٢).

(٥) ينظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان (٤/ ٢١٠١)، شرح ابن عقيل، لابن عقيل (٢/ ٣٤)، شرح الأشموني، للأشموني (١/ ٣٥٣)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٥٤٢).

(٦) وهو قول لبيد العامري ينظر المراجع السابقة.

حسبت التقىٰ والحمد خير تجارة ... ربـاحًـا إذا مـا الـمـرء أصبـح ثـاقـلًا

ولعله ضمن (حسب) معنىٰ علم، والتضمين لا ينبغي أن يجعل أصلًا يقاس عليه؛ فلا تخرج (حسب) عن دلالة الرجحان أو الظن[(١)].

وتبين دلالة (حسب)، وتعرف منزلتها في الترجيح بالتفريق بينها وبين (ظن) أم الباب، فإن (حسب) القلبي، منقول من (حسب) الحسي وهو العد والإحصاء كما تقدم، فإن القول (حسبت محمدًا صاحبك) فيه معنىٰ الحساب، أي: حسب ذلك، وانتهىٰ إلىٰ ما انتهىٰ إليه بعد مراقبة الحال، فكأن صاحب الحسبان أجرىٰ عملية حساب أثمرت تصوره وحسبانه، فهو قائم علىٰ الحساب والنظر العقلي، بخلاف الظن الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنىٰ سبب[(٢)].

وكذلك تختلف دلالة (حسب) عن الظن في اعتبار الترجيح والجزم، فالظن ترجيح أحد الطرفين اعتقادًا راجحًا؛ لا ينقبض النفس معه عن الطرف الآخر، فهو اعتقاد راجح بلا جزم؛ ولذا يقبل الشّدة والضّعف، وطرفاه علم وجهل، فبعض الظنون أقوىٰ من بعض[(٣)]، بخلاف (حسب) الذي يفيد اعتقاد الرجحان مقتربًا من الجزم «فإن قال قائل: (حسبت زيدًا أخاك) فإنه إنما تردد أن يجزم باليقين بأن زيدًا أخ لك، فكان يقينه وعلمه مشوبًا بالشك غير مساو له، لأن أمارة من أمارات العلم هي التي دعته إلىٰ هذا الحسبان، وكل حسبان لا يكون إلا علىٰ النظر العقلي بعد التأمل والمراقبة، وبذا يكون حسبان القائل أرجح إلىٰ اليقين»[(٤)]، قال الراغب:

---

(١) ينظر: أفعال القلوب إلغاء وتعليقا، لخطاب عمر بكر ص٩.

(٢) ينظر: معاني النحو، لفاضل السامرائي ٢/ ٢٣.

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (٢/ ١١٥٤).

(٤) ينظر: دلالة أفعال اليقين والرجحان عند النحويين، لمصطفىٰ هاتف بريهي ص٣.

«والحسبان: أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، ويكون بعرض أن يعتريه فيه شك، ويقارب ذلك الظن، لكن الظن أن يخطر النقيضان بباله فيغلب أحدهما علىٰ الآخر»[1].

وبهذا المعنىٰ، وتلك الدلالة الدقيقة، استخدمت (حسب) وتصاريفه في القرآن الكريم، في التنبيه علىٰ أوهام تصورها أصحابها، بعد نظرٍ عقليٍّ فاسد، وتأملٍ أعمىٰ، تمكن في أنفسهم، أفضىٰ بهم إلىٰ اعتقاد بطلان الحق، وأحقية الباطل، فكانت حسب داعية إلىٰ تصحيح تلك المفاهيم الدعية علىٰ العلم والحساب الدقيق.

وقد أحصيت من تلك المفاهيم المتصلة بحسب وتصاريفه ثلاثة عشر مفهومًا؛ من مهمات العقيدة والسلوك، في أربعة وثلاثين موضعًا، كما سيأتي.

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٢٣٤).

المبحث الثاني:

المفاهيم المصححة بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن

المفهوم الأول: تحقق الإيمان بلا تكليف، واستحقاق النصر والتمكين والجنة والنعيم بلا تمحيص

دعت التوجيهات الربانية إلىٰ بناء تصور إيماني سديد حول مفهوم العمل والجزاء، برفع وهم اقتضاه نظر عقلي بحسبان مرجوح، وهو: تحقق الإيمان بلا تكليف، واستحقاق النصر والتمكين والجنة والنعيم، بلا تمحيص، في آيات كريمات بـ(حسب)[1]. هي: قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦]. وذلك عقب استفهام

---

(١) ومن الآيات القرآنية النظيرة التي تصحح هذا الفهم بغير حسب قوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ١٣].

استنكاري ينبه إلىٰ خطأ هذا التصور، ويصحح نظر المسلمين إلىٰ سنة الله في العمل والجزاء.

قال الزمخشري: «أَمْ، منقطعة، ومعنىٰ الهمزة فيها: للتقرير، وإنكار الحسبان، واستبعاده..»[1] فلا اكتفاء بمجرد النطق بالإيمان عن أداء تكاليفه، ولا اغتنام للجنة دون عناء مكارهها، فإذا ما تمحض الإيمان تحقق النصر والتمكين في الحال، وأزلفت الجنة في المآل.

وهي سنة قديمة، جرت مع السابقين في الإيمان من أتباع الأنبياء، كما في آية البقرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ فمجيء تلك المماثلة، في الابتلاء والفتنة، مرجوة متوقعة بعد حصول الإيمان، كما أفادت (لما).

قال الزمخشري: «وَلَمَّا، فيها معنىٰ التوقع، وهي في النفي نظيرة «قد» في الإثبات. والمعنىٰ: أن إتيان ذلك متوقع منتظر، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ حالهم التي هي مثل في الشدّة. »[2].

ونظيرها ما جاء في آية العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فأكد ذلك المعنىٰ بقد.

ولا يخفىٰ ما في تأمل سنن الماضين أيضًا من معاني التسلية للمؤمنين، قال الرازي: «فعزاهم الله في ذلك، وبين أن حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك، والمصيبة إذا عمت طابت »[3].

وفي ذلك تهيئة وإعداد لهم تحقيقًا للشرف والمزية، قال ابن عاشور: «وتطرق هاته الحالة سنة من سنن الله تعالىٰ في أتباع الرسل في أول ظهور الدين؛ وذلك من

(١) الكشاف، للزمخشري (١/ ٢٥٦).

(٢) الكشاف، للزمخشري (١/ ٢٥٦).

(٣) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٦/ ٣٧٩).

أسباب مزيد فضائل اتباع الرسل، فلذلك هيئ المسلمون لتلقيه من قبل وقوعه لطفًا بهم؛ ليكون حصوله أهون عليهم»(١).

وهي سنة باقية جارية لا تحويل ولا تبديل، فإن خاطبت آية العنكبوت مؤمني مكة في بداية الدعوة الذين عانوا أذىٰ المشركين قبل هجرتهم(٢)، وإن نزلت آية آل عمران تخاطب مؤمني أحد الذين أصابهم القرح وتنبههم إلىٰ خطأ ذلك الحسبان(٣)، وإن قيل: إن آية البقرة خاطبت المؤمنين يوم الخندق حين لقوا ما لقوا من شدة الجهد، التي أشير إليها في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٩-١١](٤)، أو أن ما حصل في يوم الأحزاب مثلٌ علىٰ تلك اللأواء، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وقد حصل من هذا جانب عظيم للصحابة ﷺ في يوم الأحزاب»(٥)، وإن جاءت آية التوبة في أواخر الدعوة تحرض علىٰ قتال المشركين بعد نقضهم العهود وتخاطب من شق عليهم القتال من المؤمنين(٦) «فشمل المنافقين لأنهم أظهروا الإسلام »(٧)، فإن الخطاب في هذه الآيات مطردٌ لكل أتباع الهدىٰ والإيمان في كل زمان ومكان، محققٌ لتكاليف

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٣١٥).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٩/ ٧-٨).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٢٢٠).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٤/ ٢٨٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٥٧١).

(٦) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي (٣/ ٧٤).

(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٠/ ١٣٧).

هذا الدور العظيم الذي لم يسلم منه خير القرون.

بل إن إنكار هذا الحسبان علىٰ أهل الصدر الأول من المسلمين – الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس – أكبر عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم، ويحسبون أنهم بمجرد الانتماء إلىٰ الإسلام يكونون أهلًا لدخول الجنة[(١)] «فكيف لا ينكر مسلم علىٰ نفسه مثل هذا، وهو يعلم أنه دون الصحابة الكرام إيمانًا، وإسلامًا، ودعوة إلىٰ الحق، وصبرًا علىٰ المكاره في سبيله؟!»[(٢)].

وأما المكاره والتكاليف – التي أسهم استخدام (حسب) في تسجيل خطأ تصور مفارقتها لمفهوم الإيمان والجزاء كما نطقت بها الآيات الكريمات – فهي:

أ- **البأساء والضراء:** وهما اسمان للبؤس والضر[(٣)]، وقد نقل الطبري عن السلف أن البأساء: الفقر والفاقة والحاجة، والضراء: العلل والأسقام والأوجاع[(٤)]، ورأىٰ الرازي تعميم الفرق بينهما – بعد متابعته للمعاني السابقة باعتبارها تفسيرًا بالمثال – قال: «وعندي أن البأساء: عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه، والضراء: عبارة عن انفتاح جهات الشر والآفة والألم عليه»[(٥)].

ب- **الزلزلة:** أصلها تحريك الشيء[(٦)]، وقد لحظ الزجاج هذا المعنىٰ في تفسيره فقال: «معنىٰ (زلزلوا) خوفوا وحركوا بما يؤذي... فإذا قلت: زلزلة. فتأويله

(١) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٣٨).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٤١).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٣٥٣).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٣٤٩-٣٥١).

(٥) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٦/ ٣٧٩).

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور فصل الزاي المعجمة (١١/ ٣٠٧).

كررت زلزلته من مكانه، ... فالمعنىٰ أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف»[1]، أي أنهم مضطربين غير مستقرين حقيقة لما في قلوبهم من الخوف والجزع[2]، ورأىٰ غيره – وهو الأولىٰ – أنها زلزلة مجازية أي «وأزعجوا إزعاجًا شديدًا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع»[3]، والتي منها الشدائد التي يقاسيها المؤمنون في طريق دعوتهم، ومجاهدة أعدائهم التي يعظم قدرها وتبلغ غايتها باستبطاء الرسل ومن معهم النصر مع يقينهم به، قال الزمخشري: «وفي هذه الغاية دليل علىٰ تناهىٰ الأمر في الشدة وتماديه في العظم، لأنّ الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتىٰ ضجوا؛ كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها..»[4] وفي مثل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟! قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[5].

ج- الجهاد: وهو وإن ذكر في مقام مجاهدة الأعداء في آيتي آل عمران والتوبة، إلا أن إطلاق لفظ الجهاد معين علىٰ توسيع مفهومه، ليشمل صورًا أخرىٰ كجهاد

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٦/ ٣٧٩).

(٣) الكشاف، للزمخشري (١/ ٢٥٦)، وينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٦/ ٣٧٩).

(٤) الكشاف، للزمخشري (١/ ٢٥٦).

(٥) الصحيح، للبخاري – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ٢٠١ح ٣٦١٢.

النفس والهوىٰ والشيطان، ومكافحة الشدائد عامة.

د-الصبر والثبات: وهو من أعظم مقتضيات الجهاد ولوازمه، ولذا عطف عليه في آية آل عمران؛ التي عوتب بها مؤمنو أُحد بعد تسليتهم، وقد أخذوا من قلة صبر الرماة، فلا بد من الصبر في تحمل مشاق الجهاد، ولا بد منهما استحقاقًا لدخول الجنة. وقد يرىٰ بعطف الصبر علىٰ الجهاد توسيع مفهوم الصبر؛ ليشمل الصبر علىٰ كل ما سبق من المكاره، والثبات علىٰ تكاليف الدعوة ومنها الجهاد.

هـ- المفاصلة وتمحيص الصف: وقرن الجهاد في آية التوبة بخلوص الإيمان والانتماء والولاء له، والبراءة من أعدائه، فلا يترك المؤمن علىٰ حاله حتىٰ يؤمر بالجهاد ويبتلىٰ بما يمحصه، ويميز إخلاصه بولايته لله ببعده عن الرياء والنفاق واتخاذ وشائج وولائج مع أعداء الله من دون المؤمنين، والوليجة كما قال الزجاج هي «البِطَانَةُ، وهي مأخوذة مِنْ وَلَجَ الشيء يلِجُ إِذا دَخَلَ. أي ولم يَتَخِذوا بينهم وبينَ الكافرين دَخيلَةَ مَوَدةٍ»(١).

وكما أن الإخلاص من لوازم الإيمان وشرائط الجهاد، فهو ثمرة للابتلاء، فبه يعرف، وبه يميز الله الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، ويستقيم الصف دون مخالفة أو نشوز قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

وفي هذه الآية الكريمة، يظهر أن المكاره السابقة جميعها، هي الفتنة المقصودة، قال الرازي: «فالزلزلة... ومس البأساء والضراء، هي: الفتنة والفتون»(٢).

فالفتنة علىٰ الإيمان سنة جارية، وطريق لا مناص عنه، وأي حسبان خلاف ذلك، باطل، لا ينبغي اعتقاده.

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٣٧).

(٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٢/ ٥٠).

المفهوم الثاني: مفازة المسيئين من العذاب، وإمهالهم خير لهم، وإمدادهم بالنعم إكرام ومزية

كما أن الابتلاء للتمييز والتمحيص سنة جارية، فإن أخذ الكفار وعقابهم طريق لا يتخلف، ومن حسب غير ذلك؛ فقد فسد رأيه وساء حكمه.

وقد صدحت الآيات الكريمات[(١)] بتحقيق ذلك بإنكار هذا الحسبان في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤]. وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥]. وبآكد النهي تحقيقًا للخبر في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩]. وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧]. وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم:٤٧]. وبالإخبار؛ ذمًا لمن اغتر وغفل عن سنة الله في الأخذ والعقاب في قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١].

صاحب الحسبان ومحله:

أصحاب الحسبان هم الكفار، كما صرح في آية الأنفال ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) ومن الآيات النظيرة التي تحقق هذا الفهم بغير حسب قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧]. وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٢ – ٣]. وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٢ – ٢٣].

كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون﴾، يحسبون أنهم سبقوا العذاب علىٰ كفرهم وسومهم المؤمنين النكال، فجاوزوه ولم يلحق بهم[1]، أو: فاتوه. أي: ابتعدوا عنه؛ فتعذر إدراكهم[2]، أو: أعجزوا الله عن إدراكهم وإهلاكهم.

وهم – أي الكفار – محل الحسبان ومتعلقه أيضًا؛ إذ نهي من يعاين حالة الكفار من المؤمنين عن حسبان أمنهم العقوبة، وإخلاف وعد الله بالانتقام منهم، كما جاء في آيتي النور وإبراهيم.

ويلحق بالكفار بنو إسرائيل؛ متبعو الهوىٰ ومكذبو الأنبياء وقتلتهم كما في آية المائدة، حسبوا حسبانًا أنزلوه منزلة العلم[3] ألا يفتنون، أي: لا يؤخذون بالعقاب؛ غفلة منهم واغترارًا بما زعموه من تفضيل عند الله، فكان ذلك سببًا لاستمرارهم علىٰ باطلهم، ولو لم يحسبوا ذلك لارتدعوا[4].

وقد يجمع إليهم الفاسقون الذين يعملون السيئات من أهل الإيمان بظاهر وعموم آية العنكبوت[5]، لا علىٰ اعتبار أنهم يشككون في لحاقهم العقوبة ويطمعون في الفوت، فإن ذلك يدخلهم في الكفر، بل لغفلتهم التي تدخلهم في شبه استخفاف الكفار وصورة من يقدر ذلك ويطمع فيه[6]، وكذلك تقرأ آية البلد وإن صدقت علىٰ حال الكفار أولًا، إذ صورت شأنًا من شؤون الإنسان عامة إذا طغىٰ وتجبر

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٣٩٥).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٤٦)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٤٥٧).

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٦٦٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٣٠٦).

(٦) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٣/ ٤٤٠)، ولعل هذا ما يفهم من توجيه صاحب الكشاف، وإن لم يشر لجواز أن يكون صاحب الحسبان من فساق أهل الإيمان.

وبطش، وحسب أنه خارج عن قبضة العقاب.

◆ جواب الحسبان:

ورد دفع الحسبان إجمالًا في آية العنكبوت بذم حكمهم، قال تعالىٰ ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ لازمًا لنفي الحسبان، ومقررًا أن الجزاء يلحق بهم لا محالة، وقد عبر عن حسبانهم وظنهم بالحكم تهكمًا بهم؛ بأنهم نصبوا أنفسهم منصب الذي يحكم فيطاع[(١)].

ومن أسباب بؤس هذا الحكم تضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وظنه به ظنًّا لا يرضونه لأنفسهم؛ لأن أضعفهم عقلًا لا يرضىٰ لعبيده أن يظلم بعضهم بعضًا ثم لا ينصف بينهم، ثم زعمهم لأنفسهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه[(٢)].

كما أجيب بالنفي الصريح في آية الأنفال، قال: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ في الدنيا - حتىٰ يغلبهم المؤمنون - وفي الآخرة[(٣)]، وببيان العقوبة في آية النور، قال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المستلزمة نقض فوات عذاب الكفار، وجوابًا لمن يحسب ذلك مما يعاين حالهم لغلبتهم، وبالمعنىٰ نفسه جاء ختم آية إبراهيم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مؤذنًا بأخذ الماكرين بهذا الدين أخذ عزيز مقتدر، ونصرة رسله، فإذا ما أراد عقابهم فإنهم لا يعجزونه، وهو ما لوح به تذييل آية المائدة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ إذ اقتضىٰ إبصار الله لأعمالهم إنزال العقوبة بهم جزاءً وفاقًا، وكان مبدؤها في الدنيا، وهي عمايتهم وصممهم عن الحق.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ٢٠٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي(١٤/ ٣٩٢)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي(ص: ٦٢٦).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٣).

وبتحقيق هذا الفهم برد الحسبان تسليةٌ للنبي ﷺ وصحبه؛ في فوات أسرهم أو قتلهم في بعض المواقف كما في بدر(١)، وتثبيتًا للمؤمنين في كل عصر ومصر؛ بتأكيد نصرتهم علىٰ أعدائهم، فهم أضعف أن يعجزوا الله إذ هو معذبهم، وأضعف من أن يعجزوا المسلمين إذ الله ناصرهم.

وبهذا تعرف مناسبة ذكر أمر المؤمنين بالإعداد لقتال أعدائهم ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ في الأنفال عقب آية تصحيح المفهوم بإقرار عجز الكفار ونصرتهم عليهم، وكذلك تظهر علة بيان أدوات النصر وأسباب العدة؛ تمهيدًا لذلك التثبيت والوعد بالنصرة في آية النور ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. فمن تحصن بالصلاة والزكاة والطاعة؛ غشيته الرحمة، ومكن له في الأرض، وعلا بقوة إيمانه فوق كل متكبر، لا يعجز الله في الأرض، فإذا تمكنت حقيقة الإيمان من القلوب لم يدخل في قلوبهم شبهة أو مرجوح حسبان.

ويتفرع علىٰ ما سبق ما قد يحسبه الكفار أن إمهال الله لهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة أمارة عفو، وأن تمتعهم بطيبات الدنيا وزينتها علامة رضا، وقد تعصف هذه الشبهة بقلوب بعض المؤمنين لمعاينتهم حال الكفار، وغلبة للباطل في الظاهر، فأتت الآيات الكريمة(٢) لتزيل هذه الشبهة، وترفع الوهم وتحقق الفهم بالنهي عن هذا الحسبان في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران:١٧٨]. وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (١٥/ ٤٩٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٣٠١)، تفسير البحر المحيط، أبو حيان (٥/ ٣٤١).

(٢) ومن الآيات النظيرة التي ترفع هذا الوهم بغير حسب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]، وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥].

يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وإنكار حسبان أن إمدادهم المال والولد وسائر النعم دليل رضىٰ وإكرام في قوله: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ – ٥٦].

جواب الحسبان:

كان دقيقًا مطنبًا، كما في آية آل عمران، علىٰ طريق التكرار والمقابلة، بيانًا مفصلًا؛ فقد حسب الكفار أن الإملاء لهم أي: إمهالهم علىٰ ما هم فيه، وتخليتهم وشأنهم، وتركهم واختيارهم، من «أملىٰ لفرسه» إذا أرخىٰ له الطول ليرعىٰ كيف شاء[(١)]. ليس إلا خيرًا لهم، بأمنهم القتل، إذ يعدونه شرًا، وتحصيلهم الظفر المؤقت كما في أحد، وعلامة لرضىٰ الله بحالهم واستقامة طريقتهم عنده[(٢)]؛ إذ عبروا بالقصر الحقيقي في ظنهم، فجاء الجواب بالأسلوب نفسه، وتكرار المقصور ذاته، بيانًا صريحًا برد الحسبان، فإملاؤهم مقصور علىٰ الشر المحض، وهو ازدياد الإثم إثمًا بعد إثم؛ بانغماسهم في غمرات النعم، واسترسالهم بالفسق، والتمادي عن الحق، دون نعمة الابتلاء الموقظة، التي حرموا منها، حتىٰ يلقوا العذاب المهين، في موعد مضروب يقدره الله؛ إهانة لهم بعد أن حسبوا الإملاء كرامة وعزًا، وأما الخير فهو ليس لهم بل لغيرهم من المؤمنين؛ إذ يكون الإملاء وطول الأجل سببًا للاستقامة والازدياد من العمل الصالح.

وكذلك صرح بالجواب في آية إبراهيم قال: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وهو مقتض نفي حسبان أن تأخير الله الكفار وعدم مجازاتهم علىٰ ظلمهم

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٥٤٦).

لنفسهم بالشرك أو ظلمهم لغيرهم لازمًا لغفلته عنهم؛ تثبيتًا لنفوس النبي ﷺ والمؤمنين في كونهم لا يحسبون الله غافلًا، وطريقًا للوصول إلىٰ لازمه من امتناع عدم انتقامه منهم؛ وعيدًا للظالم، وتعزية للمظلوم، ونهيًا لاستعجال عذاب ظالمه[(١)].

وقد ورد الجواب بصيغة القصر تأكيدًا وتقريرًا حيث قصر التأخير علىٰ محذوف؛ وهو العقاب المهول، بدلالة المذكور وكناية عنه، وهو زمنه، ومحله، في يوم لا تطرف فيه العيون لهول ما ترىٰ فيه.

وكذلك أتىٰ الجواب في آية المؤمنين ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ تهكمًا بهم إن هم إلا كالأنعام بل أضل، وسخرية من غفلتهم التي سقطت معها كل أحكامهم وتصوراتهم، ومنها: حسبانهم أن إمدادهم بالمال والولد ليس إلا مسارعة لهم في الخيرات، ومعاجلة في الثواب، ودليل رضىٰ؛ لأن الراغب في إرضاء شخص يكون متسارعًا في إعطائه مرغوبه[(٢)]، فأتىٰ الجواب المضرب قاطعًا لوهمهم، وخيبة لرجائهم، وملوحًا بعقابهم، الذي غاب عنهم، فما الإمداد إلا استدراجًا لهم إلىٰ المعاصي والآثام، وإنما مسارعة الخيرات، وأمارة الإكرام للمؤمنين الذين اتقوا ربهم، وشكروا نعمه، واستثمروا طول العمر بصالح العمل.

◆ ◆ ◆

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (١٩/ ١٠٨).

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨/ ٧٥).

المفهوم الثالث:
منفعة الكافر بعمله ومجازاته عليه

سجلت الآيات الكريمات نفي منفعة سعي الكافر وحسن جزائه عليه(١)، ونبهت بدفع الحسبان المرجوح إلىٰ حبوط أعمالهم؛ فلا وزن لها عند الله. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف ١٠٣-١٠٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

صاحب الحسبان ومتعلقه:

هم الذين كفروا بآيات ربهم وبلقائه، كما فصّل في آية الكهف. أي: كفروا بدلائله الداعية إلىٰ التوحيد نقلًا وعقلًا، وبالبعث وما يتصل به من أمور الآخرة(٢). الأخسرون أعمالًا، الذين أتعبوا أنفسهم في أعمال تنوعت، وتنوقوها، وأعجبهم حسنها؛ رجوا فضلها وربحها، وحسبوا نفع ما صنعوا، وأنهم علىٰ شيء؛ فغفلوا، فلم يشعروا بضلال سعيهم وذهابه سدىٰ، وكانت طريقًا لهلاكهم؛ كالمشتري سلعة يرجو ربحًا فخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله(٣).

---

(١) ومن الآيات النظيرة التي تصحح هذا الفهم بغير حسب: قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٥/ ٢٤٩).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ١٢٥)، معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٢٢١)، البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٢٣٠).

واختلف في تعيينهم؛ فقيل: الرهبان المبتدعة، وقيل: كفرة اليهود والنصارىٰ، وقيل: الخوارج الحرورية[(١)]، والصواب كما رجح شيخ المفسرين التمثيل لا الحصر، حيث قال: «كل عامل عملًا يحسبه فيه مصيبًا، وأنه لله - بفعله ذلك - مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالرهابنة، والشمامسة[(٢)]، وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أي دين كانوا»[(٣)]، فهم كل من دان بدين غير الإسلام، أو أقام علىٰ بدعة تؤول به إلىٰ الكفر[(٤)].

وقد عبر عن ذلك الحسبان من الكافرين مجازًا في آية النور علىٰ طريق التشبيه التمثيلي؛ بما يقرر حبوط أعمالهم مع حسبانهم قبولها ونفعها، بجامع شدة الخيبة عند مسيس الحاجة، حيث شبه الذين كفروا وحسبانهم أن سعيهم وأعمالهم في الدنيا نافعة لهم في الآخرة، والحال أنهم يحاسبون عليها، ويلقون بها العذاب، في وقت ظنهم الفوز بظامئ اشتد عطشه، حسب التماع السراب في أرض فلاة منبسطة ماء يسرب أي يجري يرجو ريه، فلما عاينه لم يجده شيئًا أصلًا، لا محققًا ولا متوهمًا كما كان يراه من قبل، فضلًا عن وجدانه ماء، وكذلك أعمال من لا يعتقد الإيمان لا تستعقب ثوابًا[(٥)].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) «والشَّمّاسُ من رؤساء النَّصارىٰ، الذي يحلق وسط رأسه لازمًا للبيعة، والجميع: الشَّمامِسة». كما في العين، للخليل (٦/ ٢٣٠).

(٣) جامع البيان، للطبري (١٨/ ١٢٧-١٢٨).

(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٢٣٠).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٤/ ١٠٩)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ١٨١).

جواب الحسبان:

حملت الآيات الكريمات ردًّا مفحمًا للحسبان الموهوم؛ فقد وسمت آية الكهف سعيهم المكدود في الدنيا بالضلال والبطلان؛ كمن أخطأ السبيل وسار في طريق غير موصلة[1]. باجتراحه أعمالاً باطلة علىٰ غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة[2]، ثم صرحت بحبوط العمل وذهاب ثوابها سدىٰ، وأنهم لا تثقيل لموازينهم ولا مقدار ولا اعتبار، لأن مدارها علىٰ صالح العمل، وقد تقرر حبوط أعمالهم، وخلوها من الخير، فلا حسنات لهم توزن؛ لعدم وجود شرطها، وهو الإيمان[3].

وكذلك تعصف آية النور بهذا الحسبان حقيقة بعد تقرير ذلك مجازًا تتمة لأحوال ذلك الكافر؛ فهي لا تتوقف عند الخيبة والقنوط كما هو شأن الظمآن، بل تبين غفلة الكافر عما ينتظره في الآخرة، حيث يجد الله له بالمرصاد، فيوفيه حساب أعماله، ويجزيه العذاب الأليم مما يؤكد بطلان الحسبان[4].

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ٤٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٢٠٢).

(٣) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ٨٠)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٨٨).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ١٨١).

المفهوم الرابع:
وجود الأولياء ونصرتهم من دون الله

حسب الكفار وهمًا أن ثمة ناصرًا ووليًّا من دون الله(١)، وأنهم بذلك في درب الهداية سائرون، فأنكر هذا الحسبان في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [الكهف: ١٠٢]. وبالخبر عنهم ذمًّا في قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧].

صاحب الحسبان ومتعلقه:

هم الكفار، الذين اتخذوا عباد الله ومن هم تحت قبضته وسلطانه أولياء، ينصرونهم من دون الله، وينجونهم من عذاب الله، كما عممت آية الكهف، وقيل: إنهم الملائكة أو الأنبياء كعزير والمسيح(٢)، وقيل: إنهم الشياطين أو الأصنام

(١) ونظائر القرآن التي ترفع وهم تحقق الولاية مع الله بغير حسب كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩]. وقوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]. وقوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقوله: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٦].

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٨/ ١٢٤).

تغليبًا[(١)]، والأول أظهر؛ لأن مثل هذه الإضافة للتشريف غالبًا[(٢)]، أو اتخذوا الشيطان وليًا كما خص في آيتي الأعراف والزخرف.

وقد حسبوا استحقاقهم للولاية، وأنهم أسبابًا للهداية والنفع، قولًا بلا علم وعملًا من غير فهم.

◆ جواب الحسبان وعاقبته:

بيّن النّظم الكريم بطلان دعوىٰ الكافرين وحسبانهم باتخاذ الأولياء بلازم ذكر العاقبة كما في آية الكهف، فقد أُعدت جهنم وهُيئت لاستقبالهم كما يُستقبل الضيوف، وليس في جهنم إكرامٌ لضيفٍ أو قادم؛ لكنه التهكم، كنحو: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وليس هو من البشرىٰ في شيء، فلو كان ما فعلوه حقًا، وما حسبوه صدقًا؛ لما كانت لهم جهنم منزلًا.

وفي ذلك - أيضًا - تقرير لإنكار انتفاعهم بأوليائهم؛ ببيان أن لا محيص لهم عن جهنم[(٣)]، ثم كيف يوالي ولي الله -من الملائكة والنبيين الذين يحسب ويزعم هؤلاء الكفار أنهم اتخذوهم أولياء من دون الله— معاديا لله؟! فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه[(٤)].

ومما يؤكد بطلان من حسب اتخاذ أولياء من دون الله - ومنهم الشياطين - يعينونهم علىٰ كفرهم وينقادون إلىٰ وسوستهم مظهرًا للهداية والطريق القويم، وسمهم بالضلال؛ قال في الأعراف: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ إذ كان اتباعهم

(١) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي (١٤ / ١٦٣).

(٢) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي (٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ٤٤).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي(ص: ٤٨٧).

للشيطان سببًا للخذلان لا الهداية؛ فاستحقوا الخسران المبين بتركهم الطريق الموصل إلىٰ الهدىٰ.

وقريب من ذلك ما تقرره آيات الزخرف من وَهَم من ضلّ عن طريق الهداية، وأعرض عن ذكر الله فقيض له شيطانًا مقارنًا فألزمه طريق الغواية، يحسب أنه مهتد في اتباعه وتوليه بما زين له الشيطان وألبس عليه الحق، إذ الشّيطان عدوّ مبين، يصد عن السبيل المستقيم والدين القويم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فلو كان ما اتخذوه وليًا حقًا لما صدهم عن السبيل، ولتلبسوا بعادة الأولياء من العون والنصرة والدلالة علىٰ الصراط المستقيم.

◆ ◆ ◆

المفهوم الخامس:
انتفاء غاية الخلق واستبعاد البعث

زخر القرآن بتثبيت العقائد الإيمانية في نفوس المؤمنين، ومنها: إثبات البعث والرد علىٰ منكريه، وقد أسهم إنكار الحسبان في الآيات الكريمات، بتحقيق هذا الفهم الصحيح، والتنبيه إلىٰ الظن الموهوم في انتفاء غاية الخلق واستبعاد البعث(1)، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]. وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣ - ٤] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

◆ صاحب الحسبان ومتعلقه:

هم الناس عامة؛ تنبيهًا وتحذيرًا أن يحسبوا أنهم خلقوا بلا قصد ولا إرادة، سدىٰ وهملًا، وأنهم متروكون غير مأمورين بالطاعة والعبادة، غير مرجوعين إلىٰ ربهم - بعد موتهم وبلي عظامهم وتفرقها - للحساب ثوابًا أو عقابًا، والكافر خاصة

(١) ونظائر القرآن التي ترد علىٰ منكري البعث بغير تسجيل حسبانهم الباطل كثيرة منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]، وقوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩].

إنكارًا وتوبيخًا لصدور هذا الحسبان عنه، وقد جاء بأسلوب الحصر (أنما) في آية المؤمنون في قوله: ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾، وبتأكيد النفي ب(لن) في آية القيامة في قوله: ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بيانا لتقرره في نفس صاحبه وهمًا متمكنًا.

◆ جواب الحسبان:

افتتح ردّ الحسبان في سورة المؤمنين بتنزيه الله تعالىٰ وتعاظمه اللازم لاستحالة تحقق هذا الحسبان في حقه وجنابه، قال السعدي: «﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: تعاظم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلىٰ القدح في حكمته. ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ فكونه ملكًا للخلق كلهم، حقًا في صدقه ووعده ووعيده، مألوهًا معبودًا لما له من الكمال ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ فما دونه من باب أولىٰ = يمنع أن يخلقكم عبثًا.»[(١)]، فالعبث هو الخلق بلا بعث، فالخلق دليل البعث وإنما خلق الله الناس ليتعبدهم، ويعيدهم ليجازيهم علىٰ أعمالهم[(٢)].

ثم أبطل هذا الحسبان في سورة القيامة بحجج دامغات هي:

- القادر علىٰ الخلق الأعظم قادر علىٰ ما هو دونه:

فالله الذي تجلت قدرته وعظمته في إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه - وهو تسوية البنان وهو طرف الإصبع، فيعيد السلاميات علىٰ صغرها فهي أصغر العظام، ويؤلف بينها حتىٰ تستوي مقومة متقنة - قادر علىٰ جمع الكبار من باب أولىٰ، وهي العظام البالية المتفرقة في الثرىٰ التي تذروها الرياح[(٣)]، والعظام كناية عن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٥٦٠).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٤/ ٩٧)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ١٥٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٩/ ٩٤).

الجسد كله، وإنما خصت بالذكر؛ لأن العظام قالب الخلق ومعتمده(١)، ولحكاية أقوال المشركين في آيات أخر كقولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، وقولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] ونحوها فقد احتجوا باستبعاد إعادة العظام بعد البلىٰ علىٰ استحالة إعادة اللحم والعصب من باب أولىٰ، فجاء إبطال زعمهم بإثبات إعادة العظام وهو لازم لإعادة بقية الجسم، وفي ذلك كفاية في الاستدلال مع الإيجاز(٢).

- القادر علىٰ البدء قادر علىٰ الإعادة:

فبدأ خلق الإنسان من ماء مهين، وسيره في أطوار خلقه: من النطفة - بقدرة الله - إلىٰ العلقة، ثم إلىٰ المضغة المخلقة وغير المخلقة كما فصّل في آيات أخر، ثم سوي هذا الخلق وعدل وكملت نشأته بنفخ الروح ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾ من الإنسان ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾ أي الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ دليل علىٰ إثبات القدرة علىٰ إنشائه إنشاء ثانيًا بعد تفرق أجزائه واضمحلالها، فمن أنشأ هذا الخلق البديع قادر علىٰ إعادته فهو أهون من البدء في قياس العقل. وخلق جسم الإنسان من عدم، وهو أمر ثابت، أحق بالاستبعاد من إعادة الحياة إلىٰ الجسم بعد الموت، سواء بقي أو فني(٣).

(١) ينظر: المرجع نفسه (١٩/ ٩٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩/ ٣٤٠).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ٦٩)، تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٣٦٨).

المفهوم السادس:
انقطاع حياة الشهداء وفوات نعيمهم بعد الموت

ينبه الحسبان المؤكد المنهي عنه هنا إلىٰ خطأ مجرد مظنة انقطاع حياة الشهداء بعد الموت فضلًا عن الجزم بذلك، ويحقق التصور السديد للحياة والموت، الذي يثمر قيمة عظمىٰ في تقدير الأمور، واستقبال الموت بقلوب مطمئنة راضية بأقدار الله، فكانت الآية أحسن تعزية للنبي ﷺ ومن معه، ولكل المؤمنين، عمن قتل منهم في سبيله وألطفها، وأدعاها إلىٰ الرضىٰ بما قضاه لهم(1). قال تعالىٰ(2): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

وقد تقرر هذا التصور السديد، وتلك الحقيقة الكبرىٰ في نفوس الصحب الكريم أن نعيمًا بعد موت كلا موت؛ فلا حزن ولا ألم، فها هي أم حارثة جَاءَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَىٰ تَرَىٰ مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «**وَيْحَكِ، أَوَ هَبِلْتِ، أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**»(3).

فكانت الآية جوابًا للجبناء المثبطين عن الجهاد من أهل النفاق، يبثون الظنون

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/ ٢١٥).

(٢) وقد حقق القرآن هذا المفهوم بغير حسب في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

(٣) الصحيح، للبخاري - كتاب المغازي - باب فضل من شهد بدرًا، ٥/ ٧٧ ح ٣٩٨٢.

والحسرات، مدعي حرص قالوا: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ نعيًا علىٰ من استجاب لأمر الله ورسوله، واختار أن يشتري نفسه ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، يسمونهم بالخسران وهم في ربح عظيم مبتدأه أول دفقة من دمائهم الزكية.

وإذا أردنا تأمل متعلق الحسبان وجوابه، نقف علىٰ تحقيق المفاهيم الآتية: انتفاء موت الشهداء، وإثبات حياتهم، وتحليهم بخصائص الأحياء والنعيم المقيم.

فأما انتفاء موتهم، فلا يعنىٰ نفي الموت الظاهري عنهم، وما يجري علىٰ الموتىٰ من مفارقة الحياة الجسد، ودفنهم في التراب، وتقسيم أموالهم، ونكاح نسائهم، وقد قضىٰ عليهم بهذا الموت، وأثبته لهم بوصف القتل إطنابًا وتسجيلًا باسم الموصول، فكل خلق مصيره للموت والفناء، بل هو نفي للموت باعتبار أن ما بعده عدم، يتركون سدىٰ لا يحسون شيئًا، ولا يلتذون، ولا ينعمون[(١)].

وأما إثبات حياتهم فكان بيانًا لنفي موتهم وتأكيدًا له بالإضراب والجملة الإسمية، حياة لا ندرك أطرافها، ولا نعلم عن كنهها، إلا بما علمنا إياه العليم الخبير في مثل هذه الآية، بذكر جملة من خصائص هذه الحياة وعلاماتها، وبما أوحي إلىٰ نبيه في أحاديث ثابتة؛ أن حياتهم في جوف طيور خضر، حياة محققة لا معنوية، كما عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. « قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً ...»[(٢)].

قال الإمام الواحدي: الأصح في حياة الشهداء ما روينا عن النبي ﷺ: أن

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٧/ ٣٨٤)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص: ١٥٦).

(٢) الصحيح، لمسلم - كتاب الإمارة - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، ٦/ ٣٨ ح ١٨٨٧.

أرواحهم في أجواف طير، وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون.[1]، و«قال القرطبي: «وهذا هو الصحيح من الأقوال، لأن ما صح به النقل فهو الواقع»[2]. وهي حياة في الحال، أي: حال قتلهم، لا في المآل، أي: يوم القيامة، قال أبو حيان: «والظاهر أن المراد حقيقة الموت والحياة.... وأكثر أهل العلم علىٰ أنهم أحياء في الوقت»[3].

ويفهم من قيد العندية ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، وتقديمه علىٰ عامله، أنها حياة مفارقة لحياتهم قبل الموت في حكم الله ووفق علمه، كما أنها عنوان علىٰ كمال القرب من ربٍّ كريمٍ منعمٍ، وفي إضافته إليهم مزيد إكرام كما لا يخفىٰ.

ويلح سؤال في هذا المقام؛ أن الحياة بعد الموت أمر ثابت للبشر جميعًا: كافرهم ومؤمنهم، وقد نطق بذلك كثير من الأحاديث النبوية في تنعم الروح الطيبة وعذاب الخبيثة؛ منذ خروجها من الجسد، في رحلة النعيم أو العذاب في البرزخ، فما الوجه في خصوصية الخبر عن الشهداء؟

وقد أجاب شيخ المفسرين عن ذلك بقوله: «إن الذي خص الله به الشهداء في ذلك، وأفاد المؤمنين بخبره عنهم - تعالىٰ ذكره - إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها، في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه»[4]. أي: فضلوا بالرزق في الجنة وعجل لهم من وقت القتل، حتىٰ

(١) التفسير الوسيط (١/ ٥٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٢٦٨)، وهو سبب نزول هذه الآية علىٰ القول الراجح، ينظر المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني ص٣٣٤-٣٣٥.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان (٢/ ٥٢) وينظر تفصيل إثبات ذلك في التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٢٦).

(٤) جامع البيان، للطبري (٣/ ٢١٦).

كأن حياة الدنيا دائمة لهم[(١)].

وقد ثبتت هذه الحياة بجملة من خصائص الاحياء، وهي:

- الرزق: فـ﴿يُرْزَقُونَ﴾ دلالة على الحياة، وعلامة للتنعم بألوان العطايا المستمرة المقدرة في علم الله؛ إذ حذف متعلقها.

- الفرح: ﴿فَرِحِينَ﴾ فهم مسرورون بما أتاهم الله من فضله، في توفيقهم إلى الشهادة، وما ساق إليهم من الكرامة واللذة والتفضيل على غيرهم، من كونهم أحياء مقرّبين، معجلًا لهم رزق الجنة ونعيمها، وهو من فضل الله عليهم، لا بما أتوه من عمل[(٢)]، فجمعوا بذلك بين النعيم الحسي بالرزق، والنعيم المعنوي بالغبطة والسرور.

الاستبشار: وليس هي هنا طلب البشرى، بل التلبس بالفرح والسرور للبشرى[(٣)]، وقد كرر الاستبشار لاختلاف متعلقه.

فالأول: استبشار من أجل غيرهم؛ بلحاق إخوانهم المؤمنين الذين تركوهم في الدنيا لم يلتقوا بهم إن ماتوا أو قتلوا في تحقق النعيم وطمأنينة النفس، فلا خوف على ما سيأتيهم من أحوال القيامة، ولا حزن على ما فات من نعيم الدنيا[(٤)]، وهي حال المبشرين أيضا وقد تكون بشرى بتحقيق النصر على أيدي إخوانهم «وفي ذكر حال الشهداء، واستبشارهم بمن خلفهم، بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة،

(١) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٥٤٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٢٦٨).

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٣٩).

(٣) الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٤٠).

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للرازي (٩/ ٤٢٦).

والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرىٰ نفسه في خير فيتمنىٰ مثله لإخوانه في الله»(١).

والثاني: استبشار متعلق بهم بمزيد من الكرامة والفضل، كما قال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾(٢)، وفيه دليل علىٰ اتساع النعم، وأنها ليست كنعم الدنيا(٣). فعظمة الثواب بعظم المثيب المتفضل، ثم وسموا بوسم الإيمان للإيذان بسمو رتبة الإيمان، وكونه مناطًا لما نالوه من السعادة وعلو المقام وتوفية الأجور؛ وهذا من تمام البشرىٰ(٤)، فلا يبقىٰ بعد هذا البيان، في فوات نعيم الشهيد بعد موته شك وحسبان.

◆ ◆ ◆

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٣٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١١٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٢٧٥).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١١٣).

المفهوم السابع:

كنز المال غنيمة لصاحبه، وطريق خلوده

ويأتي النهي المؤكد لمن يعاني خللًا في تقدير القيم، ويخلط بين الغايات والوسائل فيعلو بقيمة المال فوق كل قيمة، يحسب أن كنزه والضنة به غنيمة قال تعالىٰ[1]: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقد تفهم الآية علىٰ أنها نهي لحسبان من يحضر البخيل؛ فيظن أن في بخله خيرًا له، فتحقق فهمه في دفع ذلك[2]، وقد يعين البخيل المتحدث عنه بسباق الآية بأهل النفاق الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، وقد تنصلوا هنا من دفع النفقة في سبيل الله بغزوة أحد بمعاذير قبلت منهم في الدنيا[3]، أو بلحاقها باليهود بما بخلوا من مال أو كتموا من علم، والحمل علىٰ العموم في كل بخيل مانع لحق الله، والنهي عن حسبان أنه علىٰ خير، أولىٰ[4].

(١) ومن نظائر هذا الاغترار بالمال وعده الظفر الأكبر بغير حسب، قوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

(٢) وهي المعاني علىٰ قراءة يحسبن بالياء وهي: أن يكون فاعل يحسبن ضمير رسول الله ﷺ، أو ضمير أحد، والتقدير: ولا يحسبن رسول الله أو لا يحسبن أحد بخل الذين يبخلون خيرا لهم. الثاني: أن يكون فاعل يحسبن هم الذين يبخلون. ينظر التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٤٣)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور(٤/ ١٨٠).

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٤٥).

وقد بلغ هذا القبح والخبط شأوه فيمن يجعل المال غاية، ويحسب جمعه طريقًا لخلوده في هذه الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١ - ٣].

وأما **متعلق الحسبان** في بيان حال البخيل وتخطئته في توهم خيريته، والوعيد علىٰ ذلك في النصين الكريمين فيظهر بما يأتي:

◆ أولًا: بيان حال البخيل ومتعلق البخل

سجل تأصل بخل البخيل وجمعه للمال دون تأدية حقه، وبيان العلة باستخدام الاسم الموصول في النصين، وأبهم متعلق البخل في آية آل عمران، قال تعالىٰ: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وعيّن في آية الهمزة ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾، وهو عائد إلىٰ فاعل يحسب المقدر، ودل الإبهام علىٰ معان منها: قبح فعل البخيل؛ إذ يبخل بما هو عطية من الله، ومن لوازم فضل الله ورحمته، ويبخل بما ليس ملكه بل هو مستخلف عليه قال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وكان أحرىٰ بمن هذا حاله أن يتسع بذله في سبيل الله[(١)].

وقد اختلف في تعيين متعلق البخل أهو المال، أم علم كتمه اليهود - وهو نبوة النبي ﷺ - والراجح: أنه المال؛ لما جاء في البيان النبوي فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَيْهِ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الْآيَةَ**[(٢)]، وفي مسند ابن أبي شيبة عن حجير بن بيان، قال: قال النبي ﷺ: ما من ذي رحم

(١) ينظر إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٠).

(٢) الحديث في الصحيح، للبخاري - كتاب الزكاة - باب إثم مانع الزكاة، ٢/ ١٠٦ ح ١٤٠٣.

يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل ما أعطاه الله إياه فيبخل عنه إلا أخرج له يوم القيامة شجاع يتلمظ حتىٰ يطوقه ثم قرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٨٠]. قال الإمام الطبري: «وأولىٰ الأقوال بتأويل هذه الآية، التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدأ قوله: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ »(١)، للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله ﷺ، ولا أحد أعلم بما عنىٰ الله ﷻ بتنزيله، منه ﷺ»(٢)، ومما يقوي أنه المال: أن هذا هو الظاهر في معنىٰ البخل، قال ابن عاشور: «فهو الانقباض عن إعطاء المال بدون عوض، هذا حقيقته، ولا يطلق علىٰ منع صاحب شيء غير مال أن ينتفع غيره بشيئه بدون مضرة عليه إلا مجازًا »(٣)، ولأنه طريق لإجراء الظاهر في الوعيد المترتب أيضًا، وعدم تحمل المجاز في كونه مثلًا للإثم اللازم لا التطويق حقيقة(٤)، وكذلك مناسبة السياق والتئام النظم؛ قال الرازي في أسباب الترجيح: «أنا لو حملنا هذه الآية علىٰ المال كان ذلك ترغيبًا في بذل المال في الجهاد فحينئذ يحصل لهذه الآية مع ما قبلها نظم حسن، ولو حملناها علىٰ أن اليهود كتموا ما عرفوه من التوراة انقطع النظم، إلا علىٰ سبيل التكلف، فكان الأول أولىٰ »(٥). وقد يدخل غير المال كالعلم والجاه قياسًا لا تخصيصًا.

والمقصود بالبخل هنا منع المال الواجب – لا المندوب – كالزكاة الواجبة

(١) يعني بذلك قوله في مبتدأ ما نقله من أقوال الخلاف «يعني بقوله جل ثناؤه: «سيطوقون»، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة، طوقا في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة » جامع البيان، للطبري (٧/ ٤٣٣).

(٢) جامع البيان، للطبري (٧/ ٤٤٠).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور(٤/ ١٨٢).

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٤٣)، المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٥٤٧).

(٥) التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٤٣).

والنفقة الواجبة كما ظهر في الأحاديث السابقة، ولمناسبة ترتب الوعيد الشديد عليه؛ إذ لا يعاقب المرء على تركه مندوبًا أو تطوعًا، والله أعلم.

وصرح بالشيء الذي ضن به وهو المال في آية الهمزة، ولحظ معنى البخل والكنز في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ قال الطبري: «الذي جمع مالًا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه»[(١)].

ثانيًا: تسجيل الجرم وعظم العقوبة

سجلت حوبة هذا البخيل في آية آل عمران؛ بإثبات شر عمله، وإن كان مفهومًا مما سبقه من نفي الخيرية والمنفعة، وذلك للمبالغة في تأكيد شريته فهو شر في دينه، وربما في دنياه[(٢)]، وفي مآله يوم الدين جزاء وفاقًا؛ إذ توعدهم بطوق يكون سببًا لعذابهم، ويمكن أن يكون الطوق طوقًا من نارٍ يجعل في أعناقهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥][(٣)].. فلا يبقى معهم إلا الحسرة والندامة، فالعاقل من يدخر لنفسه عند الله، وينفق مما استخلفه عليه؛ ابتغاء مرضاته؛ إذ علم أنّ لله - لا لغيره - ميراث السموات والأرض، وله الملك الباقي إذ يفنى الجميع.

وظهر كبر هذا الإثم في سورة الهمزة؛ إذ طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة، حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدًا في الدنيا لا يموت،

(١) جامع البيان، للطبري (٢٤/ ٥٩٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٤)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٠).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٤٤).

وقد تمكن هذا منه كأنه وقع، فعبر عنه بالماضي، أو أنه انغمس بزخارف الحياة وبهرجها وشيد وعمر كمن يظن أن ماله يبقيه حيًّا، أو أحب ماله حبًا جمًّا فاعتقد إن انتقص مات وإن بقي علىٰ تمامه صار حيًّا، وقيل: هو تعريض بالعمل الصالح أنه هو من يخلد صاحبه في النعيم المقيم لا المال[1].

وقد أسلمه هذا البخل إلىٰ ما فيه وباله، فكانت عاقبة أمره بالردع والتهديد؛ بالنبذ والإلقاء في نار تحطم وتكسر كل ما وقع فيها مهانًا بعد أن اعتقد أنه من أهل الكرام، نار لا يدرك كنهها، ولا تنالها عقول الخلق، وحسب تهويل أمرها إضافتها إلىٰ الله ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ لا تزال تلتهب ولا يزول لهيبها، تغشىٰ الأفئدة - وهي ألطف ما في الجسد وأشده تألما بالأذىٰ - مطبقة علىٰ أصحابها موثقين فيها بالأصفاد لا يجدون عنها محيصًا[2]، وليس بعد وخامة عاقبة البخيل توهم في خيرية فعله أو حسبان.

◆ ◆ ◆

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٧٩٥)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٣٢/ ٢٨٥)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ١٩٨).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٩/ ١٩٩).

المفهوم الثامن:
تماثل الضدين، والمساواة بين المحسن والمسيء

أنكر الله علىٰ من قضىٰ باتحاد مقام المحسن والمسيء، والمساواة بينهما بحسبان مرجوح، ألا ساء ما يحكمون[1]، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١-٢٢].

وبالتأمل في الآيات الكريمة نقف علىٰ بيان الحسبان المنكر علىٰ أصحابه، ثم الجواب الحاسم في رده.

صاحب الحسبان:

هم الذين اجترحوا السيئات وأساؤوا التصور والتقدير لقيمة أنفسهم ووزن أعمالهم، ليصلوا إلىٰ التسوية وإنكار المفارقة بينهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، أخذتهم العزة بالإثم، وتعاموا بزهوهم وغرور نفوسهم الأمارة عن قيمة العمل في الحكم والاعتبار، وليت شعري هل يقدس الإنسان إلا عمله؟!

ومجترح السيئات هو من عمل بها وكسبها، وإنما سمي ذلك اجتراحا؛ لأنه

---

(١) ومن نظائر هذه الآية التي تقرر انتفاء تماثل السعداء والأشقياء بغير حسب قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣]. وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، وقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤].

عمل بالجوارح، وهي الأعضاء الكواسب[(١)]، وعني به هنا الكافر بدليل ذكر الإيمان في قبيله[(٢)]، ولمناسبة هذه الآيات لما قبلها إذ كانت حديثًا مسلسلاً عن تكذيب الكفار بآيات الله واستهزائهم بها، إلىٰ وصف صنف آخر من ضلالتهم واستهزائهم بالوعد والوعيد، وإحالتهم الحياة بعد الموت والجزاء علىٰ الأعمال، وحسبانهم التسوية بينهم وبين المؤمنين، ولأن اكتساب السيئات من شعار أهل الشرك إذ ليس لهم دين وازع يزعهم عن السيئات، ولا هم مؤمنون بالبعث والجزاء، فيكون إيمانهم به مرغبا في الجزاء[(٣)].

وقد ينزل المجترح علىٰ العاصي المسرف علىٰ نفسه من أهل الإيمان، فتكون المعادلة بالاجتراح وعمل الصالحات، ويكون الإيمان في الفريقين، وهذا ما لمحه العارفون تدبرًا لرسائل هذا الكتاب العظيم؛ إذ روي عن الربيع بن خيثم أنه كان يرددها ليلة جمعاء، وكذلك عن تميم الداري وعن الفضيل بن عياض، وكان يقول لنفسه: ليت شعري من أي الفريقين أنت؟! حتىٰ سميت هذه الآية بمبكاة العابدين[(٤)].

◆ متعلق الحسبان:

يُعِين توجيه القراءات المتواترة في بيان المعاني المحتملة، في حدود المفارقة بين حال مجترحي السيئات والمؤمنين الذين يعملون الصالحات[(٥)]، فعلىٰ قراءة النصب

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٤٥١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٨٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور(٢٥/ ٣٥١-٣٥٢).

(٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٩٠)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٨٥)، البحر المحيط، لأبي حيان (٩/ ٤٢١).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص سواء محياهم بالنصب، وقرأ الباقون سواء بالرفع ينظر القراءات وتوجيهها، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء، للأنباري (٢/ ٨٩١) ومعاني القراءات، للأزهري (٢/ ٣٧٦).

لـ ﴿سَوَآءً﴾ تدخل ﴿سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ في إنكار حسبان أن يستوي المحسنون والمسيئون محيًا، وأن يستووا مماتًا، لافتراق أحوالهم في الكرامة والإهانة، ومحاسن الأحوال ومساويها؛ حيث عاش هؤلاء على الهدى والعلم وسنن الرشاد وطمأنينة القلب في عز الإيمان وكرامة الطاعة، فاستحقوا ولاية الله ونصره، وأولئك على الضلال والجهل والفساد واضطراب القلب وضيق الصدر في ذل الكفر وإهانة المعصية، فكان الظالمون بعضهم أولياء بعض. ومماتًا؛ حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه، وفي القيامة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩] وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعدّ لهم، ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [وعبس: ٤٠- ٤١][1].

وقيل: معناه إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة، وأن يعطى المجترحون في الآخرة كما أعطوا في الدنيا ما أعطي المؤمنون من الرزق والصحة والكفاية، وعلى قراءة رفع (سواء) يكون المعنى تتميمًا لإنكار حسبان التسوية بتقرير اختلافهم في المحيا والممات أي: أن محيا المسيئين ومماتهم سواء، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم، كل يموت على حسب ما عاش عليه[2].

رد الحسبان ودفعه:

ولم يكتف النّظم القرآني بإنكار الحسبان المتوهم سبيلًا لدفعه، بل جاء بجواب حاسم في ذلك إجمالًا وتفصيلًا:

-الجواب المجمل: تصريح قاطع بإنكار حكم التسوية ووسمه بالسوء

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٩٠)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٧/ ٦٧٦-٦٧٧)، الدر المصون، للسمين الحلبي (٩/ ٦٥١)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٨/ ٧٢)، محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٤٣٠).

(٢) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٩٠)، حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ٦٦١)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٧/ ٦٧٦-٦٧٧).

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ بئس هذا الحكم الذي يخالف حكمة الحكم العدل، وينافي ما نزلت به الشرائع، وأخبر به الرسل، ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة[(١)]، بل الحكم الواقع أن لا تسوية بين المحسن والمسيء في العاجل والآجل، بل لا يسوىٰ بين المحسنين أنفسهم فيعطون علىٰ قدر إحسانهم، كما يعذب المسيئون بقدر ظلمهم وفجورهم.

- الجواب المفصل بالدليل:

١-وهو قيام أمر هذا الكون علىٰ نظام الحق والعدل ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الذي من لوازم هذا الحق حصول التفاوت في الدرجات والدركات بين المحقين وبين المبطلين. قال الطبري: «فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكنا خلقناهما للحق والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن في العاجل والآجل»[(٢)].

٢-جعل الجزاء الأوفىٰ تعليلًا للخلق بالحق والعدل ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ فلا يتصور بعدها أن يبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، أو نسوي بين المحسن والمسيء ولكن لنجزي كلا بما كسبت يداه، وذكر الجزاء عنوان علىٰ العدل، فالمجازىٰ غير مظلوم، بل مجزي بما قدمته يداه[(٣)].

وهنا يحقق الفهم أن التسوية بين المتناقضات ضرب من الهذيان؛ فالليل لا كالنهار، والظلمة لا كالنور، والكفر ليس كالإيمان، والمعصية ليست كالطاعة، ميزان حق ولواء عدل فلا يبقىٰ بعد ذلك وهم أو حسبان.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٧٧).

(٢) جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٧٥)، وينظر التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٧/ ٦٧٧).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٧٥)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٣٥٧).

المفهوم التاسع:

خفاء الباطن على الله

فيحسب كل متستر بالباطل صاحب ضغينة، وكل ظالم مجتهد في إخفاء ظلمه، أن الله غير مطلع عليهم[(١)]. قال تعالىٰ: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۝٧٩ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٧٩-٨٠]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، وقال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٦ - ٧]. فهو مظنة أهل الكفر وحسبان أهل النفاق، ومن تخلق بخلقهم، وجعل الله أهون الناظرين إليه؛ فقد نبهت آيتا سورة القتال إلىٰ حسبان المنافقين الذين استحكمت فيهم أمراض القلوب - من شكٍّ في الدين، وضعف يقين - حتىٰ أصبحت علمًا عليهم يلوح بِأُسِّ عوارهم، جعلوا التخفي والتستر أساس عقيدتهم، وحسبوا أن ما اجتهدوا في ستره - من حقد، وغلّ، وحسد، وكيد بالمؤمنين - يخفىٰ علىٰ الله كما خفي علىٰ الناس، وأن الله لن يبرزه لرسوله ﷺ وللمؤمنين.

---

(١) ومن نظائر هذه الآيات التي تقرر كمال علم الله بما يجتهد في ستره بغير حسب: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩]. وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. وقوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦].

فسفه حسبانهم بكشف حالهم تصريحًا وتلميحًا، فإن خفي أمرهم مدة من زمن فوفق مشيئة الله وحكمته، ولو شاء الله لكشف أعلامهم وأشخاصهم عيانًا؛ بيانًا لنبيه الكريم ﷺ بعلامة ظاهرة لا يخطئها، يعرفهم بها أيما معرفة؛ فأتبع الإراءة التي تتضمن التعريف بـ(فلعرفتهم)، قال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ إشارة إلىٰ قوة التعريف وتمكنه فليس كل تعريف تلزمه المعرفة[1]، أو أن يكون فحوىٰ كلامهم وقلبهم للكلام عن وجهه ذهابًا به عن الصواب كقولهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وقولهم: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣] تعريضًا[2]. وتململهم من واجبات الإسلام، وتعذرهم بما وهىٰ من أعذار، إشارة علىٰ نفاقهم وسبيلًا لكشف أمرهم، قال مؤكدًا بالقسم: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ قال البغوي: «فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوىٰ كلامه علىٰ فساد خلقه وعقيدته»[3]، وقد أنزل الله تعالىٰ سورة براءة؛ فبين فيها فضائحهم ودسائسهم ودلائل نفاقهم؛ ولهذا سميت الفاضحة[4].

وتبلغ مراوغة المنافقين مبلغها وحمقهم شأوه فيما قصت آية المجادلة، إذ يصحبهم هذا الحسبان إلىٰ يوم القيامة وبين يدي رب الأرباب، فيظنون أن سترًا لكفرهم ونفاقهم يخفىٰ علىٰ الله، وأن أيمانهم الكاذبة الباطلة التي اتخذوها تقاة تروج علىٰ عالم الغيب والشهادة، كما راجت علىٰ الناس في الدنيا، ويحسبون أنهم

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٥٨).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٥/ ٣٠٤)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٨/ ٥٨).

(٣) تفسير: البغوي (٤/ ٢١٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٣٢١).

متلبسون بالنفع في حلفهم الكاذب ودعوىٰ الخفاء[1]. فيأتي إنكار حسبانهم، بأن الله لا تخفىٰ عليه خافية، بتسجيل الخبر المؤكد عنهم بالكذب في دعواهم، وفي أيمانهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

ومن أهل النفاق وسمًا، إلىٰ حديث في آيتي الزخرف عن الكافرين الصادحين بكفرهم حال نفاقهم، والحمق نفسه، وحسبان أنهم يرخون ستر مؤامراتهم عن كل ناظر ومطلع، وغفلوا أن الله يعلم السر وأخفىٰ.

ويصور النظم القرآني اجتهادهم في إحكام باطلهم بالتعبير بالإبرام، والإبرام -كما جاء في المفردات-: «إحكام الأمر، ... وأصله من إبرام الحبل، وهو ترديد فتله»[2]، وتنكير الأمر دال علىٰ تعظيمه وخطورته، ولا يخفىٰ ما في ذلك من معنىٰ التعميم أيضًا؛ ليشمل كل كيد كادُوه في خفاء للإسلام وأهله. ومنه: تدبيرهم واجتماعهم في دار الندوة علىٰ قتله ﷺ[3]، ولكن وثاقة الباطل ومكانته تزول أمام حق يدمغه ويفل كيده، والله لهم بالمرصاد مبرم ما ينقض كيدهم، ويعلو تدبيرهم، ويرد وباله عليهم ويلحق الأذىٰ بهم كما قال تعالىٰ في آيات أخر: ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢]. وقوله ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠][4].

وفي تأمل المخالفة بين أبرموا ومبرمون، طمأنينة للنفس؛ بثبات سنة الله في الكيد بأعداء الدين، وفتل باطلهم الذي له صورة الإحكام الواقعة لا حقيقته.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ١٩٦)، البحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ١٣٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ١٢٠).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٦٥).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٦٤٦)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٢٦٢).

وما أبرم الكفار وكادوا إلا لحسبان متوهم أن ما اجتهدوا به في إحكام باطلهم يغيب عن عالم الغيب والشهادة، ولن يأخذهم الله به، ولن يعاقبهم عليه لخفائه، وأنه جلت قدرته وعظمته لن يسمع تلك الهمسات والتمتمات، ولن يصل إليه سرهم - وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في خلوتهم - أو نجواهم - وهي: ما تكلموا به فيما بينهم -[(١)]، فجاء رد الحسبان موجزًا دامغًا: «بلىٰ» أي: إن الله سامع مطلع علىٰ سرهم ونجواهم، وهناك من يلازمهم من الملائكة يكتب ويقيد تلك الأعمال والأقوال الخافتة؛ ليؤخذوا بها في يوم الجزاء والحساب.

وكذلك حسب صناديد قريش أن الله غير مطلع علىٰ أعمالهم، وعلىٰ دواخلهم في اعتبارها - كما جاء في سورة البلد - يزعمون كثرة الإنفاق فيما يسمونها مكارم، ويدعونها معالي ومفاخر، ويحسبون أن أحدًا لا يراهم ولا يطلع علىٰ نياتهم من الرياء والافتخار فيما بينهم[(٢)]، فأنكر الله حسبانهم، وفي ذلك كناية عن علمه بهم، فهو الرقيب عليهم، المحاسب لهم علىٰ وجوه إنفاقهم.

وكذلك تحمل الآية علىٰ جنس الإنسان الذي يحسب أن إنفاقه ومبتغاه فيه يخفىٰ ولا يطلع عليه أحد، وليس عليه حفظة يرون أعماله ويحصونها إلىٰ يوم الجزاء، كيف ذلك وقد قال النبي ﷺ[(٣)]: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»؟![(٤)].

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٢٦٥).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٤/ ٧٥٥).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٥/ ٤٨٣)، البحر المحيط، لأبي حيان (١٠/ ٤٨١).

(٤) الجامع، للترمذي - كتاب الزهد، باب في القيامة (٤/ ٦١٢) ح ٢٤١٧ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

المفهوم العاشر:
اعتبار الظاهر دون تنقيب

وفيه تنبيه، إلىٰ حسبان باطل، في التسرع والاغترار بالظاهر، وتحقيق الفهم بدعوة إلىٰ التعمق، والتنقيب عن البواطن؛ للوصول إلىٰ دقيق الاحكام، والجامع بين آياته الكريمات هو النعي علىٰ حكم بحسبان متعجل، فاته التؤدة والنظر العميق في الأمور، ففي قوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣] دفع لحسبان وسم صاحبه بالجهل؛ لأخذه بالظاهر؛ إذ كان سببًا للحكم بغنىٰ الفقير لتعففه عن السؤال، وفيه دعوة إلىٰ التبصر والفراسة ولحْظ ما يمكن أن يكون علامة دالة علىٰ حالهم وإن كتموه تجملًا وحياء.

وقيل: إن هذا الحسبان مرتبط بحال فئة مخصوصة؛ كفقراء المهاجرين وأهل الصفة، الذين حبسوا أنفسهم علىٰ طاعة الله. والنص عام، ينطبق علىٰ كل معوز متعفف أحصر اضطرارًا(١)، لمرض أو فاقة أو جهاد، أو خوف عدو عن التقلب في الأرض؛ ابتغاء المعاش وطلب المكاسب(٢).

وقد اختلف في تحديد ما يمكن أن يكون علامة يتوصل بها إلىٰ الفقر، فقيل: صفرة الوجه، وأثر الجهد، والفاقة، ورثاثة الحال(٣)، ورد بأن تلك علامات ظاهرة في الفقر، دالة علىٰ حصوله، يناقضها نص الآية بحسبان وظن الجاهل والتباس أمرهم

(١) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٣/ ٧٥).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥/ ٥٩٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٣٤٠).

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٣١٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٣٤١-٣٤٢)، البحر المحيط، لأبي حيان(٢/ ٦٩٨).

عليه[1]. وقيل: التخشع والتواضع، ورد أن محله القلب، ويشترك فيه الغني والفقير. وقيل: أثر السجود إذ لا شغل لهم في الغالب إلا الصلاة، ورد بأنه وصف عام في جميع الصحابة بما أخبر الله عنهم في خاتمة سورة الفتح[2]، والصواب: العموم، وعدم التعيين بهيئة خاصة؛ لاختلافها باختلاف الأشخاص والأحوال، وإنما يرجع ذلك إلىٰ المتفرس الذي يتحرىٰ بالإنفاق أهل الاستحقاق، وإنما يدرك ذلك بالمعاينة دون الوصف، فكم من مريض اشتبه ببعض أحواله بما في صاحب الفاقة من جهد، وكم من غني لبس رث الثياب فتزيىٰ بزي أهل الحاجة، وكم من فقير يلبس حسن الثياب ليحكم في لحن قوله ومعارف وجهه أنه مسكين عزيز النفس[3].

وقد أطنب النظم الكريم في التأكيد علىٰ تعففهم بذكر لازمه وهو نفي المسألة، وذكر الإلحاف مع أنهم لا يسألون الناس بالكلية؛ ثناء عليهم، بالتعريض بالشره والضراعة التي تكون في الملحين[4]، وقد جاء في معنىٰ ذلك حديث النبي ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأُكْلَةُ وَالْأُكْلَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًىٰ وَيَسْتَحْيِي، أَوْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ إِلْحَافًا»[5].

وختم دفع الحسبان بتذييل مرغب في الإنفاق، علىٰ الوجه الذي سيقت الهداية إليه؛ من دعوة تحري النفع به، ووضعه في موضعه، قال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[6].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٧/ ٦٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٣٤٢).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥/ ٥٩٧)، تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣/ ٧٥).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٥/ ٥٩٩).

(٥) الصحيح، للبخاري – كتاب الزكاة – بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ٢/ ١٢٤ح ١٤٧٦.

(٦) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٣/ ٧٧).

وكذلك، أنكر في سورة الكهف، في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ علىٰ من راعه حال فتية أهل الكهف، وما جرىٰ لهم، وكيف أمنوا من أعدائهم بأن قدر عليهم النوم سنين متطاولة، ثم بعثهم، وحسب - لأول وهلة وبنظرة قاصرة - أنها العجب الوحيد في آيات الله، أو أنها أعجبها، ولم يتنبه إلىٰ أن بديع صنع الله، وعجيب قدرته مبثوث في صفحات هذا الكون، فمع إن قصة أصحاب الكهف قصة عجيبة وأنباءها غريبة؛ إلا أن خلق السموات والأرض - مثلًا - وتزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم جعلها صعيدًا جرزًا خالية من الكل أعظم وأبلغ، ومن قدر علىٰ الأعظم فهو قادر علىٰ الأصغر بلا شك[1]، فعلىٰ المؤمن أن يحسن التقدير وينزل الأمور منازلها حتىٰ يصل إلىٰ تحقيق الإيمان؛ قال السعدي: «فالوقوف معها وحدها في مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلىٰ التفكير فيها؛ فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان[2].

وكذلك أنكر في آية الفرقان في قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ علىٰ من حسب أن وجود الجوارح كالسمع والعقل دليل علىٰ الانتفاع بها، ولو تريث لوصل إلىٰ أنهم غير منتفعين بها، مثلهم كالأنعام، بل هم أضل، وهو إنكار عقب إنكار علىٰ النبي ﷺ أن يكون حفيظًا علىٰ المشركين الذين اتخذوا شهواتهم آلهة، وتنقلوا عن هوىٰ بين آلهة لا تنفع ولا تضر ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] تطيبًا لنفسه ﷺ فلا تذهب حسرات علىٰ من هذه حاله، والحق أنه لا حجة تنفعه ولا جدوىٰ من نصحه، وقد بين ما وقع عليه الحسبان حال هؤلاء ومبلغ ضلالهم، فكثرتهم في

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢١/ ٤٢٨)، أضواء البيان، للشنقيطي (٣/ ٢٠٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٤٧١).

تيه وضلال بعيد، فلا يغتر بظاهرهم، فيحسب أنهم يسمعون ما يتلىٰ من آيات، أو يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح، الداعية إلىٰ المحاسن؛ فيعتنىٰ بشأنهم ويطمع في إيمانهم، ويأتي الجواب تقريرًا لانحطاط رتبتهم، وحسمًا للحسبان، قال أبو السعود: «﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ إلخ، جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده، وحسم مادة الحسبان بالمرة، أي: ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات، وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات، إلا كالبهائم التي هي مثَلٌ في الغفلة، وعلَمٌ في الضلالة»(١).

ثم تمضي الآية، في الحط من رتبة أولئك إلىٰ سفل الدركات؛ باعتبارهم أضل من الأنعام؛ فهي منقادة لأربابها، وللذي يعلفها ويتعهدها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وتفقه بعض ما تسمعه من أصوات الزجر ونحوها من رعاتها وسائقيها، وتميز بين من يحسن إليها وبين من يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضره، وهؤلاء لا ينقادون لربهم خالقهم ورازقهم ولا يسمعون لمرشدهم ﷺ ولا يميزون بين إحسانه إليهم وبين إساءة الشيطان إليهم، الذي هو عدو لهم وينصتون إلىٰ وساوسه(٢).

وبعد هذا البيان لا يبقىٰ في انتفاء انتفاعهم وإدراكهم للدلائل والحجج علىٰ سلامة حواسهم ظن أو حسبان.

وكذلك في آية النمل ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾.

ينبه الناظر إلىٰ الجبال فيحسب ثباتها واستقرارها، وفاته أنها تتحرك حركة لا يدرك غورها، والمقام: القيامة والفزع الأكبر، يحسب الرائي أن الجبال جامدة؛

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٢١).

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري (١٩/ ٢٧٤)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٤/ ٤٦٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٣٦)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٦/ ٢٢١)، التحرير والتنوير، (١٩/ ٣٨).

ذلكم أن الأجسام العظام، إذا تحركت حركة سريعة علىٰ سمت وكيفية واحدة، ظن الناظر أنها واقفة، فلا يكاد تتبين حركتها مع أنها تمر مرًا حثيثًا كالسحاب، حتىٰ لا يبقىٰ منها شيء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[1].

واختير التشبيه بمرور السحاب؛ لقصد إدماج تشبيه حال الجبال حين ذلك المرور السريع، بحال آخر للسحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها، فيكون من معنىٰ قوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وكل ذلك مصدق لقدرة الله وإحكام صنعه[2].

وكذلك يعرّض في آية الحشر ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ بمن جعل التجمع حسبانًا للاتفاق، واجتماع الأجساد مظنة التئام القلوب. والمتحدث عنهم: هم الذين كفروا من أهل الكتاب الذين لم يفقهوا فلم يقدروا الله حق قدره؛ فجعلوا رهبة المؤمنين في صدورهم أشد من رهبتهم من الله، فلم يثبتوا للقاء المؤمنين كفاحًا، بل من وراء حصون وقلاع ومتاريس؛ ذلكم أن الله قذف في قلوبهم الرعب.

والبأس الشديد الذي يوصفون به وحلفاؤهم من المنافقين إنما هو فيما بينهم، أو أنه - هذا البأس - وعيد وتهديد للمؤمنين من وراء الجدر؛ يقولون: «لنفعلنّ كذا وكذا» ثم يتوارىٰ عند مقابلة المؤمنين، أو أن هذا البأس عنوان للعداوة[3]، فهو متسلط من بعضهم علىٰ بعض، وضرره واقع عليهم لا علىٰ المؤمنين كما يدل عليه التعبير بـ﴿بَيْنَهُمْ﴾[4].

وعليه نبه من يحسب أن هؤلاء - وإن اجتمعوا في معسكر واحد - مؤتلفون؛ بل هم مختلفون غاية الخلاف، بينهم إحن وعداوات، فلا يتعاضدون حق التعاضد،

(١) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٤/ ٥٧٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٢٤٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٠/ ٤٧).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٩/ ٥١٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٨/ ١٠٦).

ولا يرمون عن قوس واحدة[(١)].

ولم يسق الحسبان بصريح النهي كما جاء في آيات أخر، وإنما هو نهي بصورة الخبر، ولعل ذلك دال علىٰ تحقق في النفوس أن الاجتماع أمارة الاتفاق، واستبعاد كون اجتماع الأجساد في معسكر واحد ومصير مشترك، يشرذمه اختلاف القلوب، وقد عرف المؤمنون عن أنفسهم قوة الآصرة وصدق الانتماء، وإن تفرقت بهم الأمصار والأعصار والأجناس والأعراق.

وكما دفع الحسبان بإقرار التفرق، عقب بدافع ذلك وأنه مسبب عن نفي عقلهم، وأن تشتت القلوب وتشربها الأحقاد واتباع المصالح موهن لقوتهم ومضعف لأمتهم؛ فكان ذلك شقوة لهم، حصلت منها سعادة للمسلمين[(٢)].

وفي التنبيه لهذا الحسبان دروس منها:

-تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم علىٰ قتالهم؛ بالتهوين من شأن أعدائهم، والاستخفاف بجماعتهم[(٣)].

-تربية للمؤمنين بتحذيرهم من التخالف، ذلكم أن الأمة لا تكون ذات بأس علىٰ أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر، فما كان المؤمنون ليثبتوا أمام أعدائهم إلا باتحاد قلوبهم، لا بتوافق أقوالهم فحسب[(٤)].

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٥٠٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ١٠٦-١٠٧).

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ٥٠٧).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ١٠٦).

المفهوم الحادي عشر:
عدم مؤاخذة المتشبع بما لم يعط.

وهنا قاعدة قرآنية، تلفت الأنظار إلىٰ جزاء فئة من الناس - انتحلوا ما ليس فيهم من فضل؛ طمعًا بالثناء والحمد - ورفع وهمٍ بحسبان أن ما فعلوه ليس محلا للمؤاخذة والوزر. قال تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

صاحب الحسبان:

جاءت الآية الكريمة نهيًا للنبي ﷺ تعريضًا بهم؛ لا أنه حسبان واقع منه. قال أبو السعود: «وأما نهيه ﷺ فللتعريض بحسبانهم المذكور؛ لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته ﷺ»[(١)]، أو نهيًا لكل من يصلح للخطاب[(٢)]، أو نهيًا للمؤمنين - علىٰ قراءة ضم باء «تحسبُن» - إفصاحًا عن كيد أعدائهم، وحفظًا لأمر الدعوة، أو حديثًا عن الفرحين فلا يحسبن أنفسهم ناجية - علىٰ قراءة الغيب «يحسبَن» بالياء -[(٣)] بيانًا دامغًا بأحوال أخلاقهم، بالاطلاع علىٰ حقائق ضمائرهم.

متعلق الحسبان:

وقد اختلف أهل التأويل في بيان متعلق الحسبان؛ تبعًا لمسلكهم في النظر إلىٰ

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٦).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (٢/ ١٢٥).

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه ص١١٧، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبناء ص ٢٣٤.

سبب نزول الآية بين الجمع والترجيح، وإن رأوا عموم الحكم فيمن كان هذا حاله؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومنشأ الإشكال إخراج الصحيحين لكليهما، الأول: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْغَزْوِ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَنَزَلَتْ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الْآيَةَ(١). والحديث الثاني: أنها في أهل الكتاب في إجابة اليهود للنبي ﷺ بغير ما سئلوا عنه وكتموا ما عندهم من ذلك، ففي الصحيح «أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِبَوَّابِهِ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ فَرِحَ بِمَا أُوتِيَ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، مُعَذَّبًا، لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ، إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنْ قَدِ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨](٢)، وأكثر المفسرين(٣) علىٰ ترجيح رواية ابن عباس، وذلك لمناسبة السياق إذا كانت هذه الآية تتمة لحديث عنهم، وبيان شنيع أفعالهم في

(١) الصحيح، للبخاري – كتاب تفسير القرآن – سورة آل عمران – باب لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا، ٦/ ٤٠ ح٤٥٦٧.

(٢) الصحيح، للبخاري – كتاب تفسير القرآن – سورة آل عمران – باب لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا، ٦/ ٤٠ ح٤٥٦٨.

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ٧/ ١٤٧، المحرر الوجيز، لابن عطية (١/ ٥٥٢)، البحر المحيط، أبو حيان (٣/ ٤٦٥)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٩٣).

سباقها، قال الطبري: «وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ الآية، قول من قال: «عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله – جل وعز – أنه أخذ ميثاقهم، ليبين للناس أمر محمد ﷺ ولا يكتمونه؛ لأن قوله: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ الآية، في سياق الخبر عنهم، وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل علىٰ أنهم المعنيون بذلك»[(١)].

ولعل في ترجيح الرواية الأولىٰ في المنافقين وجهًا؛ إذ كونها جاءت بالصيغة الصريحة في سبب النزول لا التفسير (فنزلت...)، وهو ما يؤيده صنيع البخاري بتقديمه في الباب، واقتصار ابن حبان عليه في ذكر السبب الذي من أجله أنزلت الآية[(٢)]، والسياق لا يمنع ذلك؛ إذ تتم حديثًا عن أخلاق المعاصرين للنبي ﷺ من يهود ومنافقين، يدعوه إلىٰ المصابرة علىٰ ما كان من سوء أخلاقهم[(٣)]، «والموصول هنا بمعنىٰ المعرف بلام العهد؛ لأنه أريد به قوم معينون من اليهود أو المنافقين[(٤)]».

وقد رأىٰ فريق من العلماء الجمع بينهما حلاً لهذا الإشكال؛ بجعلهما من باب تعدد السبب والنازل واحد.

فقد أجاب الطحاوي تحت باب عقده في بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في السبب الذي قد نزلت لأجله ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ...﴾: «..أن لا تضاد في ذلك؛ لأنه قد يجوز أن يكون الأمران جميعًا قد كانا، فكان من المنافقين إلىٰ رسول الله ﷺ ما ذكره رافع وأبو سعيد، وكان من أهل الكتاب ما كان منهم إلىٰ

(١) جامع البيان، للطبري (٧/ ٤٧١).

(٢) ينظر: الصحيح، لابن حبان (١١/ ٣٤).

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٥٨).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٩٣).

رسول الله ﷺ مما ذكره ابن عباس؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية في ما كان من الفريقين جميعًا، فعلم رافع وأبو سعيد ما نزلت فيه مما كان من المنافقين، وعلم ابن عباس ما نزلت فيه مما كان من أهل الكتاب، ولم يعلم واحد من الفريقين ما علم الفريق الآخر ما نزلت فيه، فحدث كل فريق من الفريقين بما علم به مما كانت الآية نزلت فيه من السببين اللذين كان نزولها فيهما، وكان نزولها في الحقيقة في السببين جميعًا لا في أحدهما دون الآخر، فبان بحمد الله ونعمته أنه لم يبن لنا في شيء من هذه الروايات تضاد والله نسأله التوفيق»(١). وقال القرطبي: «والحديث الأول خلاف مقتضىٰ الحديث الثاني. ويحتمل أن يكون نزولها علىٰ السببين لاجتماعهما في زمن واحد، فكانت جوابًا للفريقين»(٢).

أو علىٰ اعتبار العموم بصلاح الاعتبار فيهما، وفي كل ما يصلح لذلك - أي باللفظ - بقطع النظر عن السبب والسياق المرتبط، قال ابن حجر: «ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتىٰ بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم»(٣).

وعليه - وأخذًا بخصوص السبب أو عموم اللفظ وانتظام المعهودين دخولًا أوليًا - فإنه يدخل تحت متعلق الحسبان المنهي عنه في نجاة الأحوال الآتية:

١- من اشتروا الثمن القليل بتغيير كلام الله تعالىٰ، وكتمان أمر نبوته ﷺ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان، وبأنهم أهل الدين والطاعة واتباع للوحي وأهل تأويله، وهم من ذلك أبرياء أخلياء(٤)،

---

(١) بيان مشكل الآثار، للطحاوي (٥/ ٣١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠٦-٣٠٧)، ينظر محاسن التأويل، للقاسمي (٢/ ٤٧٨)

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٢٣٣)، وينظر عمدة القاري، للعيني (١٨/ ١٥٧).

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري (٧/ ٤٧١- ٤٧٢)، الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٥١)، الجامع

ويدخل فيه كل من يكتم ما أنزل الله، ويحب أن يحمد علىٰ أنه من المجاهرين به[1]. «وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل»[2].

ومن يأتي وجوه الحيل في تحصيل الدنيا ويفرح بذلك، ثم يحب أن يحمد بأنه من أهل العفاف والنزاهة[3].

٢- من يتخلفون عن الغزو ويعتذرون بالمعاذير علامة علىٰ نفاقهم، فيقبل منهم النبي ﷺ ويحبون أن يحمدوا بأن لهم نية المجاهدين، وأنهم من أهل الإيمان والجهاد لكن العذر حبسهم[4]، ويدخل فيه كل من يتخلف عن طاعة الله وداعي جهاده، ويحب أن يحمد علىٰ أنه من الملتزمين بأمر الله، فإذا انهزم القوم فخروا بأنفسهم لتمهلهم، وإن انتصروا انتحلوا لهم سهما في النصر.

٣- «كل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه»[5]، ويدخل في ذلك المرائين المتكثرين،

لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠٧)، روح المعاني، للألوسي (٢/ ٣٦١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٩٣)، محاسن التأويل، للقاسمي (٢/ ٤٧٧)

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوىٰ (٢/ ٩٥٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي ص ١٦٠-١٦١.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٩/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٥١)، المحرر الوجيز، لابن عطية ١/ ٥٥٢، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠٦)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٦)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٩٣)، الأساس في التفسير، سعيد حوىٰ (٢/ ٩٥٨)

(٥) الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٥٢).

قال ابن كثير في تفسير الآية:(١) «يعني المرائين المتكثرين بما لم يُعْطَوا»، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «**من ادَّعَىٰ دَعْوىٰ كاذبة لِيتكَثَّر بها لم يَزِدْه الله إلا قِلَّة**»(٢). وفي الصحيح: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(٣) وهي كناية عن المتحلي بفضيلة لم يرزقها، وليس من أهلها(٤).

قال أبو عبيد: «يعني المتزين بأكثر مما عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل، كالرجل يلبس الثياب تشبه ثياب أهل الزهد في الدنيا يريد بذلك الناس، ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه منه، فهذه ثياب الزور والرياء»(٥).

ويخرج من ذلك وبالتقييد ﴿بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ المحمدة بالحق وفرح النفس وارتياحها بتيسير العمل وتمامه؛ قال الطيبي: «يعني: إن فرح أنه موفق من الله فلا بأس به»(٦)، ولعل هذا ما فهمه حبر الأمة في إخراج سائليه، فأجاب: «وما لكم ولهذه» عندما سئل: «لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذبنّ أجمعون»، فالمحمدة الصحيحة طريق للشكر لا البطر، وحب الثناء بالحق علىٰ العمل النافع من غرائز الفطرة التي يستعان بها علىٰ التربية العالية، واستنهاض الهمم غير مذموم ولا متوعد عليه، لكن يخرج منها ما إذ كانت محمدة الحق علىٰ ذلك العمل في بعض الأحيان طريقًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٨١).

(٢) الصحيح، لمسلم - كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، ١/ ٧٣ ح ١١٠.

(٣) الصحيح، للبخاري - كتاب النكاح - باب المتشبع بما لم ينل وما ينهىٰ من افتخار الضرة، ٧/ ٣٥ ح٥٢١٩.

(٤) ينظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري (٢/ ٢١٧).

(٥) غريب الحديث، لأبي عبيد ابن سلام (٢/ ٢٥٣) بتصرف يسير.

(٦) حاشيته علىٰ الكشاف (٤/ ٣٧٧).

لفرح العجب والغرور وفتور الهمة لصاحبه، فتعود إلىٰ دائرة الذم، وهذا من أسباب نهيه ﷺ عن المدح في أحاديث منها[1]: فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مِرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَدًا**». قَالَ وُهَيْبٌ عَنْ خَالِدٍ: وَيْلَكَ[2].

جواب الحسبان:

قرر ذم من ثبت جرمه فيما سبق من أحوال، ووعيده بمسالك منها: تصدير الوعيد بتكرار النهي عن الحسبان تأكيدًا وإيضاحًا لقصتهم[3]، وتنبيهًا علىٰ بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة بالنجاة من عذاب الآخرة، كما زعموا نجاتهم من المؤاخذة الدنيوية[4].

ثم تكرار الوعيد، فافتتح - بعد تشويق السامع لمصير أولئك بعد بيان جناياتهم - بعدم النجاة من عذاب متربص بهم، وثني باستحقاقهم العذاب لثبوت جرمهم، ووصف بالأليم مناسبة لما اقترفوا من فرح بتدليسهم[5]، وجزاء علىٰ فعلتهم، وكان الأحرىٰ بهم أن ينكسروا لإثمهم أو يطلبوا الستر لا أن يترقبوا الثناء من الناس؛ فكان الألم مصيرهم.

◆ ◆ ◆

(١) ينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (٤/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) الصحيح، للبخاري - كتاب الأدب - باب ما يكره من التمادح، ٨/ ١٨ ح ٦٠٦١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٩٨).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٢/ ١٢٦).

(٥) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٣/ ٤٦٨).

المفهوم الثاني عشر:
تمحض المصائب للشر

وفيه رفع ما يمكن أن يتوهم من شر محض بالنظر إلىٰ عاجل الأمور دون مآلاتها، وتقرير اعتقاد المؤمن بخيرية البلاء؛ تفاؤلًا بما يعقبه من خير عميم بإذن الله، فيتحصل الرضا والتسليم بالأقدار المؤلمة، بعد اليقين بتدبير الله لهذا الكون وفق قدرته وحكمته، قال ابن القيم: «كل قدر يكرهه العبد ولا يلائمه لا يخلو: إما أن يكون عقوبة علىٰ الذنب فهو دواء لمرض لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامىٰ به المرض إلىٰ الهلاك، أو يكون سببًا لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه، فالمكروه ينقطع ويتلاشىٰ وما يترتب عليه من النعمة دائم لا ينقطع، فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضىٰ عن ربه في كل ما يقضيه له ويقدره»(١).

فتسكن النفس ويطمئن القلب بخير آجل وإن آلمته مباديها، فكان سجن يوسف ﷺ طريقًا لبراءته وتمكينه في الأرض، وألقي موسىٰ ﷺ في لجج البحار ماضيًا إلىٰ تحقيق الدعوة إلىٰ الإيمان وإهلاك فرعون، وكانت بدر التي لم يودها المسلمون فرقانًا بين الحق والباطل، وحقق صلح الحديبية الذي لم يرتضوا بعض بنوده فتحًا مبينًا.

وقد تجلت هذه القاعدة القرآنية دعوة صريحة بنفي حسبان الشر المحض والتنبيه إلىٰ عاقبة الخير في قوله تعالىٰ(٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢١٢).

(٢) ومن نظائر هذه الآية التي تقرر انتفاء تمحض الشر بغير حسب قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ

خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

فكانت حادثة الإفك من أعظم الابتلاءات التي مرت علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ المسلمين؛ إذ رمي المجتمع المسلم في عرضه حين رمي بيت النبوة في عرضه، فتزلزل المجتمع المسلم مع تلبث الوحي، ولم يملك النبي ﷺ أن يصدح ببراءة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، مع تيقنه منها، وقد تفتق كبدها ألمًا ومرارة، وتساور الحيان في المسجد، وبالسلاح يتنازعون علىٰ شرف قتل هذا الطاعن عند ما اشتكىٰ إليهم النبي ﷺ قائلًا: «**يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟ يعني عبد الله بن أبيّ فو الله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرًا**»(١).

وكل ذلك من المضرة العاجلة وشر المبادي، فجاء الخطاب للمؤمنين، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان - رضي الله عنهم أجمعين -(٢) بالنهي عن حسبان أن ذلك من الشر، طمأنة لهم بل وتسلية بأنه من الخير؛ بما جعل في طي هذا البهتان من الألطاف الخفية، قال الألوسي: «ونهوا عن حسبان ذلك شرًا لهم إراحة لبالهم بإزاحة ما يوجب استمرار بلبالهم، وأردف سبحانه النهي عن ذلك بالإضراب، بقوله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ اعتناء بأمر التسلية»(٣)، خير لهم في الدنيا

لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

(١) الصحيح، للبخاري - كتاب الشهادات - باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، ٣/ ١٧٣ ح٢٦٦١.

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للطيبي (١١/ ٣٣).

(٣) روح المعاني، للألوسي (٩/ ٣١١).

والآخرة، لسان صدق في الدنيا ورفعة في الآخرة(١)، و«ألطاف للسامعين والتالين إلىٰ يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفىٰ علىٰ متأمليها»(٢)، وقد التمست الحكم الجليلة ومظاهر الخيرية المنصوص عليها في **جواب الحسبان** فيما يأتي:

أولًا: رضوان الله وجزيل الثواب لـ:

- صبرهم علىٰ ذلك البلاء المبين والمحنة الظاهرة؛ طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ، وتطبيقًا لمنهج المؤمنين العارفين بذلة العبودية الراضين بقضاء الله «إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٣).

- إخلاصهم لله تعالىٰ، وإقبالهم عليهم، وتضرعهم بدعائه؛ إذ لا مرجع في رفع الشدائد إلا إليه.

- عفوهم عن الخائضين بالإفك، كعفو الصديق رضي الله عنه عن مسطح والعود في الإنفاق عليه.

- شكرهم الله علىٰ عظيم نعمائه؛ إذ جعل لهم مخرجًا.

ثانيًا: عظم الفضل وشرف المكانة والكرامة علىٰ الله:

إذ أنزل الله ثمان عشرة آية كل واحدة منها مستقلة ببراءة عائشة رضي الله عنها وقد رجت الصديقة أن تنزل براءتها برؤيا حق فجاءت كرامتها العظمىٰ في قرآن يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة(٤) فخرت

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٢٥)

(٢) الكشاف، للزمخشري (٣/ ٢١٧).

(٣)ينظر: الكشاف، للزمخشري (٣/ ٢١٧)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٣ / ٣٣٨).

(٤) قالت رضي الله عنها: «...وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا...»، الصحيح، للبخاري - كتاب الشهادات - باب تعديل النساء بعضهن بعضًا، ٣/ ١٧٣ ح٢٦٦١.

به[١]، وذكرت به عند موتها تعزية لها[٢].

قرآن يتلىٰ، فيه تنزيه لأم المؤمنين – رضوان الله عليها – بل مدحٌ لسائر أمهات المؤمنين، وتطهيرٌ لأهل البيت، وتهويلٌ لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وشهادة من الله تعالىٰ بكذب القاذفين، ونسبهم إلىٰ الإفك، وتشديد الوعيد عليهم؛ إذ أوجب عليهم اللعن والذم، وفي هذا غاية الشرف والفضل[٣].

ثالثًا: تمحيص الصف وفضح المنافقين وإبراز كيدهم وما يضمرونه من سوء للنبي ﷺ وأهل بيته وللمؤمنين؛ إذ لولا إظهارهم للإفك لبقيت هذه التهمة كامنة في الصدور، وعند الإظهار انكشف كذب القوم علىٰ مر الدهر[٤].

رابعًا: الانتصار للقرآن: بإثبات أن هذا القرآن وحي من عند الله، وما النبي ﷺ إلا بشر يوحىٰ إليه، لا يعلم الغيب؛ إذ لو كان هو من سطر القرآن لما تلبث شهرًا في عناء عظيم، قال صاحب النبأ العظيم: «فماذا كان يمنعه – لو أن أمر القرآن إليه – أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، وينسبها إلىٰ الوحي السماوي لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب علىٰ الناس ويكذب علىٰ الله»[٥].

– **خامسًا: صارت شرعًا عامًا للمؤمنين في تحريم القذف**، وبيان أخذهم

(١) ينظر: قصتها مع زينب رضي الله عنها، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٧١).

(٢) ينظر: قصتها مع ابن عباس رضي الله عنهما، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٧١).

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري (٣/ ٢١٧)، التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٣/)٣٣٨، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٢٥)، روح المعاني، للألوسي (٩/ ٣١١)، تيسر الكريم الرحمن، للسعدي، ص٥٦٣.

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي (٢٣ / ٣٣٨).

(٥) النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز ص٥٣.

بالعقوبة، ثم بيان المنهج القويم في التعامل مع الإشاعات ورد الأكاذيب وحفظ اللسان[1]، وغيرها من هذه الفوائد الخفية والألطاف السماوية.

وستبقى هذه القاعدة القرآنية ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ تحقيقًا لفهم مَن ألمت به الخطوب، وسببًا لصبره ومجلبة لرضاه، ذِكْرى ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي٥٦٣.

المفهوم الثالث عشر:
ترك المؤاخذة بقول اللسان

وفيه دعت (حسب) إلىٰ حفظ اللسان؛ إذ تنبه علىٰ خطأ عظيم، وتسهم في تصحيح مفهوم بئيس في عدم المؤاخذة علىٰ حصائد الألسن، ومجازفاتها، واستخفاف الناس بنشر الأخبار؛ يطيرون بها في الآفاق، بلا نظر أو تدقيق، يهرفون بما لا يعرفون، يهونون لحسبانهم ذاك ما عظمت مسؤوليته، وثقلت تبعته، قال تعالىٰ:

(١)﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

إذ مثلت الآية الكريمة لتلك الآفات؛ بفيض الناس وخوضهم في حديث الإفك، «يلَقَّوْنَهُ بألسنتهم»: أي يأخذه بعضهم عن بعض(٢)، وهي قراءة الجماعة، وتوضح معناها - ببيان كيفية ذلك التلقي - القراءة الشاذة عن عائشة ﵂ «إذْ تَلِقُونَهُ بألسِنَتِكُم» - بفتح التاء وكسر اللام - قال ابن السكيت أي: «تسرعون القول

(١) ومن نظائر هذه الآيات التي تبين قيمة اللسان وتدعو إلىٰ حفظه بغير تنبيه حسب: قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقوله ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(٢) ينظر: العين، للخليل بن أحمد (٥/ ٢١٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦/ ٢٤٨٤).

فيه»[1]، وقال ابن الأنباري: «علىٰ معنىٰ: إذ تستمر ألسنتكم بالخوض في ذلك، والكذب فيه»[2].

ولا أدل علىٰ تصوير سرعة وخفة تلك الأقوال المتداولة؛ حتىٰ إذا وصلت أديرت إلىٰ غيرها، دون أدنىٰ تأمل، من إسناد التلقي إلىٰ الألسنة دون الأسماع، بل أضحىٰ الصائح بالخبر كأنه لسان يمشي هنا وهناك، قال ابن عاشور: «ففي قوله: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تشبيه الخبر بشخص، وتشبيه الراوي للخبر بمن يتهيأ ويستعد للقائه استعارة مكنية؛ فجعلت الألسن آلة للتلقي علىٰ طريقة تخييلية؛ بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء. وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي مع أن تلقي الأخبار بالأسماع؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجازًا بعلاقة الأيلولة. وفيه تعريض بحرصهم علىٰ تلقي هذا الخبر فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث. وهذا تعريض بالتوبيخ أيضًا»[3].

وفي ذلك مخالفة للنهج الصحيح والأدب النبوي في تحمل الأخبار ووعيها قبل أدائها، قياسًا علىٰ ضوابط تبليغ مقالته ﷺ حيث قال: «**نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلىٰ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[4].

---

(١) كتاب الألفاظ، لابن السكيت (ص: ٢٠١)، وينظر المخصص، لابن سيده (١/ ٢٧٣)، والمحتسب، ابن جني (٢/ ١٠٣).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، للأنباري (١/ ٥٠٠).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٨/ ١٧٨).

(٤) جزء من حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسند – مسند أنس بن مالك ﷺ، ٥/ ٢٨٢٣ح١٣٤٩٧.

ومما يؤكد هذا الأدب السلوكي، ويتمم النعي عليهم انتفاء تمهلهم وتثبيتهم. وتقييد قولهم بـ(الأفواه) تنبيهًا وتمهيدًا لوصفها بعد أنها ليس لهم بها علم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي «ليس إلا قولًا يجرىٰ علىٰ ألسنتكم، ويدور في أفواهكم، من غير ترجمة عن علم به في القلب، كقوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾» قاله الزمخشري[(١)].

وفي ذلك دلالة علىٰ عدم جواز الإخبار إلا مع العلم والتبين، وإلا كان ذلك كالإخبار عما علم كذبه في الحرمة، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[(٢)]، بل قام العلم في هذا المقام علىٰ نقيض ما أفاضوا فيه وأذاعوه في حق زوج النبي ﷺ[(٣)].

وتمم جواب الحسبان بأنهم ما فعلوا ذلك إلا لحسبان باطل؛ باستصغار ما اقترفته ألسنتهم وهوانه عليهم، ظنًا أن لا إثم عليهم ولا حرج ولا تبعة، والحال أنه عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب[(٤)]. قال الرازي: «نبه بقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ علىٰ أن عظم المعصية لا يختلف بظن فاعلها وحسبانه، بل ربما كان ذلك مؤكدًا لعظمها من حيث جهل كونها عظيمًا»[(٥)].

وفي هذا زجر بليغ عن ارتكاب الذنوب علىٰ وجه التهاون بها، فإن حسبان العبد لا يفيده شيئًا ولا يخفف من الوزر.

(١) الكشاف، للزمخشري ٣/ ٢١٩، وينظر التفسير الكبير، للفخر الرازي ٢٣/ ٣٤٣، أنوار التنزيل، للبيضاوي ٤/ ١٠١.

(٢) الصحيح، لمسلم - مقدمة - باب النهي عَنْ الحديث بكل ما سمع، ١/ ٨ ح ٥.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي ٢٤/ ٣٤٣، التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٨/ ١٧٨.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي ٤/ ١٠١، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود ٦/ ١٢٦.

(٥) التفسير الكبير، للفخر الرازي ٢٣/ ٣٤٣.

وقد حملت السنة المطهرة التنبيه ذاته إلىٰ بطلان عدم توثير اللسان والمبالاة بشأنه، كما جاء في الحديث عن معاذ ﵁ وحواره مع النبي ﷺ يدله علىٰ أبواب الطاعات، إلىٰ أن قال ﷺ: «.. **أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: اكْفُفْ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَإِنَّا لَمَأْخُوذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

◆ ◆ ◆

(١) الجامع، للترمذي - أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في حرمة الصلاة، ٤/ ٣٦٢-٣٦٤ ح٢٨٤١. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الخَاتِمَة

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه؛ إذ أفاض عليَّ من كرم جوده، وواسع فضله، في فهم وتدبر دعوات ربانية؛ لرفع الوهم وتسديد الفهم، ويطيب لي في هذا المقام أن أسجل النتائج الآتية:

- تنوعت أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الوهم وتحقيق الفهم وإزالة ما قد يشوش علىٰ الحقيقة، أو يزين الباطل، منها: إنكار الوهم، والتعريض بالمتوهم باستخدام الاستفهام الإنكاري، والتنبيه علىٰ الوهم المرجوح بما في حيز النفي وتصحيح الفهم استدراكًا بعد لكن، وردع موقظ للمخطئ في توهمه بتصحيح الفهم بعد (كلا)، وإبطال وإضراب عما هو مظنون موهوم، وتحقيق للفهم بما هو في حيز (بل)، و (بلىٰ) بمعنىٰ بل، وتنبيه لما بطل تصوره قبل (قل)، وتلقين للحجة في رده بعدها. والتنبيه بأفعال الرجحان (ظن وزعم وحسب) علىٰ توهم مرجوح الظن داعية لتصحيح الفهم.

- لـ(حسب) أصول أربعة: الأول: العد والإحصاء، ومنه الحسبان المعنوي، أي كون حسب من أفعال القلوب الدالة علىٰ الرجحان، والثاني: الكفاية، والثالث: الوسادة الصغيرة، والرابع: تغير لون الجلد.

- يدل الفعل (حسب) علىٰ الرجحان أو إرادة الاعتقاد الراجح، وفيه معنىٰ الحساب الحسي، فكأن صاحب الحسبان أجرىٰ عملية حساب، وتدقيق، ونظر عقلي، أثمرت تصوره وحسبانه، وليس مثله الظن الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنىٰ سبب.

- يفيد (حسب) اعتقاد الرجحان مقتربًا من الجزم ومترددًا إلىٰ اليقين، فهو يقين مبني علىٰ أمارات العلم والنظر مشوب بالشك، يحكم فيه الحاسب لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله، فيحسبه ويعقد عليه الإصبع، وليس كذلك الظان الذي يخطر النقيضين بباله فيغلب أحدهما علىٰ الآخر.

- راعىٰ الاستعمال القرآني تلك الدلالة الدقيقة للفعل حسب، في التنبيه علىٰ أوهام تصورها أصحابها بعد نظر عقلي فاسد وتأمل أعمىٰ، أفضىٰ بهم إلىٰ مفاهيم خاطئة وتصورات باطلة، فكانت (حسب) داعية إلىٰ تصحيح تلك المفاهيم الدعية علىٰ العلم والحساب الدقيق.

- حف (حسب) بجملة من الأساليب التي نبهت علىٰ بطلان الحسبان: كاقتران حسب بالاستفهام الإنكاري أو بالنهي المؤكد بالنون الثقيلة، أو التعقيب بما يقرر بطلانه، وحسم الجواب في رده مشفوعًا بأدوات متنوعة: كصريح الإبطال، والتهكم وذكر وخيم العاقبة، ونحو ذلك.

- أحصت الدراسة من تلك الأوهام المتخيلة والمفاهيم المرجوحة ثلاثة عشر مفهومًا، من مهمات العقيدة والسلوك، في أربعة وثلاثين موضعا بالفعل (حسب) وتصاريفه، وهي:

أولًا: تحقق الإيمان بلا تكليف، واستحقاق النصر والتمكين والجنة والنعيم بلا تمحيص، ودُفع بما هو سنة ربانية لا تتبدل في العمل والجزاء، وهي أن مقتضىٰ الإيمان الفتون والمكاره، فإذا ما تمحض الإيمان تحقق النصر والتمكين في الحال، وأزلفت الجنة في المآل.

ثانيًا: مفازة المسيئين من العذاب، وإمهالهم خير لهم، وإمدادهم بالنعم إكرام ومزية، ودفع بما هو سنة من سنن الله أيضًا وهي أن أخذ الكفار وعقابهم طريق لا

يتخلف، وإمهالهم زيادة لهم في الإثم، واسترسالٌ لهم في الفسق وحرمانٌ لهم من نعمة الابتلاء الموقظة، حتىٰ يلقوا العذاب المهين في موعد مضروب وفق حكمة الله وتقديره.

ثالثًا: **منفعة الكافر بعمله ومجازته عليه.** ودفع بما هو سنة ثابتة أن الجزاء من جنس العمل، فلا اعتبار لأعمال الكفار ولا حسنات لهم توزن ولا مثاقيل لعدم وجود شرطها، وهو الإيمان.

رابعًا: **وجود الأولياء ونصرتهم من دون الله**، ودفعت ولايتهم بفوات مقتضيات الولاية من النصرة والحماية من عباد من خلق الله لا يملكون لأنفسهم نفعًا أو ضرًا، وقرر بطلان حسبانهم بوسمهم بالضلال وبذكر سوء عاقبتهم في النار.

خامسًا: **انتفاء غاية الخلق واستبعاد البعث.** ودفع هذا الحسبان بتنزيه الله وتعاظمه عن هذا العبث؛ وهو الخلق سدىٰ وهملًا بلا بعث وحساب، وبجملة من الحجج الدامغات، منها: أن القادر علىٰ الخلق الأعظم قادر علىٰ ما هو دونه، ومن قدر علىٰ بدأ الخلق من عدم قادر علىٰ الإعادة.

سادسًا: **انقطاع حياة الشهداء وفوات نعيمهم بعد الموت**، ودفع ببيان التصور السديد للحياة والموت، الذي يثمر قيمة عظمىٰ في تقدير الأمور، واستقبال الموت بقلوب مطمئنة راضية بأقدار الله؛ إذ علم انتفاء موت الشهداء باعتبار أن ما بعده عدم، يتركون سدىٰ لا يحسون شيئًا ولا يلتذون ولا ينعمون، وإثبات حياتهم، وتحليهم بخصائص الأحياء والنعيم المقيم من وقت قتلهم، وفي برزخهم قبل مبعثهم.

سابعًا: **كنز المال غنيمة لصاحبه، وطريق خلوده**، ودفع بتسجيل حوبة البخيل بإثبات شر عمله وإن كان مفهومًا من نفي الخيرية والمنفعة عنه قبلًا، وبوخامة عاقبته في المآل – جزاء وفاقًا – بنار تطوقه وتحطم وتكسر كل ما وقع فيها مهانًا بعد

أن اعتقد أنه من أهل الكرامة.

ثامنًا: **تماثل الضدين، والمساواة بين المحسن والمسيء**، ودفع بعد إنكاره بمجمل الجواب؛ وسمًا بسوء الحكم، وبمفصله؛ إذ حصول التفاوت في الدرجات والدركات بين المحقين وبين المبطلين من لوازم قيام أمر هذا الكون علىٰ نظام الحق والعدل؛ تحقيقًا للجزاء الأوفىٰ الذي هو عنوان علىٰ العدل، فالمجازىٰ غير مظلوم، بل مجزي بما قدمته يداه.

تاسعًا: **خفاء الباطن علىٰ الله**، ودفع بتسجيل الخبر المؤكد بكذب كل متستر بالباطل، وكل صاحب ضغينة في دعواه أن الله غير مطلع عليهم، وبتقرير أن الله سامع مطلع علىٰ سرهم ونجواهم، وهناك من يلازمهم من الملائكة يكتب ويقيد تلك الأعمال والأقوال الخافتة؛ ليؤخذوا بها في يوم الجزاء والحساب.

عاشرًا: **اعتبار الظاهر دون تنقيب**، ومن صور دفع هذا الحسبان المرجوح، رد حسبان انتفاع الكفار بحواسهم في سماع الآيات وعقلها بتقرير حاسم في انتفاء انتفاعهم وانحطاط رتبتهم بأنهم كالأنعام بل هم أضل؛ إذ تنقاد الأنعام لمربوبيها ولا ينقادون هم لله خالقهم ورازقهم، ودفع حسبان اجتماع أجساد الذين كفروا من أهل الكتاب – مظنة لالتئام قلوبهم – بإقرار تفرقهم وأنهم مختلفون غاية الخلاف فبينهم إحن وعداوات، فلا يرمون عن قوس واحدة، وأنه مسبب عن نفي فهم عقولهم فكان ذلك شقوة لهم حصلت منها سعادة للمسلمين.

الحادي عشر: **عدم مؤاخذة المتشبع بما لم يعط**، ودفع بتقرير ذم فاعله واستحقاقه الوعيد بمسالك منها: تصدير الوعيد بتكرار النهي عن الحسبان؛ تأكيدًا وإيضاحًا لقصتهم، وتنبيها علىٰ بطلان آرائهم الركيكة، وقطع أطماعهم الفارغة بالنجاة من عذاب الآخرة كما زعموا نجاتهم من المؤاخذة الدنيوية، ثم

تكرار الوعيد بعدم النجاة من عذاب متربص بهم، وثني باستحقاقهم العذاب لثبوت جرمهم، ووصف بالأليم؛ مناسبة لما اقترفوا من فرح بتدليسهم.

الثاني عشر: **تمحض المصائب للشر**، ودفع بالتنبيه إلىٰ عاقبة خير عميم عظيم في الحال والمآل في الدنيا والآخرة، كما حصل في حادثة الإفك؛ إذ برزت جملة من مظاهر الخيرية والألطاف الخفية، كاستحقاق المبتلون جزيل الثواب لصبرهم وإخلاصهم لله، وتوكلهم علىٰ الله، ورفيع الدرجات والكرامات النيرات؛ إذ أنزل في أم المؤمنين قرآن يتلىٰ، ومحّص الصف وفضح المنافقون وأبرز كيدهم، وأثبتت مصدرية القرآن وحيًا من عند الله.

الثالث عشر: **ترك المؤاخذة بقول اللسان**، ومثل لذلك بحسبان الناس فيضهم وخوضهم في حديث الإفك هينًا لا تبعة عليه، ودفع أولًا بإسناد تلقي الأقوال المتداولة إلىٰ الألسنة دون الأسماع تصويرًا لسرعتها وخفتها حتىٰ إذا وصلت أديرت إلىٰ الآخرين دون أدنىٰ تأمل، ثم بتقييد قولهم بـ(الأفواه) أي تجري علىٰ ألسنتهم وتدور في أفواههم من غير ترجمة عن علم بها في القلب، وتمم جواب الحسبان بوصفه بالعظمة، فالحال أنه عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب.

وقد انقدحت عن هذه الدراسة توصيات هي:

١- دراسة أساليب القرآن العظيم وأدواته في رفع الأوهام وتصحيح الأفهام دراسة شاملة محكمة في أطروحة علمية.

٢- دراسة كل مفهوم من المفاهيم الباطلة التي نوه بها القرآن العظيم دراسةً مخصوصة تستنبط منهج القرآن وجميع أساليبه في دفعه بوصف الداء وبيان الدواء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثَبَتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِع

١ -«إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر». البناء، أحمد بن محمد الدمياطي. تحقيق: أنس مهرة. ط: الثالثة، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.

٢ -«الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان». ابن بلبان، علي بن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط: الأولىٰ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨ م.

٣ -«ارتشاف الضرب من لسان العرب». أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. تحقيق: رجب عثمان محمد. ط: الأولىٰ، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٨ م.

٤ -«إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». أبو السعود، محمد بن محمد. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٥ -«الأساس في التفسير». سعيد حوّىٰ. ط: السادسة، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤ هـ.

٦ -«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. بيروت: دار الفكر للطباعة، ١٩٩٥ م.

٧ -«أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، عبد الله بن عمر. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

٨ -«أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك». ابن هشام، عبد الله بن يوسف. تحقيق: يوسف البقاعي. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٩ -«البحر المحيط في التفسير». أبو حيان، محمد بن يوسف. تحقيق: صدقي محمد جميل. ط:١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.

١٠ - «بيان مشكل الآثار». الطحاوي، أحمد بن محمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط الأولىٰ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

١١ - «التحرير والتنوير: تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٢- «التَّفْسِيرُ البَسِيْط». الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري. تحقيق: أصل رسائل دكتوراة بجامعة الإمام. ط: الأولىٰ، الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

١٣- «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد رشيد بن علي. د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٤- «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م.

١٥- «التفسير الوسيط للقرآن الكريم». طنطاوي، محمد سيد. ط: الأولىٰ، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بين ١٩٩٧-١٩٩٨م.

١٦- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان». السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٠م.

١٧- «جامع البيان في تأويل القرآن». الطبري، محمد بن جرير. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط: الأولىٰ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م.

١٨- «الجامع الصحيح». البخاري، محمد بن إسماعيل. ط: الأولىٰ، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٩- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. تحقيق: سمير البخاري. ط: الأولىٰ الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣ م.

٢٠- «الجامع». الترمذي: محمد بن عيسىٰ. د.ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦ - ١٩٩٨م.

٢١- «الحجة القراءات». ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.

٢٢- «الحجة في القراءات السبع». ابن خالويه، الحسين بن أحمد. تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم. ط الرابعة، بيروت: دار الشروق، ١٤٠١هـ.

٢٣- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون». السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، د.ط، دمشق: دار القلم، د.ت.

٢٤- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». الألوسي، محمود بن عبد الله. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط: الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.

٢٥- «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط: السابعة والعشرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٤م.

٢٦- «الزاهر في معانيٰ كلمات الناس». الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. تحقيق: د. حاتم صالح الضامن. د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢م.

٢٧- «شرح ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك». ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: ط٢٠، دار التراث، دار مصر للطباعة، ١٩٨٠م.

٢٨- «شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك». الأُشْمُوني، علي بن محمد بن عيسىٰ. ط: الأولىٰ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢٩- «شرح المفصل للزمخشري». ابن يعيش، يعيش بن علي. ط: الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

٣٠- «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهري، إسماعيل بن حماد. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٣١- «الصحيح المسند». مسلم، مسلم بن الحجاج. د. ط، بيروت: دار الجيل (مصورة من ط التركية المطبوعة في إستانبول سنة ١٣٣٤ هـ). وترقيم الأحاديث، وفق طبعة: (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة).

٣٢- «عمدة القاري شرح صحيح البخاري». العيني، محمود بن أحمد الحنفي، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٣٣- «غريب الحديث لابن سلام (الجزء الاول)». ابن سلام. القاسم بن سلام. ط: الأولىٰ، الهند: بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٩٦٤ م.

٣٤- «الفائق في غريب الحديث والأثر». الزمخشري، محمود بن عمرو. تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: الثانية، بيروت: دار المعرفة، د. ت.

٣٥- «فتح الباري شرح صحيح البخاري». ابن حجر، أحمد بن علي. د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.

٣٦- «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)». الطيبي: الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: جميل بني عطا. ط: الأولىٰ، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣م.

٣٧- «كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)». ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. تحقيق: فخر الدين قباوة. ط: الأولىٰ، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.

٣٨- «كتاب العين». الخليل، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٩- «كتاب سيبويه». سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت.

٤٠- «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم». التهانوي، محمد علي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.

٤١- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». الزمخشري، محمود بن عمرو. ط: الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

٤٢- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم بن علىٰ. ط: الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٤٣- «محاسن التأويل». القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط: الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.

٤٤- «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها». ابن جنىٰ، أبو الفتح عثمان. د.ط، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م.

٤٥- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». ابن عطية، عبد الحق بن غالب. تحقيق: عبد السلام محمد. ط: الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.

٤٦- «المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية». المزيني، خالد بن سليمان. ط: الأولىٰ، الدمام: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٦م.

٤٧- «المخصص». ابن سيده، علي بن إسماعيل. تحقيق: خليل إبراهم جفال. ط: الأولىٰ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.

٤٨- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد المعتصم بالله. بيروت: دار الكتاب العربي، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٤٩- «معالم التنزيل». البغوي، الحسين بن مسعود. تحقيق: محمد النمر وآخرون. ط: الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

٥٠- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، إبراهيم بن السري. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط: الأولىٰ، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م.

٥١- «معاني النحو». فاضل صالح السامرائي، الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٥٢- «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط الأولىٰ، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥٣- «مفاتيح الغيب = التفسير الكبير». الرازي، محمد بن عمر. ط: الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

٥٤- «المفردات في غريب القرآن». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط: الأولىٰ بيروت-دمشق: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

٥٥- «المقتضب». المبرد، محمد بن يزيد. تحقيق: محمد عظيمة. د.ط، بيروت: عالم الكتب، د.ت.

٥٦- «النشر في القراءات العشر». ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. تحقيق: علي محمد الضباع، د.ط، المطبعة التجارية الكبرىٰ [تصوير دار الكتاب العلمية]، د.ت.

٥٧- «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور». البقاعي، إبراهيم بن عمر البقاعي. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ط الأولىٰ، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

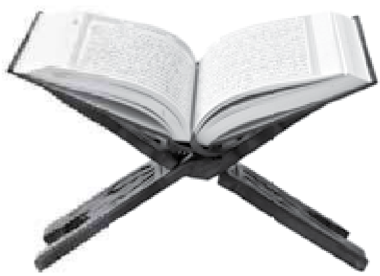
٥٨- «النكت والعيون». الماوردي، علي بن محمد. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٩- «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. د.ط، مصر: المكتبة التوفيقية، د.ت.

المَوْضُوعَات

مستخلص البحث ٢٦٩
المقدمة ٢٧٣
المبحث الأول: أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن، والتصحيح بـ(حسب) ٢٧٧
المطلب الأول: أساليب تصحيح المفاهيم في القرآن ٢٧٧
المطلب الثاني: تصحيح المفاهيم بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن ٢٨٣
المبحث الثاني: المفاهيم المصححة بـ(حسب) وتصاريفه في القرآن ٢٨٨
المفهوم الأول: تحقق الإيمان بلا تكليف، واستحقاق النصر والتمكين والجنة والنعيم بلا تمحيص ٢٨٨
المفهوم الثاني: مفازة المسيئين من العذاب، وإمهالهم خير لهم، وإمدادهم بالنعم إكرام ومزية . ٢٩٤
المفهوم الثالث: منفعة الكافر بعمله ومجازاته عليه ٣٠٠
المفهوم الرابع: وجود الأولياء ونصرتهم من دون الله ٣٠٣
المفهوم الخامس: انتفاء غاية الخلق واستبعاد البعث ٣٠٦
المفهوم السادس: انقطاع حياة الشهداء وفوات نعيمهم بعد الموت ٣٠٩
المفهوم السابع: كنز المال غنيمة لصاحبه، وطريق خلوده ٣١٤
المفهوم الثامن: تماثل الضدين، والمساواة بين المحسن والمسيء ٣١٩
المفهوم التاسع: خفاء الباطن على الله ٣٢٣
المفهوم العاشر: اعتبار الظاهر دون تنقيب ٣٢٧
المفهوم الحادي عشر: عدم مؤاخذة المتشبع بما لم يعط ٣٣٣
المفهوم الثاني عشر: تمحض المصائب للشر ٣٤٠
المفهوم الثالث عشر: ترك المؤاخذة بقول اللسان ٣٤٥
الخاتمة ٣٤٩
ثبت المصادر والمراجع ٣٥٤
الموضوعات ٣٥٩



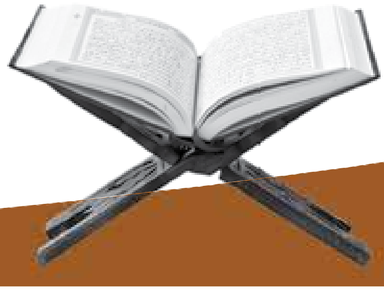


ثانيًا: مُسْتَخْلَصَاتُ الرَّسَائِلِ
والمَشَارِيعِ العِلْمِيَّةِ

مجلة تدبر



تقرير عن رسالة علمية بعنوان:
(استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم)
تأصيل وتقويم



للباحث: د. عبدالله بن عمر بن أحمد العمر

- العنوان: استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم - تأصيل وتقويم
- الباحث: عبد الله بن عمر بن أحمد العمر
- المشرف: أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
- الدرجة: الدكتوراه
- الجهة المانحة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
- سنة الإجازة: ١٤٤١هـ
- التقدير: ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى
- الوصف المادي: تقع الرسالة في مجلد من ٥٠٠ صفحة.

مجلة تدبر

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد امتن الله سبحانه على هذه الأمة بمِنَن عظيمة؛ مِن أجلِّها هذا الكتاب العظيم، الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وقد تكفَّل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩]، وأوجب على العباد النصح لكتابه، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصيحةُ، قلنا: لمَن؟ قال: لله ولكتابه ولرَسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتِهم**»(١)، وإن من النصح لكتاب الله الكريم إبلاغ معانيه للناس، وتفسير آياته لهم، وتسخير الوسائل الممكنة لذلك، مع المحافظة على قدسيته، وعدم الاستهانة به أو التهوين من أمره.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (١/ ٧٤) برقم: (٥٥).

وإن وسيلةَ الصورة من أبرز الوسائل المعاصرة وأشدِّها تعلقًا بمعاني القرآن الكريم، فقد شهدت في الآونة المتأخرة انتشارًا كبيرًا، وتطورًا متسارعًا في وسائل الإعلام والتعليم، وكان لارتباطها بالقرآن الكريم نصيبٌ وافر يستدعي دراسة استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم، وتمييز ما يسوغ منه مما يمنع وفق نصوص الشريعة وقواعدها.

ولمَّا كان الأمر بهذه المثابة، ولم أجد مَن استوعب هذه النازلة بحثًا = فقد استعنتُ بالله وعقدتُ العزمَ بعد الاستخارة والاستشارة علىٰ أن تكون أطروحتي لدرجة العالمية العالية (الدكتوراه) بعنوان: **(استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم - تأصيل وتقويم)**.

واللهَ تعالىٰ أسأل أن يمنَّ عليَّ بتوفيقه، ويلهمني الصوابَ في القول والعمل، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

◆ الأهمية العلمية للموضوع:

تتبين أهمية الموضوع من خلال الأمور الآتية:

١- تعلقه بكتاب الله تعالىٰ، وذلك من جهة خدمته بما دلت الأدلة علىٰ جوازه، مع المحافظة علىٰ قدسيته ومكانته.

٢- ما يتميز به الموضوع من الجِدَّة، فلم أقف علىٰ رسالة علمية تأصيلية مستوعبة فيه، راجيًا أن يكون في هذه الدراسة إضافة علمية في هذا الشأن.

٣- مواكبة الموضوع للتطور المعاصر في وسائل الإعلام المرئية التي غلبت فيها الصورة حتىٰ سُمي هذا العصر بعصر الصورة(١).

٤- أن هذا الموضوع يعد من النوازل الواقعة، وبقاؤه بمَعْزِل عن الدراسات التأصيلية يفقده البُعد الشرعي، ويجعله مظنة المخالفة للأصول العلمية والضوابط الشرعية.

٥- وقوف الباحث علىٰ مجموعة من النماذج التي تحتاج إلىٰ دراسة وتقويم؛ كتصوير الغيبيات من أوصاف الجنة والنار، ونحوها.

٦- ما تتميز به الصور من قوة التأثير والسرعة في إيصال المعاني، وهو ما يؤيد توظيفها لخدمة تفسير كلام الله تعالىٰ، وهي أشبه بلغة مستقلة لها زواياها ومؤثراتها(٢).

---

(١) وقد جاءت هذه التسمية عنوانَ كتابٍ للدكتور: شاكر عبد الحميد، والكتاب من إصدارات عالم المعرفة بالكويت.

(٢) سماها بذلك Roy Armes في كتابه: «لغة الصورة في السينما المعاصرة»، وقد صدرت ترجمته عن: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧- حاجة العاملين في هذا المجال إلىٰ دراسة تأصيلية تقويمية[١].

٨- ما جاء في توصية بعض المتخصصين في الإعلام من الحاجة إلىٰ دراسة هذا الموضوع[٢].

٩- استفادة المتخصصين في التفسير والإعلام، والعاملين فيهما من هذا الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلىٰ ما يأتي:

١- الرغبة في نَيل شرف خدمة كتاب الله تعالىٰ.

٢- الأهمية البالغة للموضوع التي سبق تفصيلها.

٣- رغبة الباحث في أن يكون موضوع رسالته الدكتوراه معاصرًا وذا أثر علىٰ واقع المجتمع.

٤- اهتمام الباحث بهذا الموضوع منذ مدة وجمعه للنماذج فيه.

٥- سعة جانب الاستفادة من الموضوع في الجانبين الإعلامي والتعليمي.

٦- التطور السريع لوسائل الإعلام والتعليم مما يستوجب دراسة مستجداتها وإيجاد الحلول الشرعية لمشكلاتها.

---

(١) وقد أبدىٰ لي بعض منتجي مقاطع التفسير المصوَّر أنهم لم يقفوا علىٰ دراسات علمية في الموضوع، وممن زرتهم: قناة آيات الفضائية والواقع مكتبهم في الرياض، ومن إنتاجهم مصحف مرئي كامل في (٢٥) ساعة، وزرت كذلك مركز تفسير للدراسات القرآنية الواقع في الرياض، وشركة ضياء الفضاء للإعلام في الرياض.

(٢) ينظر: محاضرة: (الإعلام في خدمة القرآن الكريم):
https://www.youtube.com/watch?v=j55E7LTd9gY

٧- الحاجة الماسة إلىٰ ضبط هذا الباب بالضوابط الشرعية مع بيان الاجتهادات الخاطئة والحكم عليها.

◆ **الدراسات السابقة:**

بعد الاطلاع علىٰ فهارس المكتبات والجهود العلمية عن هذا الموضوع لم أقف علىٰ دراسة وافية تناولته تأصيلًا وتقويمًا، وإنما وقفت علىٰ دراسات سابقة تختلف عن أطروحتي، وهي:

١- **(تقريب غريب القرآن بالوسائل الحديثة بين التنظير والتطبيق)** للدكتور/ علي بن عبد الله السكاكر، وهو بحث من بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية (١٤٣٦هـ)، وقد تطرق في ضمن الوسائل الحديثة إلىٰ استعمال الصور، وكان هذا في حدود غريب القرآن فقط، دون بقية أنواع الاستعمالات التي سيتناولها هذا البحث، كما أشار باقتضاب إلىٰ فوائد وسائل الإيضاح عمومًا وشروطها في (٧) صفحات فقط، وقد أوصاني فضيلته بالتوسع في بحث هذا الموضوع.

٢- **(تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية)**، وهي مجموعة من أعمال الدورة الحادية والعشرين لمجمع الفقه الإسلامي الدولي (١٤٣٥هـ)، وقد جاءت مختصة بمسألة تجسيد الأنبياء والصحابة، وهي داخلة تحت نوع من أنواع استعمال الصور، وهو استعمالها في قصصهم والآيات الواردة فيهم، والبحث لا يختص بهذا النوع أيضًا، بل يتناوله ويتناول غيرَه من أنواع الاستعمالات.

وفي موضوع: (تجسيد الأنبياء والصحابة) أبحاث أخر، اكتفيت عن ذكرها بما سبق؛ إذ الفرق بينها وبين هذه الدراسة واحد.

٣- (التفسير المصور للقرآن الكريم - ضوابطه وأحكامه)، للدكتور: ناصر بن محمد الصائغ، وهو بحكم مُحكم في مجلة كلية التربية بأسيوط - مصر، المجلد ٣٣ ، العدد ٥ ، ٢٠١٧م، وقد جاء هذا البحث في (٣٠) صفحة، تكلم فيها عن معنىٰ التفسير المصور للقرآن الكريم، وأساليبه، وحكمه، وضوابطه، ونماذج منه، وهذه بعض عناصر هذه الدراسة وليست كلها، كما أنها كانت بعرْض مقتضب لكونه بحثًا محكمًا لا رسالة علمية.

٤- (تطبيقات تصويرية متحركة للتصوير الفني في القرآن)، للباحث: أحمد سليم العايد، وهو رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، ٢٠١٢ م، وقد جاء البحث في (٩٣) صفحة مكونًا من فصلين: الأول: في مفهوم التصوير الفني في القرآن وخصائصه وعلاقته بالقصص القرآني -ولا علاقة له بموضوع دراستي-، والفصل الثاني: في تطبيقات تصويرية من التصوير الفني في القرآن. وقد استعمل الباحث نفسه الصور مع الآيات، ولم تشتمل دراسته علىٰ أصول الاستعمال، وتاريخه، ومقاصده، ووصف تحليله وواقعه، والحديث عن فقهه تامًّا؛ بل أحال الحكم علىٰ المجتهدين، وأشار للضوابط والمحاذير في صفحتين فقط.

وعلىٰ هذا؛ فإن الفارق بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة هو أن **الدراسات السابقة اقتصرت علىٰ نوع من أنواع استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم أو مسألة من ذلك النوع، أو كان الطرح فيها لبعض عناصر البحث عامًّا ومقتضَبًا، في حين جاءت هذه الدراسة موسَّعة وشاملة لأصول الاستعمال، وتاريخه، ومقاصده، وأنواعه، وأحواله، وحكمه، وضوابطه، وآدابه، ومضيفة إلىٰ هذا الجانب التأصيلي جانبًا تقويميًّا لواقع استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم من خلال جملة من النماذج.**

خطة البحث:

تتكون خطة البحث إجمالًا من مقدمة وتمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس، وتفصيلًا على النحو الآتي:

- المقدمة: وتشتمل على الأهمية العلمية للموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

- التمهيد: وفيه:

- التعريف بمفردات العنوان.
- مكانة الصور في وسائل الإعلام والتعليم.
- أهمية المحافظة على قدسية القرآن الكريم.
- الصور في القرآن الكريم.
- أنواع الصور.

- القسم الأول: الدراسة التأصيلية، وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: أصول استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم وتاريخه:

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: أصول استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أصول الاستعمال من القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: أصول الاستعمال من السنة النبوية.

- المطلب الثالث: أصول الاستعمال من آثار السلف.

▪ **المبحث الثاني: تاريخ استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: عصر المخطوطات.
- المطلب الثاني: عصر المطبوعات.
- المطلب الثالث: عصر التقنيات الحديثة.

○ الفصل الثاني: مقاصد استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:

وفيه مبحثان:

▪ المبحث الأول: استعمال الصور بقصد التفسير:

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: أصول فَهم معاني القرآن الكريم.**
- **المطلب الثاني: أصول إفهام المعاني.**
- **المطلب الثالث: إفهام المعاني بالصور.**

▪ المبحث الثاني: استعمال الصور بقصد التأثير:

وفيه سبعة مطالب:

- **المطلب الأول: التأثير في ضوء أصول الاستعمال.**
- **المطلب الثاني: التأثير بين اللفظ والصورة.**
- **المطلب الثالث: عوامل التأثير في استعمال الصور.**

- **المطلب الرابع: كيفية التأثير علىٰ المُشاهِد.**
- **المطلب الخامس: أنواع التأثير علىٰ المُشاهد.**
- **المطلب السادس: التأثير السلبي وطرق مدافعته.**
- **المطلب السابع: الصورة بين التفسير والتأثير.**

○ **الفصل الثالث: وصف استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم وتحليله:**

وفيه ثلاثة مباحث:

▪ **المبحث الأول: أنواع معاني القرآن الكريم المفسرة باستعمال الصور:**

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: غريب الألفاظ.
- المطلب الثاني: المعنىٰ المراد.
- المطلب الثالث: قصص القرآن الكريم.
- المطلب الرابع: الأماكن.
- المطلب الخامس: الإعجاز العلمي.
- المطلب السادس: الأحكام.
- المطلب السابع: الآداب والأخلاق.

▪ **المبحث الثاني: أنواع استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: استعمال الصور في المعاني المرئية.
- المطلب الثاني: استعمال الصور في المعاني المعقولة.
- المطلب الثالث: استعمال الصور في المعاني الغيبية.
- المطلب الرابع: استعمال الصور في المعاني المشتركة.

■ **المبحث الثالث: أحوال استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: أحوال الصور مع المعاني.
- المطلب الثاني: أحوال اقتران الصور بغيرها.
- المطلب الثالث: أحوال مستعملِي الصور.
- المطلب الرابع: أحوال المستهدَفين باستعمال الصور.
- المطلب الخامس: نماذج متنوعة من أحوال الاستعمال.

○ **الفصل الرابع: فقه استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه مبحثان:

■ **المبحث الأول: حكم استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم:**

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: صورة المسألة وتخريجها وتحرير محل النزاع.
- المطلب الثاني: الأقوال في المسألة.
- المطلب الثالث: الأدلة.

• المطلب الرابع: الترجيح.

■ **المبحث الثاني: ضوابط استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم وآدابه:**

وفيه مطلبان:

• المطلب الأول: ضوابط استعمال الصور في التفسير.

• المطلب الثاني: آداب استعمال الصور في التفسير.

- القسم الثاني: الدراسة التقويمية:

وتتناول المصادر التالية:

١- روح الآيات.

٢- المصحف المرئي.

٣- تأملات في آيات.

٤- القرآن المصور.

٥- تفسير المدينة المنورة.

٦- أطلس الأماكن الواردة في القرآن الكريم.

٧- قناة مجموعة زاد في اليوتيوب.

٨- التفسير المصور.

٩- موقع: (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

١٠- برنامج: (القرآن عِلم وبيان) للدكتور/ علي كيالي.

١١- (الخرائط الذهنية) المعروضة في أحد برامج قناة الأقصى.

١٢- منهاج نادي الطفل القرآني.

١٣- رسوم المهندس/ فريد عمارة.

١٤- الفيلم الكرتوني: (قصص الإنسان في القرآن).

١٥- سلسلة: (آية وحكاية).

- إحصائيات الدراسة التقويمية.

- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

- الفهارس: وتشتمل على الآتي:

- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

◆ **منهج البحث:**

سلكت في هذا البحث المنهج المتكامل الجامع للمنهج التحليلي والاستدلالي والاستقرائي، مع الالتزام بالمنهج العلمي المعتمد في الدراسات الأكاديمية، ومنه:

١ - عزو الآيات القرآنية إلىٰ أماكنها بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني، سوىٰ ما كان من الآيات في الصُّور فإني لا أعزوه.

٢ - عزو القراءات المتواترة والشاذة إلىٰ مصادرها.

٣- تخريج الأحاديث، فإن كان في «الصحيحين» أو أحدهما أكتفي بعزوه إلىٰ مصدره منهما، وإن كان خارجها عزوته إلىٰ مصدره باختصار، مع ذكر كلام العلماء في الحكم عليه إن وجد.

٤ - عزو الآثار إلىٰ مصادرها.

٥ - توثيق النُّقول بذكر مصادرها.

٦ - الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

واتبعت في القسمين التأصيلي والتقويمي الخطوات التالية:

٧- العرض التاريخي لاستعمال الصور في تفسير القرآن الكريم أصولًا ونشأةً وتطورًا.

٨- النظر في مقاصد استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم ودراستها.

٩- توضيح كل نوع من الاستعمالات بما يميِّزه عن غيره مع ذكر نماذج من الصور فيه، ثم دراسة ما يتعلق بذلك النوع، دون الأمثلة الجزئية منه؛ فلا يلزم من ذكرها التسليم بصحتها.

١٠- استقراء فتاوىٰ العلماء واللجان والمجامع الفقهية حول أنواع الاستعمالات ومسائلها.

١١- تحليل الاستدلالات ومناقشتها وفق أدلة الشريعة وقواعدها ومقاصدها.

١٢- تقويم واقع استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم؛ بإبراز جوانبه الإيجابية والسلبية، ودراسته وفق ضوابط استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم، بمعدل ثلاثة نماذج من كل مصدر إلا إن اقتضت الحاجة الزيادة علىٰ ذلك.

صعوبات البحث:

مما واجهني من صعوبات في هذا البحث:

١- **شحُّ المصادر الخاصة به**: فالدراسات السابقة في الموضوع قليلة، ولم تستوفِ جوانبَه كما سبق.

٢- **حداثة الموضوع وتجدده وتنوع أساليبه وتفرق استعمالاته في الوسائل**: مما تطلب استقراءً ونظرًا فاحصًا للواقع.

٣- **ارتباط الموضوع بعدد من العلوم**: فهو مرتبط بالتفسير، والفقه، والقواعد والضوابط الفقهية، والعقيدة، والإعلام، والتربية.

٤- **ورود أقوال المعاصرين في الحكم في مقام الفتوىٰ**: مما يصعب معه تمييز ما كان حكمًا عامًّا للمسألة أو خاصًّا بنوع أو مثال منها.

٥- **أن طرفًا من الدراسة التقويمية محتمل لتعدد وجهات النظر**، وقد استدعىٰ ذلك إطالة التأمل في محل الدراسة.

وقد استوجبت هذه الصعوبات من الباحث: المزيد من الوقت، والجهد، والاطلاع، والتواصل مع أهل الاختصاص، والحمد لله علىٰ ما يسَّر وأعان.

النتائج:

١- المقصود بمفردة: (الصُّور) التي يدور عليها محور الرسالة الاستعمالُ المعاصر لها، وهو: كل رسم أو حبس للظل ثابتًا كان أو متحركًا.

٢- إمكان المزاوجة بين الصور بما تحتله من تأثير بين وسائل الإعلام والتعليم، وبين القرآن الكريم بما يجب له من تعظيم وتقديس، وذلك ضمن أُطر محددة بيَّنَتْها فصول الرسالة.

٣- أن من الأصول الدالة على اعتبار استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم ما ورد فيه من الدعوة إلى النظر في الأدلة الحسية، وما اشتمل عليه من تشبيهات، واعتباره كذلك للإشارة المُفْهِمة.

٤- تنوعت أصول الاستعمال من السنة النبوية؛ فمنها: إشارات النبي ﷺ وأفعاله المتعلقة بمعاني القرآن الكريم، وإشاراته المجردة، وإشاراته المعبِّرة عن المعنى، وأفعاله كذلك، وأمره بالاقتداء بالفعل المرئي، ومعالم وجهه، وتشبيهاته ﷺ.

٥- أن من أصول استعمال الصور في التفسير ما روي عن السلف من إشارات في تفسيرهم للقرآن الكريم.

٦- أن دلالة أصول استعمال الصور في التفسير كما أنها تشمل عموم الاستعمال؛ فكذلك تدخل في المعاني المختلفة على ما جرى تفصيله في فصول الدراسة.

٧- لا يمكن الجزم إجمالًا بتأثر المسلمين في استعمالهم الصور في تفسير القرآن الكريم باستعمال غيرهم للصور في تفسير الكتب السماوية السابقة؛ وذلك لعدد من الأسباب أشارت لها الدراسة.

٨- أن المسلمين لم يتحرجوا من استعمال الصور في الفنون المختلفة، كالتجويد والأدب والجغرافيا، كما في النماذج الواردة أثناء الدراسة.

٩- مرَّ استعمالُ الصور في تفسير القرآن الكريم بثلاثة عصور، وهي: مرحلة المخطوطات، ومرحلة المطبوعات، ومرحلة التقنيات الحديثة، وقد كانت المرحلة الأخيرة مرحلةَ التوسع الكبير، وهي التي تدور في فلكها هذه الدراسة.

١٠- أول استعمال للصور في تفسير القرآن الكريم -فيما وقفت عليه-: كتاب «التُّحف والظُّرف» لمحمد بن أحمد التميمي الدارمي (ت: ٣٩٩هـ) المخطوط عام (٥٨٩هـ).

١١- ندر استعمال الصور في عصر المخطوطات، ويحتمل تأثر ما وجد فيه بمذاهب عقدية، أو موروثات ثقافية، ولم يكن للاستعمال في ذلك العصر أثر علىٰ العصور اللاحقة له.

١٢- استعملت الصور في ترجمات معاني القرآن الكريم التي أعدها النصارىٰ، وقد كان ذلك في بدايات الترجمة والطباعة في الغرب، وقد كانت طريقتها مقاربة لاستعمال الصور في الكتب السماوية الأخرىٰ.

١٣- كان عصر المطبوعات هو البداية الفعلية لاستعمال الصور في التفسير، واشتهر فيه كتابان استعمَلَا الصور في تفسير القرآن الكريم، وهما: «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» لطنطاوي جوهري، و«تفهيم القرآن» لأبي الأعلىٰ المودودي، ويحتمل أن يكون لهذين الكتابين تأثير في عصر التقنيات الحديثة لانتشارها الإعلامي.

١٤- تنوع مقاصد مستعملي الصور في استعمالهم؛ فبعضهم قصد التفسير بالصور للمشاهدين، وبعضهم قصد التأثير بها عليهم.

١٥- أن فهم المعاني -وهو درجة سابقة لإفهامها- يقوم علىٰ أصول وشروط تجب مراعاتها؛ سواء كانت تلك المعاني أصلية، أو مستنبطة، أو ذات علاقة؛ علىٰ ما جرىٰ تفصيله.

١٦- أن لإفهام المعاني أصولًا تنطلق من فَهمِ المخاطَب، وتتعرض لعدد من المسائل المتعلقة بالإفهام كاختلاف الأفهام، والتقريب والتحقيق في الإفهام، والآفات المانعة من الفهم.

١٧- أن ثمَّةَ فروقًا بين اللفظ والصورة في جانبَي التفسير والتأثير باعتبارات متعددة لا يمكن معها الحكم بتفوق أحدهما علىٰ الآخر مطلقًا.

١٨- تنقسم الصور من جهة المناسبة بين الصور والمعاني إلىٰ أربعة أنواع، وهي: الصورة المطابقة للمعنىٰ، والصورة الدالة علىٰ متعلق المعنىٰ، والصورة الدالة علىٰ جنس المعنىٰ العام، والصورة غير المتعلقة بالمعنىٰ مطلقًا.

١٩- قدمت الدراسة عددًا من الحلول لاستعمال الصور في تفسير ما تتعدد فيه المعاني، وتتنوع فيه الأساليب من معاني القرآن الكريم.

٢٠- أن لثقافة المجتمع أثرًا علىٰ الإفهام بالصور؛ من جهة اختلاف المصطلحات والعادات، ولأجل ذلك كان من المهم الحرص علىٰ المشترك بين الثقافات، ومراعاة المستهدف بالاستعمال، واختلاف الثقافة الواحدة مع مرور الزمن.

٢١- أن أصول الاستعمال دلت علىٰ اعتبار قصد التأثير كما دلت علىٰ اعتبار قصد التفسير.

٢٢- أن ثمَّة عوامل للتأثير في استعمال الصور، منها: زوايا التصوير، وألوان الصورة.

٢٣- أن تأثير الصورة المستعملة علىٰ المُشاهِد يكون بتقوية المقتضي فيها، وإضعاف المانع من قبولها، وللتأثير نظريات متعددة لكل نظرية منها واقع تنطبق عليه.

٢٤- للتأثير أنواع باعتبارات متعددة؛ فباعتبار ماهيته: الانبهار والانجذاب والاقتناع وتغيير المواقف والاتجاهات وتغيير السلوك، وباعتبار موافقته للمقصود: إيجابي وسلبي، وباعتبار شريحة التأثير: شخصي ومجتمعي، وباعتبار مواقف المستهدفين بالتأثير: التأثير علىٰ من كان في مرحلة بناء المواقف والاتجاهات، والتأثير علىٰ أصحاب المواقف والاتجاهات المَرِنة، والتأثير علىٰ أصحاب المواقف والاتجاهات الصلبة.

٢٥- لاستعمال الصور في التفسير تأثير سلبي تجب مدافعته، وقد قدمت الدراسة عددًا من الأفكار والمقترحات بهذا الصدد.

٢٦- ينقسم استعمال الصور في التفسير من جهة كونه مفسِّرًا مؤثِّرًا إلىٰ أربع مراتب؛ هي: أن يكون الاستعمال مفسِّرًا ومؤثِّرًا، أو مفسِّرًا غير مؤثِّر، أو مؤثِّرًا غير مفسِّر تفسيرًا صحيحًا، أو غير مؤثِّر ولا مفسِّر تفسيرًا صحيحًا.

٢٧- من خلال وصف واقع استعمال الصور في التفسير وتحليله يظهر الاختلاف في المرجعية الشرعية، والخبرة المهنية، والجوانب الإبداعية.

٢٨- قصص القرآن الكريم هي أكثر ما استعملت فيه الصور -في حدود اطلاع الباحث-.

٢٩- أكثر المعاني مطابقةً مع الصور: ما تكون فيه حقيقة المعنىٰ مرئيةً في الأصل، ثم في الرتبة التي تليها: ما حقيقته معقولة، ثم ما تكون حقيقته غيبية.

٣٠- أن لاختلاف أحوال استعمال الصور في التفسير تأثيرًا علىٰ المعنىٰ

المؤدَّىٰ بالصورة، وعلىٰ الحكم علىٰ الاستعمال، مما يدل علىٰ أهمية العناية بها.

٣١- تختلف أحوال استعمال الصور في اقترانها بالمعاني والآيات والمبينات الأخرىٰ، وكذلك أحوال مستعمليها والمستهدفين بها، ولكل حال من تلك الأحوال ما يميزها عن الأخرىٰ.

٣٢- نقصان البيان لا يقضي علىٰ استعمال الصور في التفسير بالبطلان، فقد يفسر المفسِّر بعضَ الآية في تفسيره، ولا يكون ذلك قادحًا فيما بقي، ولا يحكم بالمنع إلا علىٰ ما كان مسببًا للإيهام في فَهم المعنىٰ.

٣٣- كلما زادت الدلالات الصحيحة علىٰ المعنىٰ وحَسُنَ استعمالها زادت قوة المعنىٰ في ذهن المشاهِد، وأثره عليه، أما إن كانت الدلالات المقترنة غير صحيحة، أو كان ثَمَّة خلل في الاستعمال فإنها تكون ذات أثر سلبي علىٰ فَهم المُشاهِد.

٣٤- كثرة الحلول الإعلامية المبنية علىٰ الإبداع في الطرح مع عدم الوقوع في المحظور، مما لا ينبغي معه المنع من استعمال الصور مع وجودها وإمكانها.

٣٥- أن تكون دراسة الاستعمال بعد مرحلة التنفيذ لا عند مرحلة الأفكار فحسب؛ وذلك لأثر الإبداع في استعمال الصور علىٰ اختلاف الأحوال المؤثِّرة في المعاني والأحكام.

٣٦- ليس ثَمَّةَ قاعدة عامة يُحتكم إليها في أحوال استعمال الصور في التفسير، وإنما الذي ينبغي علىٰ المجتهد أن ينظر في كلِّ استعمال بحسبه، وما يدل عليه من المعاني، وقوة بيان المعنىٰ فيه، وما فيه من تعظيم أو تحقير، ونحو ذلك.

٣٧- يبنىٰ حكم استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم في بعض أحواله علىٰ مسائل أخر؛ كأحكام التصوير والتمثيل وأفلام الكرتون، ونظرًا لأن هذه

المسائل سبق بحثها بحثًا مستفيضًا في أبحاث مستقلة، ولأنه لا يكفيها فصل في رسالة فضلًا عن مبحث، فإن هذا البحث كان مُنصَبًّا علىٰ حكم استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم من حيث هو دون ما يبنىٰ عليه.

٣٨- يمكن تخريج مسألة استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم علىٰ عدد من المسائل؛ أقربها: ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة الإشارة.

٣٩- اتفق المعاصرون في حكم استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم علىٰ تحريمه إن كان في الأمور الغيبية، أو في تصوير الأنبياء والصحابة، واختلفوا فيما سوىٰ ذلك من معاني القرآن الكريم.

٤٠- جاءت أقوال المعاصرين في حكم استعمال الصور في التفسير في مقام الفتوىٰ، ويتطرق إلىٰ ذلك مراعاة السؤال أو حال السائل أو الاستعمال المعين أو نحو ذلك، وقد استبعد الباحث ما كان من الفتاوىٰ متمحِّضًا لواقعة معينة، وأثبت ما يفهم منه القول في عموم الاستعمال.

٤١- أن الأقوال في استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم ترجع إلىٰ قولين، وهما: التحريم بإطلاق، أو التفصيل، ولم أقف علىٰ من قال بالجواز بإطلاق.

٤٢- رجح الباحث القول بالتفصيل، وأنه لا يجوز استعمال الصور في التفسير إلا بتحقيق ضوابطه؛ لقوة ما استدل به القائلون بالتفصيل، ولما ورد علىٰ القول بالمنع من مناقشة، ولتعلق المسألة بقواعد الوسائل، والمصالح والمفاسد.

٤٣- أن كثيرًا من الاستعمالات قد تحمل النية الصالحة أصحابها لخدمة القرآن الكريم، ودعوة الناس إليه، وتعليمهم تفسيره، وقد أحسنوا في ذلك إلا أنهم قد يقعون في الخطأ بعدم تطبيق الضوابط الشرعية في ذلك.

٤٤- أن المحرمات المقترنة باستعمال الصور في التفسير إما أن تكون

محرمة حالًا، وإما مآلًا، وقد يقترن بالاستعمال ما هو مختلف في حكمه مما يحتاج فيه المستعمل إلىٰ تقرير حكمه.

٤٥- للاستعمال الجائز ضوابط واجبة، وآداب مستحبة ينبغي لمستعمل الصور في التفسير أن يعتني بتحقيقها في استعماله.

٤٦- أقوىٰ دليل للمنع من استعمال الصور في التفسير -في رأي الباحث- هو دليل سد الذريعة، وأقوىٰ دليل للقول بالتفصيل هو دليل المصلحة.

٤٧- يدعو الباحث إلىٰ العناية بالضوابط الشرعية حقيقة لا شعارًا؛ وألا يكون القول بالتفصيل مَدْعاةً إلىٰ تجاوز حدود الله تبارك وتعالىٰ.

٤٨- ضوابط استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم هي: ألا يقترن باستعمال الصور أمر محرَّم من غيره، وأن يخلو الاستعمال مما لا يسوغ تفسيره بالصور، وصحة المعنىٰ من جهة علم التفسير، وصحة أداء الصورة لذلك المعنىٰ.

٤٩- مما ينبغي علىٰ المجتهد في الحكم علىٰ الاستعمال: النظر في رجحان المصالح علىٰ المفاسد عند اجتماعها.

٥٠- آداب استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم هي: أن يكون مستعمِلُ الصور ذا ورَع في الدين، وأن يقوم علىٰ الاستعمال مَن هو أهل لذلك، وأن تكون الصور وطريقة الاستعمال ذات جودة عالية، وإرفاق إرشادات الاستعمال، وتقويم الاستعمال قبل نشره، ومراجعة الاستعمال دوريًّا.

٥١- شملت المصادر التي ناقشتها الدراسة التقويمية (١٥) مصدرًا، والمصادر في عموم الرسالة (٧٣) مصدرًا.

٥٢- اشتملت الدراسة التقويمية علىٰ (٤٥) استعمالًا علىٰ سبيل الإجمال،

و(١٥٧) استعمالًا علىٰ سبيل التفصيل.

٥٣- ظهر من خلال إحصائيات الدراسة التقويمية أن أكثر الضوابط تحققًا هو ضابط: (عدم اقتران الاستعمال بمحرَّم من غيره)، وأكثرها تخلفًا هو ضابط: (صحة أداء الصورة للمعنىٰ).

◆ التوصيات:

يمكن تقسيم التوصيات إلىٰ قسمين:

◆ القسم الأول: التوصيات العلمية:

١- إعداد تصنيف للمصادر ومشاهديها حسب الفئة العمرية والثقافية، علىٰ غرار التصنيف المعاصر للأفلام والألعاب الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية.

٢- تحرير المسائل ذات العلاقة بموضوع البحث: كاستعمال الأصوات في تفسير القرآن الكريم، ومستجدات أحكام التصوير مثل: تعديل صور ذوات الأرواح.

٣- دراسة الموضوع دراسة إعلامية؛ لإدراك أبعاده المعرفية والوجدانية والسلوكية علىٰ الأفراد والمجتمعات.

٤- استكتاب المجامع الفقهية بعد تقديم وصف وتحليل إعلامي مستوفٍ.

٥- إيجاد الحلول الإعلامية المبتكرة، لما يقع من مشكلات استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم.

٦- دراسة مصدر معيَّن دراسة مستوعَبة، أو دراسة مجموعة من المصادر التي تحمل السمة نفسها كمادة التفسير في المقررات الدراسية، أو دراسة الاستعمال باعتبار مستعمِليه؛ كاستعمال الشيعة للصور في تفسير القرآن الكريم، أو دراسة

الاستعمال بالنظر إلىٰ مجالات تطبيقه؛ كتعليم غير الناطقين بالعربية، ودعوة غير المسلمين، وما كان موجهًا للأطفال.

٧- دراسة أثر استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم في نفوس المشاهدين من خلال الاستبانات والمقابلات ونحوها.

٨- تحرير بعض مسائل هذه الدراسة مما يحتاج إلىٰ مزيد بسط؛ كمسألة استعمال الصور في قصص القرآن الكريم؛ لسعة الاستعمال فيها وتنوعه.

٩- دراسة الأفلام الغربية التي تحدثت عن الأنبياء عليهم السلام.

١٠- دراسة جهود غير المسلمين في استعمال الصور لتفسير نصوصهم المقدسة.

١١- دراسة استعمال الصور مع ترجمات معاني القرآن الكريم.

◆ القسم الثاني: التوصيات العملية:

١- إنشاء مركز قرآني إعلامي من أعماله: مراجعة الأعمال الإعلامية المتعلقة بالقرآن الكريم، وتقويمها، وتوثيقها.

٢- إنشاء منصَّة إلكترونية تجمع الاستعمالات الصحيحة المناسبة للطرح العام.

٣- إقامة دورات تدريبية وحلقات نقاش للعاملين في مجال استعمال الصور في تفسير القرآن الكريم؛ وذلك لتفعيل نتائج هذه الدراسة، وإثرائها بتجاربهم.

٤- الدعم المالي للمشاريع القرآنية الإعلامية؛ فالمشاريع الجادة والمؤثرة تحتاج إلىٰ دعم كبير لترقىٰ للمستوىٰ المطلوب، وتزاحم الباطل في الساحة الإعلامية.

٥- تأهيل الكوادر في الجهات الرقابية علىٰ تقويم الاستعمالات، وإصدار الأحكام عليها.

٦- إعداد أدلة في الفقه والتفسير والإعلام للجهات التنفيذية، مدعومة بفريق استشاري لضمان التطبيق الصحيح له.

٧- إقامة مؤتمر دولي في موضوع البحث بهدف تطويره علميًّا وعمليًّا.

٨- تقديم محتوىٰ تعريفي للمتخصصين في القرآن الكريم بأثر الإعلام والصور علىٰ الأفراد والمجتمعات، وكذلك تقديم المساندة الإعلامية لهم لتجويد المنتجات.

٩- إقامة الملتقيات بين الإعلاميين والمتخصصين في العلوم الشرعية، لإيجاد الحلول الإعلامية الشرعية.

١٠- الاستفادة من أصحاب التخصصات المختلفة ذات العلاقة باستعمال الصور؛ لتقوية جانبَي التفسير والتأثير في الاستعمال؛ كالمتخصصين في علم النفس، وعلم الاتصال.

هذا؛ وأرجو أن تكون هذه الدراسة مَطلعًا لدراسات جادة حول هذا الموضوع، وأعمال إعلامية موزونة بميزان الشريعة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

التعريف بالمؤسسة:

انطلاقًا من مَهْبِط الوحي، ومن مَنبعِ الرسالة الخالدة، ومِن جوار بيت الله العتيق؛ تأسست مؤسسة النبأ العظيم لنشر هُدىٰ القرآن في عام (١٤٣٣هـ)، وهي إحدىٰ المشاريع القرآنية الرَّائدة في نشر هُدىٰ القرآن، وإعداد حملته، وإحياء تدارسه في الأمة.

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن مشروع علمي بعنوان :

مؤسسة النبأ العظيم بمكة المكرمة



إعداد: إدار المؤسسة

مجلة تدبر

المُقَدِّمَة

التعريف بالمؤسسة:

انطلاقًا من مَهْبِطِ الوحي، ومن مَنبعِ الرسالة الخالدة، ومِن جوار بيت الله العتيق؛ تأسست مؤسسة النبأ العظيم الوقفية لنشر هُدىٰ القرآن في عام (١٤٣٣هـ)، وهي إحدىٰ المشاريع القرآنية الرَّائدة في نشر هُدىٰ القرآن، وإعداد حملته، وإحياء تدارسه في الأمة.

ولتحقيق هذا الهدف عُقدت اجتماعات متعددة للخروج برؤيةٍ ورسالةٍ وأهدافٍ واضحةٍ للمؤسسة، وإعداد مشاريع استراتيجية متميزة.

الرؤية:

بيتُ خبرة في المبادرات التطبيقية للهدىٰ القرآني.

الرسالة:

نشر الهدىٰ القرآني وإحياء تدارسه في الأمة؛ من خلال بناء ورعاية المبادرات التطبيقية، وتأهيل النُّخَب العلمية.

الأهداف:

١. تعزيز عظمة القرآن وهديه في نفوس المؤثِّرين.

٢. صناعة مبادرات نوعية في الهدىٰ القرآني.

٣. تأهيل النخب والقيادات في مجال الهدىٰ القرآني.

٤. تبنِّي المؤسسات القرآنية لمشروع (تدارس).

٥. صناعة المناهج والبرامج التعليمية وتفعيلها.

٦. إصدار الحقائب العلمية والتدريبية.

٧. بناء شراكات استراتيجية مع الجهات المؤثرة.

٨. الاستدامة المالية من خلال الأوقاف والاستثمارات.

◆ مجالات العمل:

١. البحوث والدراسات.

٢. التدريب والتأهيل.

٣. التعليم.

٤. النشر الإلكتروني.

◆ مشاريع المؤسسة الاستراتيجية:

أولًا: مشروع (تدارس).

وهو مشروع يهدف إلىٰ إحياء سُنَّة مجالس تدارس كتاب الله ﷻ في أوساط المجتمع عن طريق النخب العلمية والمهتمين بمجالس التدارس.

منهجية التدارس:

قامت منهجية التدارس في المؤسسة علىٰ التاءات الخمس، والتي تشمل الآتي:

١. التمهيد. ٢. التلاوة.

٣. التفسير. ٤. التدبر.

٥. التزكية.

ولتحقيق أهداف هذا المشروع تم إنشاء ستة برامج دائمة علىٰ النحو التالي:

أولًا: برنامج الدورات التدريبية، وهي دورات متخصصة للنخب العلمية والمهتمين لتكوين مَلَكة المُدارسة القرآنية وكيفية إقامتها وتطبيقها.

ثانيًا: برنامج مجالس تدارس مع الحجاج والمعتمرين، ويتم تنفيذه بالتعاون مع قسم طلاب المنح بجامعة أم القرىٰ، وذلك بتدريب عدد متميزٍ من طلاب المنح علىٰ كيفية إقامة مجالس تدارس وتطبيقها في موسم الحج والعمرة.

ثالثًا: برنامج تدارس الأُسرة، والذي يهدف إلىٰ إقامة مجالس أُسَرية تُعْنَىٰ بتدارس المفصَّل، وتدبره مع أفراد الأُسرة للوقوف علىٰ ما في الآيات من العلم والعمل، وتطبيقها في واقع الحياة.

رابعًا: برنامج (تمكين)، والذي يهدف إلىٰ تمكين منهجية التدارس في مقررات الجهات القرآنية وتطبيقها في حلقاتهم القرآنية ومناهجهم التعليمية.

خامسًا: برنامج تدارسي معنا، والذي يهدف إلىٰ إحياء مجالس التدارس القرآنية في أوساط المعاهد القرآنية النسائية داخل المملكة.

سادسًا: نَمْذَجةُ قِصَار المفصَّل، والذي يهدف إلىٰ تصوير ومونتاج تدارس قصار المفصَّل كاملًا، (الضحىٰ - الناس، مع سورة الفاتحة)؛ لتكون نموذجًا لكل من يريد تدارس القرآن الكريم بطريقة علمية صحيحة.

ثانيًا: مشروع القرآن وصناعة القادة.

ويهدف هذا المشروع إلىٰ تقديم دراسة قرآنية مؤصَّلة ورؤية واضحة للقيادة، مع إبراز عناية القرآن الكريم بموضوع القيادة، وقد تم إصدار بعض الكتب الخاصة بالمشروع، كما سيتم تحويل هذه المخرجات إلىٰ حقائب تدريبية وبرامج نوعية.

ثالثًا: مشروع الاستشفاء بالقرآن (سكينة).

والذي يهدف إلىٰ طرح حلول قرآنية للمشاكل النفسية والاجتماعية وفق برنامج عملي مُحكَم بخطوات ميسرة؛ لتحقيق الطمأنينة، وذلك بتدبر القرآن الكريم وتدارسه، وقد تم الانتهاء من مراحله الثلاث الأولىٰ، والمتمثلة في بناء المرجعية العلمية للمشروع بإعداد أربع دراسات بحثية وعملية، وبناء النموذج الخاص بالمشروع، وإعداد وبناء الحقيبة التدريبية، ويُعدُّ مشروع سكينة من المشاريع النوعية والمتميزة للمؤسسة.

رابعًا: أكاديمية النبأ التعليمية.

تكمن فكرة مشروع «أكاديمية النبأ التعليمية» في أنها مِنصَّة تعليمية إلكترونية مباشرة تخدم المتخصِّصين في حقل الدراسات القرآنية وطلاب العلم، بل وعامة المسلمين، وذلك من خلال إكسابهم القدرةَ علىٰ تحليل النص القرآني من خلال تدارس المفصَّل من القرآن الكريم للمبتدئين والمتقدمين، وتدارس «تفسيري ابن عاشور والسعدي»، وغيرها من الدبلومات والبرامج والدورات المتخصصة عبر منصَّة تعليمية إلكترونية.

خامسًا: الإصدارات العلمية.

اهتمت المؤسسة بإصدار عدد من الحقائب العلمية والتدريبية والكتب المتخصصة في مجال التدارس وغيرها، والتي من أهمها:

الحقيبة العلمية لمجالس تدارس القرآن الكريم **للمبتدئين وللمتقدمين**، والتي تحوي كل واحدة منهما علىٰ خمسة كتب لأجزاء (عم) و(تبارك) و(المجادلة) و(الذاريات).

وإصدار عددٍ من الكتب المتميزة في مجالات مختلفة، في التدارس القرآني، والقيادة القرآنية، والسكينة القرآنية، وغيرها من الكتب، وقد تم ترجمة بعض الكتب إلىٰ عدد من اللغات وتوزيعها.

كما اهتمت المؤسسة بالجانب الإعلامي بنشر التغريدات الأسبوعية وتصوير بعض المقاطع للمشايخ وطلاب المِنح وتصويرها، وبثِّ حلقات خاصة في القنوات الفضائية.

سادسًا: الشَّراكات.

تم توقيع عقد شراكات مع كُرْسِيِّ الهدايات القرآنية، والملِك عبد الله للدراسات القرآنية بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة، والعمل سويًّا في كثير من المشاريع والبرامج المشتركة، والتي منها:

١. مشروع الهدايات القرآنية:

تم بحمد لله إنشاء كرسيِّ الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ بدعم من مؤسسة النبأ العظيم، والذي يَهدُف إلىٰ نشر ثقافة الهدايات القرآنية وتأهيل المتخصصين في مجال الهدايات مع تفعيل الأكاديميين والباحثين للعناية بهدايات القرآن مع إقامة برامج نوعية تطبيقية.

٢. مشروع تأصيل موسوعة الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن الكريم:

والذي يهدف إلىٰ إعداد دراسة تأصيلية لضبط منهجية البحث وخطواته؛ لإصدار موسوعة علمية للأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن الكريم بمنهجية علمية محكمة.

٣. مشروع دبلوم الهدايات القرآنية:

والذي يهدف إلىٰ إعداد كفاءات متخصصة، وفق منهجية علمية، وتكوين الملَكة البحثية في مجال الهدايات القرآنية.

الإنجازات في أرقام:

١. تجاوز عدد الدورات التدريبية المنفَّذة حتىٰ الآن (٥٠٠) دورة تدريبية، وتجاوز عدد المستفيدين منها (٦٥٠٠) متدربًا ومتدربة من الداخل والخارج.

٢. بلغت مجالس التدارس المنفَّذة مع الحجَّاج (٣٤٠٠) مجلس تدارس، وقد تجاوز عدد المستفيدين أكثر من (٢٧٠٠٠٠) حاجٍّ من (٣٠) دولة.

٣. تجاوزت مجالس التدارس المنفَّذة بين الأُسر (٦٥٠٠٠) مجلس، استفاد منها أكثر من (٥٠٠٠) أسرة، بأكثر من (٣٠٠٠٠) مشاركٍ من أكثر من (٦٠) دولة.

٤. تطبيق مشروع (تمكين التدارس على الجهات القرآنية) في مرحلته الأولى مع ثمان مؤسسات قرآنية في سبع دول مختلفة (المملكة العربية السعودية، اليمن، مصر، إندونيسيا، ماليزيا، إيطاليا، أوكرانيا).

٥. الاتفاق مع ستة عشر معهدًا نسائيًّا لتنفيذ مشروع (تدارسي معنا) في مرحلته الأولى.

٦. إصدار الحقيبة التدريبية لتدارس، وطباعة أكثر من (٤٠٠٠) حقيبة تدريبية.

٧. إصدار الحقيبة العلمية لتدارس المفصَّل للمبتدئين، وطباعة (٣٠٠٠) حقيبة علمية.

٨. إصدار الحقيبة العلمية لتدارس المفصَّل للمتقدِّمين، وطباعة (٢٠٠٠) حقيبة علمية.

٩. إصدار (٥) كتب في القيادة القرآنية.

١٠. إصدار (٣) كتب في السكينة القرآنية.

١١. إصدار (٢١) كتابًا في هدايات القرآن وما يتعلق بها.

١٢. نشر أكثر من (١٠٠٠) بطاقة هداية قرآنية مصممة.

١٣. تصوير ومونتاج أكثر من (١٥٠) مقطع فيديو في مجال الهدايات القرآنية.

١٤. المشاركة بـ(٣) برامج تلفزيونية.

مجلة تدبر





ثالثًا:

تقارير المؤتمرات العلمية

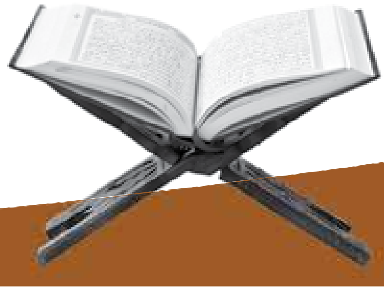
مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن مؤتمر علمي بعنوان:

مشكل القرآن والحديث في التراث والدراسات المعاصرة



معد التقرير: د.نشوان بن عبده خالد

nashwan@iium.edu.my

تنظيم: قسم دراسات القرآن والسنة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

بالتعاون مع:

مجلس الشؤون الإسلامية والعادات الملاوية بولاية برليس - ماليزيا

المنعقد بتاريخ: ١٨- ١٩ نوفمبر ٢٠٢٠م/ الأربعاء والخميس

الموافق: ٢ - ٣ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

افتراضيًّا عبر منصة الزوم

(كرسي جمل الليل للسنة النبوية بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا) فهي تعتبر الجهة المنظمة الأولى قبل قسم دراسات القرآن والسنة.

مجلة تدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن مُشْكل القرآن ومُشكل الحديث مصطلحان متداوَلان بكثرة في مناقشات علوم القرآن وعلوم الحديث. وذلك يُنْبئ عن واقعيتهما وظهور آثارهما في التعامل مع نصوص القرآن والحديث وتطبيقها واستمرارية جهود العلماء والباحثين في معالجتهما عبر العصور.

فلفظ المُشْكل في تعريفه اللغوي يفيد كل المعاني المتعلقة بالاشتباه، والاختلاط، والالتباس. والآيات القرآنية التي التبس معناها أو اشتبه علىٰ كثير من المفسرين فلم يتضح إلا بالطلب والاجتهاد والتدبر والتأمل يُطلق عليها مصطلح مُشْكل القرآن. يقول الإمام ابن قُتيبة في مَعرِض كلامه عن متشابه القرآن: «قد يقال لكل ما غَمُضَ ودقَّ: متشابِه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره... ومثل المتشابه: المُشْكل، وسمِّي مُشْكلًا لأنه أَشْكَل، أي: دَخل في شَكل غيره فأشبهه وشاكله. ثم قد يقال لما غَمُض وإن لم يكن غموضُه من هذه الجهة: مُشْكل». «تأويل مُشْكل القرآن» (ص١٠٢).

وتتبُّع الكتب التي تحمل عناوينُها هذه اللفظةَ، منها كتاب ابن قتيبة السابق، و«مُشْكل القرآن» للحكيم الترمذي (٢٩٥هـ)، و«مُشْكل القرآن» لابن فورك (٤٠٦هـ)، و«البرهان في مُشْكلات القرآن» لأبي المعالي الجيلي الشافعي المعروف

بشيذلة (٤٩٤هـ)، وغيرها.

ومثل هذا يكون الأمر في مجال الحديث فيعم مصطلح مُشْكل الحديث جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنىً مِن معاني الحديث الشريف ومفهومه من ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع، أو التاريخ، أو السنن الكونية. وقد يكون الحديث مُشْكِلًا في ذاته من غير وجود معارض له، بل بسبب غموضٍ في فَهْمه. قال الإمام الطحاوي مبيِّنًا هدف تأليفه لكتاب «شرح مُشْكل الآثار» (ج١/ ص٦): «وإني نظرتُ في الآثار المروية عنه ﷺ بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذَوو التثبُّت فيها، والأمانة عليها، وحُسن الأداء لها، فوجدتُ فيها أشياء مما يَسقط معرفتُها والعلمُ بما فيها عن أكثر الناس، فمال قلبي إلىٰ تأمُّلها، وتبيان ما قدرتُ عليه من مُشْكلها، ومِن استخراج الأحكام التي فيها، ومِن نفي الإحالات عنها». وهكذا تتواصل المسيرة في هذا الشأن وتتابع المؤلفات في تداول هذه المهمة.

وتقديرًا لجهود العلماء والباحثين السابقين واللاحقين في مجال المُشْكل من نصوص الدين وبيان دورهم في استكشاف الحكمة من وجود ذلك فقد رأىٰ «مكتب كرسي جمل الليل للسنة النبوية» بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وبتنظيمٍ مع قسم دراسات القرآن والسنة بالجامعة، وبالتعاون مع مجلس الشؤون الإسلامية بولاية برليس - ضرورةَ عقد مؤتمر عالمي خاص بمباحث التأويل والتوجيه لمُشْكل القرآن والحديث النبوي.

وقد تطلَّع المنظِّمون إلىٰ أن يكون هذا المؤتمر فرصةً سانحةً يتبادل العلماء والمفكرون فيها الآراء حول صياغة منهج تأويلي متفاعل لما يظهر أنه مُشْكِل، سواء كان ذلك في نصوص القرآن أم في نصوص السنة النبوية المطهرة.

وقد شارك في هذا المؤتمر عدد ٩٣ ورقة علمية، كما عقدت جلساته افتراضيًّا

في رحاب الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وقد قدَّمت الجامعةُ الإسلامية العالمية -مشكورةً- كلَّ التعاون، وذللَّت كلَّ الصِّعاب لإقامة المؤتمر، وقد تمَّ افتتاح المؤتمر رسميًّا مِن قِبَل ولي عهد ولاية برليس ورئيس الجامعة الإسلامية ومديرها، كما حضر حفل الافتتاح نخبة من العمداء ورؤساء الأقسام والأكاديميين والعلماء والباحثين والطلبة.

ومن أهداف المؤتمر:

أولًا: إبراز جهود العلماء المتخصصين في الدراسات القرآنية والحديثية في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتقويمها في تطوير مناهج للتعامل مع مُشْكِل القرآن والحديث النبوي.

ثانيًا: المقارنة بين المناهج المتعددة في القديم والحديث في التعامل مع مباحث مُشْكل القرآن والحديث.

ثالثًا: سَبْر واستكشاف متعلقات مُشْكل القرآن والحديث النبوي وتحفيز الباحثين للكتابة حول كيفية التعامل معهما بطريقة منهجية سليمة تلبي حاجات العصر الراهن.

رابعًا: تفعيل حركة التعامل مع القرآن والحديث النبوي في ميادين البحث العلمي في الحياة الفكرية والأوساط العلمية بين الجامعات في العالم الإسلامي وتطوير فكرة التنسيق بين المتخصصين والباحثين في الدراسات القرآنية والحديثية.

خامسًا: تأصيل القضايا المتعلقة بمُشْكل القرآن ومباحث مُشْكل الحديث النبوي، ووضع سياسات ومبادئ للتعامل مع النصوص الثابت إشكالها، وذلك من خلال دراسات علمية متخصصة في ميادين التفسير وعلوم القرآن وشرح الحديث وعلومه واللغة وغير ذلك.

وقد اقترحت اللجنة العلمية في المؤتمر مجموعة من المحاور:

* **أولًا: المحور الأول:** تاريخ المُشْكل.

١- تاريخ مُشْكل القرآن والمصنفات فيه.

٢- تاريخ مُشْكل الحديث والمصنفات فيه.

المحور الثاني: النظر في العَلاقات والآثار والشبهات.

١- النظر في العَلاقات والآثار والشبهات المبنية علىٰ دعاوىٰ الإشكال في القرآن الكريم.

٢- النظر في العَلاقات والآثار والشبهات المبنية علىٰ دعاوىٰ الإشكال في الحديث الشريف.

المحور الثالث: أصول ومناهج في التعامل مع مُشْكل القرآن الكريم.

المحور الرابع: أصول ومناهج في التعامل مع مُشْكل الحديث.

المحور الخامس: دراسات تطبيقية لمُشْكل القرآن الكريم (دراسات في آيات مختارة).

المحور السادس: دراسات تطبيقية لمُشْكل الحديث النبوي (دراسات في أحاديث مختارة).

كما تضمن المؤتمر الكلمات الرئيسة الآتية:

١- فَهْم خصائص القرآن ووَحْدته العضوية. باللغة الإنجليزية.

٢- دور العلماء في التعامل مع مُشْكلات القرآن والسنة في العصر الحاضر. باللغة العربية.

٣- مُشْكل القرآن والسنة: ضرورة التأويل لمواجهة التحديات باللغة الملاوية.

❊ ثانيًا: تقرير عن أعمال الملتقىٰ والجلسات العلمية.

يُعدُّ موضوع المُشْكل في القرآن الكريم والسنة النبوية ضِمنَ الدراسات التي حظيت باهتمام السابقين والمعاصرين، وفي الوقت الراهن الذي يشهد مَوجات إلحاد وتبشير غير مسبوقة باسم -التجديد وإعمال العقل والحرية الفكرية- فقد جاء هذا المؤتمر ليكشف اللِّثام عن بعض تلك المآرب والإشكالات، ويُجلِّيها في قوالب علمية ويُعيد الحق فيها إلىٰ نصابه، ويكشف عن التداعيات الخطيرة للانزلاق في مخاطر تلك الشبهات، وقد استدعىٰ المؤتمر نخبة علمية من العلماء والأكاديميين والخبراء والباحثين ليُدْلُوا بِدَلْوِهِم، ويُسهِموا بعطاءاتهم الفكرية والعِلمية حول الموضوع.

وقد توَزَّع المؤتمرُ حول ستة محاور شملت خمس جلسات متزامنة، بثلاث لغات: العربية، والإنجليزية، والملاوية.

وقد تناولت الجلسة الافتتاحية ثلاث كلمات رئيسة بثلاث لغات؛ تحدثت الكلمة الأولىٰ (باللغة الإنجليزية) عن ضرورة فَهم خصائص القرآن الكريم ووَحْدته العضوية، وأشار فيها الباحث إلىٰ حقيقة مهمة تنفي وجود إشكالات في تعارض النصوص القرآنية أو تعارض العقل مع النص، كما جاءت الكلمة الثانية (باللغة العربية) حول دور العلماء في التعامل مع مُشْكل القرآن والسنة في العصر الحاضر، وقد أوضحَت الكلمة الدورَ البارز الذي قام به العلماء قديمًا وحديثًا في تَجْلية الإشكالات ودَرْء التناقض والاختلاف في نصوص الكتاب والسنة، كما بيَّنت الكلمة الثالثة (باللغة الملاوية) والتي كانت حول: مُشْكل القرآن والسنة: ضرورة التأويل لمواجهة التحديات، بيَّنت اتخاذ الأساليب المناسبة لدرء الشبهات والإشكالات التي تورده التيارات الحديثة وتخدع بها عقول الشباب.

وفي اليوم الأول أيضًا الذي عُقدت فيه الجلسات المتزامنة كانت البداية مع الجلسة الأولىٰ المتزامنة التي تضمنت شِقَّين: تاريخ مُشْكل القرآن الكريم والمصنفات فيه، وتاريخ مُشْكل الحديث والمصنفات فيه، وقد كشفت هذه الجلسة العلمية بشِقَّيْها الأول والثاني عن حجم التراث والدارسات المعاصرة، كما تساءل فيها أحد الباحثين عن مدىٰ الفَرق في النظر لمُشْكل الحديث بين المُحدِّثين وأصحاب الاتجاه العقلي. كما أثارت إحدىٰ الأوراق المُقدَّمة ظاهرةَ اختلاف المعاصرة في تأويل النصوص القرآنية والحديثية.

كما جاءت الجلسة المتزامنة الثانية متضمنةً لشِقَّيْن أيضًا: النظر في العَلاقات والآثار والشبهات المبنية علىٰ دعاوىٰ الإشكال في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، وكان من أبرز النقاط التي أثارتها هذه الجلسة بشقيها ما مدىٰ إمكانية استنباط المقاصد القرآنية من مُشْكل الآيات؟ وهل لمُشْكل القرآن الكريم أثر في الاختلافات الفقهية؟ كما أثارت الجلسة نقاشًا واسعًا حول استخدام التواريخ الميلادية في المناسبات الدينية والإشكالات المترتبة عليها من وِجهة نظر الشريعة ووفقًا لنظرة استيعاب المُشْكل وتأويله.

وفي اليوم الثاني استُؤنِفت الجلساتُ بالجلسة المتزامنة الثالثة بشِقَّيْها: جوانب مُهِمَّة من الدراسات التطبيقية لمُشْكل الحديث النبوي، وعلىٰ رأسها الإشكالات المعاصرة في تطبيق بعض المحظورات، ومنها ما أثارته إحدىٰ الأوراق العلمية حول موضوع: إشكالية حديث «خروج المرأة مُتعطِّرةً» في ضوء الواقع الماليزي، وإشكالية: حديثَي خِيار المجلس، والتصرف في مال الغير بدون إذنه، وغيرها من الأحاديث، ومن جانب آخر تناوَل الشِّقُّ الثاني دراسةَ جوانب مهمة من الدراسات التطبيقية لمُشْكل القرآن الكريم، وما تَحمِله من دلالات وأُطُر، فقد أثارت إحدىٰ الباحثات موضوعًا حول: دلالات أصوات أحكام التجويد وأثرها في فَهم المُبهم

والمُشْكل من القرآن، لافتةً النظر إلىٰ العَلاقة بين أصوات أحكام التجويد وأثره الإيجابي في تمييز المُشْكل والمُبهم من القرآن الكريم، ومِن ناحية أخرىٰ طرحت بعض الآراء العلمية في الجلسة حول: مُشْكل الآيات المتعلقة بقَصَص الأنبياء عليهم السلام، وما يتعلق بالمتشابه فيه والمتداخل منها، كما أثيرت قضية استخدام بعض النصوص القرآنية في الحديث حول إشكالية فيروس (COVID-19) واستخدام بعض النصوص في تأويلات انتشار الفيروس أو الوقاية منه.

وقد **جاءت الجلسة المتزامنة الرابعة والأخيرة** حول أصول ومناهج التعامل مع مُشْكل الحديث النبوي، وقد قدِّمت في الجلسة العديد من الأوراق العلمية بيَّنت منهجية العلماء في التعامل مع مُشْكل الحديث النبوي علىٰ الجانب التنظيري والجانب التطبيقي، وفي ضوء القواعد الشرعية وقواعد المصالح والمقاصد، كما كشفت عن منهج التوفيق والترجيح في مُشْكل الحديث النبوي، وأبانت عن التدرج في رُتَب رفع التعارض وأثره في دراسة مُشْكل الحديث ومُختلِفِه.

وقد تخلَّلَتْ كلَّ الجلسات المتزامنة النقاشاتُ والأسئلة مِن قِبَل الحضور، كما حَظِيت بعض الأفكار بالإشادة العملية، ومن ناحية أخرىٰ صُوِّبَت بعضُ الأفكار التي جانبها الصوابُ، وكانت جلسات المؤتمر مَحْفلًا عمليًّا رائعًا وبديعًا، وثريًّا بالمادة العلمية والنقاشات والتحليلات البنَّاءة.

وفي الختام نسأل الله تعالىٰ العليَّ القدير أن يجزي المُنظِّمين والمُشرفين علىٰ المؤتمر خيرَ الجزاء، وأن يكتب جهودهم ويبارك في حياتهم، إنه علىٰ كل شيء قدير.

وقد انتهت فَعاليات المؤتمر بجلسة ختامية قُرِئ فيها البيانُ الختامي للمؤتمر والتوصيات والمقترحات، وقد حضر الجلسة اللجانُ المنظِّمة ورئيس «كرسي جمل الليل» والسادة الباحثين والطلاب والمشاركين.

الأبحاث المشاركة في المؤتمر

الباحث	البحث
د. نهاد محمد عبد الحكيم عبد الحافظ	المُشْكل القرآني أسبابه ووسائل دفعه
د. خولة حمد خلف الزيدي	سلطان البيان في مُشْكل القرآن لسلطان العلماء العز بن عبد السلام
د. عبير بنت مشبب بن محمد بن أحمد آل جعال الأحمري	مُشْكل القرآن الكريم عند الرسعني في تفسيره «رموز الكنوز»
مريم بنت سعود التميمي	المسالك التفسيرية في دفع مُشكِل الآيات القرآنية
د. أحمد عبد القادر حسن قطناني الباحث محمد بن شيخ زكي	خطر الإسرائيليات علىٰ فهم القرآن الكريم: حقيقة هاروت وماروت نموذجًا.
الدكتورة روضة الفردوس محمد أنور عبد الرشيد	الأمن الاجتماعي وتطبيقاته المعاصرة في ضوء القرآن الكريم
Assoc. Prof. Dr. Sohirin Mohammad Solihin.	PROBLEMATIC UNDERSTADING ON GENDER EQUALITY : An Analytical Study on Exegetical Views of Hassan al-Turabi
Dr. Noor Mohammad Osmani and Dr. Md. Habibur Rahman	SLANDERING PROPHET MOSES BY BANI ISRA'IL
Sohirin Mohammad Solihin & Zubaedi Wahyono	THE PROBLEM OF TOURISM AND ITS CULTURAL IMPACT FROM QURANIC PERSPECTIVE: An Analytical Study

الباحث	البحث
د. محمد بن عبد الله أبو بكر باجعمان	أهمية علم مختلف الحديث ومُشْكله وبيان أسباب تأليفه والمصنفات فيه
د. كلثوم محمد حريد أ.د. محمد أبو الليث الخيرآبادي	مُشْكل الحديث بين أهل الحديث والاتجاه العقلي
ذو القرنين حيدر د. محمد فريد علي الفيجوي	ظاهرة اختلاف المعاصرين في تأويل النصوص القرآنية والحديثية
د. فتح الدين محمد عبد الله بيانوني	استشكال الأحاديث النبوية بالنظر العقلي مشروعيته وضوابطه
براءة بنت فوزي عبد الله أبو الشامات	الأَرَب في صَدِّ شُبهات الحَدَاثيين العَرَب
د. محمد أحمد محمد عبد العال الشرباني	«مُشْكل الحديث بين منهجية المحدِّثين وشبهات المستشرقين والمستغربين»
حلمي أريس	الاستفادة بالعلم التجريبي في دراسة مُشْكل الحديث
د. صالح بن عبد القوي السنباني	نماذج من الإعجاز العلمي في حل مُشْكل الحديث
نهى بنت محمد بن حمد الدوسري	مختلف الحديث في تراجم الأبواب عند المحدثين: (صحيح البخاري، وسنن النسائي) أنموذجًا.
د. محمد علي محمد الشعيبي	التساؤل القرآني ودوره في تدبر القرآن الكريم
سمية محمد أحمد المعلم	استنباط المقاصد الشرعية من مُشْكل الآيات القرآنية: (مقصد حفظ النفس أنموذجًا).

الباحث	البحث
د. عبد التواب مصطفىٰ خالد معوض	المُشْكل في الآيات القرآنية وأثره في الاختلافات الفقهية: دراسة مقارنة
د. عدنان الحموي العُلَبِي	إشكالية اللحن في أحكام التلاوة وآثارها في عدم تدبر القرآن الكريم
د. توفيق محمد المسطر	هل القرآن الكريم صَالح لكل زمان ومكان؟
د. توفيق محمد المسطر	الاستنباط البيئي من القرآن الكريم
د. محمد فتحي محمد عبد الجليل د. محمود فتحي محمد عبد الجليل	دفع الإيهام وإزالة الإشكال بالأثر عند مفسري القرون الثلاثة الأولىٰ
محمد يسلم المجود	سؤال المنهج في دراسة مُشْكل النظم القرآني
Dr. Khairil Husaini Bin Jamil	Negotiating Meanings: History and Principles of Dealing with Problematic Ḥadīth Texts.
Dr. Che Amnah Bahari	Positive Synchronisation of Mukhtalif al-Ḥadīth: An Analysis of Ibn Qutaybah (d.276AH/894CE)'s Methodology
Najiah Athirah binti Jamaludin	Relevantisation of Selected Ḥadīths as Applied in Tảwīl Mukhtalif al-Ḥadīth by Ibn Qutaybah (d.276AH/894CE).
Dr. Nurul Jannah Zainan Nazri	Progressive Muslims Approach to Mushkil al-Ḥadīth: A Critical Evaluation

البحث	الباحث
Problematic Ḥadīth in Malay Ḥadīth Commentary: A Study of Idrīs al-Marbawī (1989CE) and His Approach in Baḥr al-Mādhī	Amirul Imran Amir Rudin
Archaic Names of Plants in Chapters 39 and 40 of Ṣaḥīḥ Muslim and Its Connection to Mushkil al-Ḥadīth	Thuraya Ahmad
Reconstructing the Islamic Jewish Calendar to Explain Events Mentioned in Ḥadīth	Ben Abrahamson
When al-Bukhārī Disagrees with Muslim: The Variables of Matn Criticism in the Ḥadīth of Creation of Turbah (Clay) on Saturday	Nuzulul Qadar Abdullah İbn Haldun Universitesi, Istanbul
KEPELBAGAIAN GENRE KARYA MUSHKIL AL-HADITH KLASIK HINGGA KOTEMPORARI: SATU SOROTAN TERHADAP KARYA-KARYA PILIHAN	Ahmad Nabil Amir Dr. Zunaidah Binti Mohd Marzuki
MUSYKILAH HADITH-HADITH SIFAT DI SISI IMAM AL-BAYHAQI DALAM KITAB AL-ASMA' WA AL-SIFAT	Zamzuri Bin Harun
AL-ḤĀFIẒ IBN DIḤYAH AL-KALBĪ (633H/1235M) DAN PENJELASAN HADIS-HADIS MUSHKIL BERKAITAN KHAṢĀʾIṢ RASULULLAH SAW	Dr. Khairil Husaini Bin Jamil Muhammad Nazreen bin Abd Rahman

ثالثًا: التوصيات والمقترحات:

وقد خُتم المؤتمر بجملة من التوصيات والمقترحات، ومِن أبرزها:

أولًا: التوصيات:

١- الدعوة إلىٰ جَعل عِلم مُشْكل القرآن والحديث مادَّةً دراسيَّةً في الجامعات الإسلامية في دول العالم الإسلامي، وتأسيس مراكز علمية متخصصة في ذلك.

٢- الدعوة إلىٰ تشكيل هيئة عالمية حول المُشْكل القرآني والحديثي تتكون من نخبة من العلماء المسلمين؛ بُغيةَ عمل مشروع موسوعي في ذلك، وتطوير الجهود في إعداد صيغ منهجية متكاملة للتعامل معه.

٣- توجيه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية الدولية -وبالذات في الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا- لاختيار بحوث تخدم مُشْكل القرآن والحديث النبوي، وتفعيل دورهم في الدراسات التطبيقية والدفاع عن القرآن والرد علىٰ شبهات المستشرقين حول هذه القضية.

٤- تشكيل فِرَق ومجموعات بحثية تجمع بين علماء التفسير ومباحث القرآن الكريم، وبين المتخصصين في الحديث النبوي الشريف؛ لحصر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي يوهم ظاهرها التعارض.

٥- العمل علىٰ وضع خُطط مُحكَمة من أجل إصدار تفسير جامع لكل الآيات القرآنية المُشْكلة وَفقَ منهجية علمية رصينة تتعامل مع جميع الشبهات المتعلقة بها وفق مقاصد القرآن الحكيم.

٦- العمل علىٰ متابعة الاستشكالات المعاصرة للأحاديث النبوية الشريفة، والكشف عن أسبابها وأهدافها، ومناقشتها والرد عليها بغية حمايتها من تأويل

الجاهلين، وتحريف الغالين، وتشكيك المشككين.

ثانيًا: المقترحات:

١- عقد برامج إعلامية من خلال القنوات الفضائية في مختلف دول العالم الإسلامي من أجل تبادل الآراء والاستفادة من ذوي الخبرة في مُشْكل القرآن والحديث لرصد التأويلات المنحرفة لهذه القضية.

٢- وضع خُطَّة لنشر بحوث المؤتمر في مجلات علمية مُحكمة في أعداد خاصة وفي إصدار كتاب محكَّم يلمُّ شَملَ أغلب البحوث المتميزة حول المُشْكل القرآني والحديثي، وذلك من أجل نشر الفائدة علىٰ المتخصصين.

٣- دعوة الجامعات الإسلامية لإنشاء كرسي خاص بمُشْكل القرآن والحديث.

٤- الدعوة إلىٰ تشكيل هيئة عالمية حول المُشْكل القرآني والحديثي تتكون من نخبة من العلماء المسلمين بُغية عمل مشروع موسوعي في ذلك، وتطوير الجهود في إعداد صيغ منهجية متكاملة للتعامل معه.

٥- طباعة الأوراق العلمية ونشرها في كتاب علمي خاص بالمؤتمر لِما حوته من قيمة علمية عالية، وموضوعات فيها التجديد والأصالة العلمية.

وصلىٰ الله وسلَّم وبارَك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

معد التقرير

د. نشوان بن عبده خالد

nashwan@iium.edu.my

مجلة تدبر

مجلة تدبر





ملف تعريفي عن المجلة

باللغة الإنجليزية

مجلة تدبر

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (11) Year 6 / Muharram 1443 AH, corresponding to August 2021



Tadabbur Magazine

432 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

مجلة تدبر

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia
PO Box 7119
Medina 41462

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur’an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

- **Mission:** To be researchers’ first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur’an.
- **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur’an and related areas, observing professional publishing international standards.
- **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur’an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur’an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur’an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

Editorial Board:

Consultative Committee

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

4- The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur’an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.

- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.

- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.

- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.

- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.

- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

  An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

◆ Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

  An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

  An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

Table of Contents

Subject	Page
◆ **From the Editor**	17
One: Essays and Research	
◆ The Quranic Pieces of Spiritual Guidance in the Almighty›s words: “And (all) the Most Beautiful Names belong to Allah, so call on Him by them...” [Al-A´arâf: 180] Dr. Mohammed ali gamil Al-matari Dr.yousef mohammed abdo mohammed al-awadhy	21
◆ Beings receiving Divine Protection according to the Surah Al-Hijr Dr. Hamid bin Adnan Al-Ansari	81
◆ Things that nullify Good Deeds according to the Surah Muhammad (Peace be upon him) An objective study Dr. Badria Saeed Al-Wadiee	125
◆ The General Context of Revelation and Its Effect on the Rhetorical Analysis of the Quranic Verses –The Sura of Al-Jum´ah as a Case Study- Dr. Muhammad bin Abdulaziz bin Omar Naseef	197
◆ Dispelling and Correcting Misconceptions by Using the Arabic Triliteral Verb «ḥasiba, to think» and its Different Tense-related Conjugations in the Quran Dr. Kholoud Muhammad Amin Mahmoud Al-Hawwari	267

Subject	Page
Two: Summaries of Dissertations and Academic Research	
Report on a scientific thesis entitled: Using Images in the Interpretation of the Noble Quran – Establishing Principles, Evaluation and Correction by the Researcher: Dr. Abdullah bin Umar bin Ahmed Al-Umar	363
Report on a scientific project entitled: Al-Naba' Al-Atheem Foundation in Makkah	391
Three: Reports of International Seminars and Conferences	
Engagement with Obscure Qur'anic Verses and Hadith Texts in Classical and Modern Literature	401

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (11) Year 6 / Muharram 1443 AH, corresponding to August 2021

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- The Quranic Pieces of Spiritual Guidance in the Almighty's words: "And (all) the Most Beautiful Names belong to Allah, so call on Him by them..." [Al-A'arâf: 180[
  Dr. Mohammed ali gamil Al-matari
  Dr.yousef mohammed abdo mohammed al-awadhy
- Beings receiving Divine Protection according to the Surah Al-Hijr
  Dr. Hamid bin Adnan Al-Ansari
- Things that nullify Good Deeds according to the Surah Muhammad (Peace be upon him) An objective study
  Dr. Badria Saeed Al-Wadiee
- The General Context of Revelation and Its Effect on the Rhetorical Analysis of the Quranic Verses –The Sura of Al-Jum'ah as a Case Study-
  Dr. Muhammad bin Abdulaziz bin Omar Naseef
- Dispelling and Correcting Misconceptions by Using the Arabic Triliteral Verb "ḥasiba, to think" and its Different Tense-related Conjugations in the Quran
  Dr. Kholoud Muhammad Amin Mahmoud Al-Hawwari
- Report on a scientific thesis entitled: Using Images in the Interpretation of the Noble Quran – Establishing Principles, Evaluation and Correction
  by the Researcher: Dr. Abdullah bin Umar bin Ahmed Al-Umar
- Report on a scientific project entitled: Al-Naba' Al-Atheem Foundation in Makkah
- Engagement with Obscure Qur'anic Verses and Hadith Texts in Classical and Modern Literature



25 SR
1658-7642